(فهرست الجلد الثالث من تاريخ ابى الفدا)

صحيفه

المجلد الثالث من تاريخ الملك المؤيد
اسماعيل ابى الفداء صاحب
حماة رحمه الله
تعالى

وقتلوا منهم عدة كثيرة واما اسماعيل الباطني الذي كان في قلعة بانياس فانه سلم قلعة بانياس الى الفرنج وصار معهم

(ذكر ملك عماد الدين زنكي حماة)

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكي حماة وسببه انه كان بحماة (سونج) بن تورى نائبا بها عن ابيه تورى وكان قد سار عماد الدين زنكي من الموصل الى جهة الشام وعبر الفرات وارسل الى تورى يستنجده على الفرنج فارسل تورى الى ولده سونج بحماة يامره بالمسير الى عماد الدين زنكي فسار سونج اليه فغدر عماد الدين زنكي بسونج وقبض عليه وارتكب امرا شنيعا من الغدر ونهب خيامه والعسكر الذين كانوا صحبته واعتقل سونج وجماعة من مقدمي عسكره بحلب ولما قبض عماد الدين زنكي على سونج سار من وقته الى حماة وملكها لخلوها من الجند ثم رحل عنها الى حمص وحاصرها مدة وكان قد غدر ايضا بصاحبها قيرخان بن قراجا وقبض عليه واحضره صحبته الى حمص محسوكا وامره ان يأمر ابنه وعسكره بتسليم حمص فامرهم قيرخان فلم يلتفتوا اليه فلما آيس زنكي منها رحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب سونج وامراء دمشق معه واستمر بهم معتقلين وكتب تورى اليه وبذل له مالا في ابنه سونج فلم يتفق حال

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة ملك الفرنج حصن القدموس (وفيها) توفي ابو الفتح اسعد بن ابي نصر الفقيه الشافعي مدرس النظامية وله طريقة مشهورة في الخلاف وكان له قبول عظيم عند الخليفة والناس (وفيها) توفي الشريف حمزة بن هبة الله بن محمد العلوي الحسيني النيسابوري سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين واربع مائة وجمع بين شرف النسب وشرف النفس والتقوى وكان زيدي المذهب (ثم دخلت سنة اربع وعشرين وخمس مائة)

(ذكر فتح الاثارب)

فيها جمع عماد الدين زنكي عساكره وسار من الموصل الى الشام وقصد حصن الاثارب لشدة ضرره على المسلمين فان اهله الفرنج كانوا يقاسمون اهل حلب على جميع اعمال حلب الغربية حتى على رحى بظاهر باب الجنان بينها وبين سور حلب عرض الطريق واظن ان اسمها العربية وكان اهل حلب معهم في ضيق شديد فسار عماد الدين اليه ونازله وجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا عماد الدين فرحل عماد الدين عن الاثارب وسار الى ملتقاهم فالتقوا واقتتلوا اشد قتال ونصر الله المسلمين وانهزم الفرنج ووقع كثير

الجلد الثالث من تاريخ
ابى الفدا

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر اخبار الاسماعيلية بالشام

وقتلهم وحصر الفرنج دمشق كان قد سار رجل من الاسماعيلية يسمى بهرام
بعد قتل خاله ابراهيم الاستراباذى ببغداد الى الشام ودخل دمشق ودعى الناس
الى مذهبه واعانه وزير تورى صاحب دمشق وهو طاهر بن سعد المزدغانى
وسلم الى بهرام قلعة بانياس فعظم امر بهرام بالشام وملك عدة حصون بالجبال
وجرى بين بهرام و بين اهل وادى التيم مقاتلة فقتل فيها بهرام وقام مقامه
بقلعة بانياس رجل منهم يسمى اسماعيل واقام الوزير المزدغانى عوض بهرام
بدمشق رجلا منهم يسمى أبا الوفا وعظم أمر ابى الوفا حتى صار الحكم له
بدمشق فكاتب ابو الوفا الفرنج على ان يسلم اليهم دمشق ويسلموا اليه عوضها
مدينة صور واتفقوا على ذلك وان يكون قدوم الفرنج الى دمشق يوم الجمعة
ليجعل ابو الوفا اصحابه على ابواب جامع دمشق وعلم تاج الملوك تورى صاحب
دمشق بذلك فاستدعى وزيره المزدغانى وقتله وامر بقتل الاسماعيلية الذين
بدمشق فثار بهم اهل دمشق وقتلوا من الاسماعيلية ستة آلاف نفر ووصل
الفرنج الى الميعاد وحصروا دمشق فلم يظفروا بشىء وكان البرد والشتاء شديدا
فرحلوا عن دمشق شبه المنهزمين وخرج تورى بعسكر دمشق فى اثرهم

(وقتلوا)

واستولت سريته على قلعة صرخد وما فيها وعلمت انه لايتم لها ذلك ان لم تتصل برجل يحميها فارسلت الى دبيس بن صدقة تستدعيه للتزوج به وتسلم اليه صرخد ومافيها من مال وغيره فسار دبيس من العراق اليها فضل به الادلاء فنزل بناس من كلب كانوا شرقى الغوطة فاخذوه وجاؤوه الى تاج الملوك تورى بن طغتكين صاحب دمشق فى شعبان من هذه السنة فحبسه تورى وسمع عماد الدين زنكى باسر دبيس فارسل الى تورى يطلبه ويبذل له اطلاق ولده سونج ومن معه من الامراء الذين غدر بهم زنكى وقبضهم كما تقدم ذكره فاجاب تورى الى ذلك وافرج زنكى عن المذكورين وتسلم دبيس فايقن دبيس بالهلاك لانه كان كثيرالوقيعة فى عماد الدين زنكى ففعل معه زنكى بخلاف ماكان يظن واحسن الى دبيس وحمل اليه الاموال والسلاح والدواب وقدمه على نفسه ولم يزل دبيس مع عماد الدين زنكى حتى انحدر معه الى العراق على ماسنذكره انشاء الله تعالى وسمع الخليفة المسترشد بقبض دبيس فارسل يطلبه مع سديد الدولة بن الانبارى وابى بكر بن بشر الجزرى فامسكهما عماد الدين زنكى وسجن ابن الانبارى ووقع منه فى حق ابن بشر مكروه قوى ثم شفع المسترشد فى ابن الانبارى فاطلقه

(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)

فى هذه السنة فى شوال توفى السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان بن داود بن ميكاييل بن سلجوق بهمدان فاقعد وزيره ابو القسم النسابادى ابنه داود بن محمود فى السلطنة وصارا تابكه اقسنقر الاحمديلى وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته السلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يوما وكان حليما عاقلا يسمع المكروه ولايعاقب عليه مع قدرته عليه

(ذكر غير ذلك)

فى هذه السنة وثبت الباطنية على تاج الملوك تورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين برئ احدهما وبقى الآخر ينسر عليه الا انه يجلس للناس ويركب على ضعف فيه (وفيها) توفى حماد بن مسلم الرحبى الرباشى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله اصحاب وتلاميذ كثيرة وكان ابو الفرج بن الجوزى يذمه ويثلبه (ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمس مائة)

فيها قتل ابو على بن الافضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله العلوى وكان ابو على المذكور قد حجر على الحافظ وقطع خطبة العلويين

من فرسانهم في الاسر وكثر القتل فيهم ولما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الاثارب فاخذوه عنوة وقتلوا واسروا كل من فيه وخرب عماد الدين في ذلك الوقت حصن الاثارب المذكور وجعله دكا وبقي خرابا الى الآن

(ذكر وفاة الآمر باحكام الله العلوى)

في هذه السنة في ذي القعدة قتل الآمر باحكام الله العلوى ابو على منصور بن مستعلى احمد بن المستنصر معد العلوى صاحب مصر وكان قد خرج الى مستنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة اشهر وخمسة عشر يوما وعمره اربعا وثلثين سنة وهو العاشر من ولد المهدى عبيد الله وهو العاشر من الخلفاء العلويين ولما قتل الآمر لم يكن له ولد فولى بعده ابن عمه الحافظ عبد المجيد بن ابي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع اولا بالخلافة بل كان على صورة نائب لانتظار حمل ان ظهر للآمر ولما تولى الحافظ استوزر ابا على احمد بن الافضل بن بدر الجمالى فاستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه ونقل ابو على ما كان بالقصر من الاموال الى داره ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل ابو على سنة ست وعشرين على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة كان الرصد في دار السلطنة شرقي بغداد تولاه البديع الاسطرلابي ولم يتم (وفي هذه السنة) ملك السلطان مسعود قلعة الموت (وفيها) توفي ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزى عند قلعة بلخ ودفن فيها وهو من اهل غزة ومولده سنة احدى واربعين واربع مائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التي مدح فيها الترك التي اولها

(امط عن الدرر الزهر اليواقيتا * واجعل لحج تلاقينا مواقيتا)

ومنها

(في فتية من جيوش الترك مازكت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا)

(قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا)

ثم ترك الغزى قول الشعر وغسل كثيرا منه وقال

(قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب البواعث والدواعي مغلق)

(خلت البلاد فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق)

(ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق)

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمس مائة) فيها اسر دبيس بن صدقة وسبب ذلك مسيره من العراق الى صرخد لان صرخد كان صاحبها خصيا وكانت له سرية فتوفي الخصي في هذه السنة

الجرح الذى كان به من الباطنية على ما تقدم ذكره فتوفى فى حادى وعشرين رجب وكانت امارته اربع سنين وخمسة اشهر واياما ووصى بالملك بعده اولاده شمس الملوك اسماعيل ووصى ببعلبك واعمالها اولده شمس الدولة محمد وكان تورى شجاعا سد مسد ابيه ولما استقر اسماعيل بن تورى فى ملك دمشق واعمالها واستقر اخوه محمد فى ملك بعلبك استولى محمد على حصن الراس وحصن اللبوة وكاتب اسماعيل صاحب دمشق اخاه محمدا صاحب بعلبك فى اعادتهما فلم يقبل محمد ذلك فسار اسماعيل وفتح حصن اللبوة ثم فتح حصن الراس وقرر امرهما ثم سار الى اخيه محمد وحصره ببعلبك وملك المدينة وحصر القلعة فسأله محمد فى الصلح فاجابه واعاد عليه بعلبك واعمالها واستقرت امورهما وعاد اسماعيل الى دمشق مؤيدا منصورا (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمس مائة) فيها سار شمس الملوك اسماعيل بن تورى صاحب دمشق على غفلة من الفرنج الى حصن بانياس فملك مدينة بانياس بالسيف وقتل واسر من كان بها وحاصر قلعة بانياس وتسلمها بالامان (وفى هذه السنة) جمع السلطان مسعود العساكر وانضم اليه ابن اخيه داود بن محمود وسار السلطان مسعود الى اخيه طغريل وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه طغريل واستولى مسعود على السلطنة وتبع اخاه طغريل يطرده من موضع الى موضع حتى وصل الى الرى واقتتلا ثانيا فانهزم طغريل ايضا واسر جماعة من امرائه (وفيها) سار الخليفة المسترشد بعساكر بغداد وحصر الموصل ثلثة اشهر وكان عماد الدين زنكى قد خرج من الموصل الى سنجار وحصن الموصل بالرجال والذخائر ثم رحل الخليفة عن الموصل وعاد الى بغداد ووصل اليها فى يوم عرفة ولم يظفر منها بطائل

ذكر ملك شمس الملوك اسماعيل مدينة حماة

وفى هذه السنة سار اسماعيل بن تورى صاحب دمشق من دمشق فى العشر الآخر من رمضان الى حماة وهى لعماد الدين زنكى من حين غدر بسونج بن تورى واخذها منه حسبما تقدم ذكره فى سنة ثلث وعشرين وخمس مائة فحصرها شمس الملوك اسماعيل وقاتل من بها يوم عيد الفطر وعاد ولم يملكها فلما كان الغد بكر اليهم وزحف من جميع جوانب البلد فملكه عنوة وطلب من به الامان فامنهم وحصر القلعة ولم تكن اذ ذاك حصينة فانها حصنت فيما بعد لان تقى الدين عمر ابن اخى السلطان صلاح الدين قطع جبلها وعملها على ما هى عليه الآن فى سنين كثيرة فلما

وخطب لنفسه خاصة وقطع من الاذان حى على خير العمل فنفرت منه قلوب شيعة العلويين وثار به جماعة من المماليك وهو يلعب بالكرة فقتلوه ونهبت داره وخرج الحافظ من الاعتقال ونقل مابقى فى دار ابى على الى القصر وبويع الحافظ فى يوم قتل ابى على بالخلافة واستوزر ابا الفتح يانس الحافظى وبقى يانس مدة قليلة ومات فاستوزر الحافظ ابنه الحسن بن الحافظ وخطب له بولاية العهد ثم قتل الحسن المذكور سنة تسع وعشرين وخمس مائة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفى هذه السنة) تحرك السلطان مسعود بن محمد فى طلب السلطنة واخذها من ابن اخيه داود بن محمود وكذلك تحرك سلجوق بن محمد صاحب فارس اخو مسعود واتابكه قراجا الساقى فى طلب السلطنة وقدم سلجوق الى بغداد واتفق الخليفة المسترشد معه واستنجد مسعود بعماد الدين زنكى فسار الى بغداد لقتال الخليفة وسلجوق فقاتله قراجا اتابك سلجوق وانهزم زنكى الى تكريت وعبرها وكان الدزدار بها اذ ذاك نجم الدين ايوب فاقام له المعابر فعبر عماد الدين وسار الى بلاده وكان هذا الفعل من نجم الدين ايوب سببا الاتصال بعماد الدين زنكى حتى ملك بنو ايوب البلاد ثم اتفق الحال بين مسعود واخيه سلجوق والخليفة المسترشد على ان تكون السلطنة لمسعود ويكون اخوه سلجوق شاه ولى عهده وعادوا الى بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة وسلجوق بدار الشحنكية وكان اجتماعهم فى جمادى الاولى من هذه السنة ثم ان السلطان سنجر سار من خراسان ومعه طغريل بن اخيه السلطان محمد لاخذ السلطنة من مسعود وجرى المصاف بينه وبين مسعود وسلجوق فانهزم مسعود ثم ان السلطان سنجر بذل الامان لمسعود فحضر عنده وكان قد راغ خونج فلما رآه سنجر قبله واكرمه وعاتبه واعاده الى كنجه واجلس الملك طغريل فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد ثم عاد سنجر الى خراسان فوصل الى نيسابور فى رمضان من هذه السنة

(ذكر الحرب بين المسترشد الخليفة وبين عماد الدين زنكى)

فى هذه السنة سار عماد الدين زنكى ومعه دبيس بن صدقة وعدى الخليفة الى الجانب الغربى وسار ونزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة فى سابع وعشرين رجب فحمل عماد الدين على ميمنة الخليفة فهزمها وحمل الخليفة بنفسه وبقية العسكر فانهزم دبيس ثم انهزم عماد الدين وقتل بينهم خلق كثير

(ذكر وفاة تورى صاحب دمشق)

فى هذه السنة توفى تاج الملوك تورى بن طغتكين صاحب دمشق بسبب

ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم (وفيها) اصطلح الخليفة المسترشد وعماد الدين زنكي (ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمس مائة) فيها مات السلطان طغريل ابن السلطان محمد وكان بعد هزيمته من اخيه مسعود قد استولى على بلاد الجبل فمات في هذه السنة في المحرم وقيل ان وفاته كانت في اول سنة ثمان وعشرين وهو الاصح في ظني وكان مولده سنة ثلث وخمس مائة في المحرم ايضا وكان خيرا عاقلا ولما بلغ اخاه مسعودا خبر وفاته سار نحو همدان واقبلت العساكر جميعا اليه واستولى على همدان واطاعته البلاد جميعها

(ذكر قتل اسمعيل صاحب دمشق)

في هذه السنة في رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسماعيل ابن توري بن طغتكين وكان مولده في سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمس مائة قتله على غفلة جماعة باتفاق من والدته وقد اختلف في سببه فقيل ان الناس لفرط جور اسماعيل المذكور وظلمه ومصادرته كرهوه وشكوه لامه فاتفقت مع من قتله وقيل بل ان امه اتهمت بشخص من اصحاب والده يقال له يوسف بن فيروز فاراد قتل امه فاتفقت مع من قتله وسر الناس بقتله ولما قتل ملك بعده اخوه شهاب الدين محمود بن توري وحلف له الناس (وفيها) بعد قتل شمس الملوك وصل عماد الدين زنكي الى دمشق وحصرها وضيق عليها وقام في حفظ البلد معين الدين انرمملوك طغتكين القيام التام الذي تقدم به واستولى على الامر بسببه فلما لم يرزنكي في اخذ دمشق مطمعا اصطلح مع اهلها ورحل عنها عائدا الى بلاده

(ذكر قتل حسن بن الحافظ لدين الله العلوي)

قد تقدم في سنة ست وعشرين وخمس مائة ان اباه استوزره فتغلب حسن المذكور على الامر واستبد به واساء السيرة واكثر من قتل الامراء وقبرهم ظلما وعدوانا واكثر من مصادرات الناس فاراد العسكر الايقاع به وبابيه فعلم ابوه الحافظ ذلك فسقاه سما فمات ولما مات حسن استوزر الحافظ تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الارمن على الناس فكان ما سنذكره

(ذكر الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود واسر الخليفة وقتله)

في هذه السنة كانت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وسببه ان جماعة من عسكر مسعود فارقوه مغاضبين واتصلوا بالخليفة المسترشد وهونوا عليه قتال السلطان مسعود فاغتر بكلامهم وسار من بغداد الى قتال السلطان مسعود وسار مسعود اليه والتقوا عاشر رمضان من هذه

حصرها شمس الملوك اسماعيل بجزالنائب بهامن حفظها فسلمها اليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وذلك فى شوال من هذه السنة ولما فرغ شمس الملوك اسماعيل من حماة سار الى شيزر وبها صاحبها من بنى منقذ فنهب بلدها وحصر القلعة فصانعه صاحبها بمال حمله اليه فعاد عنها وسار الى دمشق ووصل اليها فى ذى القعدة من هذه السنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة اجتمعت التراكمين وقصدوا طرابلس فخرج من بها من الفرنج اليهم واقتتلوا فانهزم الفرنج وسار القومص صاحب طرابلس ومن فى صحبته فانحصروا فى حصن بعرين وحصرهم التركمان بها ثم هرب القومص من الحصن فى عشرين فارسا وخلى بحصن بعرين من يحفظه ثم جمع الفرنج وقصدوا التركمان ليرحلوهم عن بعرين فاقتتلوا فانحاز الفرنج الى نحو رفنية وعاد التركمان عنهم (وفيها) اشترى الاسماعيلية حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون (وفيها) فى ربيع الآخر وثب على شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق بعض مماليك جده طغتكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه وتكاثر على ذلك الشخص مماليك شمس الملوك فقبضوه وقرره شمس الملوك فقال ما اردت الا اراحة المسلمين من شرك وظلمك ثم اقر على جماعة من شدة الضرب فقتلهم من غير تحقيق وقتل شمس الملوك اسماعيل ايضا مع ذلك الشخص اخاه سونج بن تورى الذى كان بحماة واسره زنكى على ما تقدم ذكره فى سنة ثلث وعشرين وخمس مائة فعظم ذلك على الناس ونفروا من شمس الملوك اسماعيل المذكور (وفيها) توفى على بن يعلى بن عوض الهروى وكان واعظا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فاكثر (وفيها) توفى ابو فلية امير مكة وولى امارة مكة بعده ابو القاسم (ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمس مائة) فيها فى المحرم سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق الى حصن الشقيق وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادى التيم قد تغلب عليه وامتنع به فاخذه شمس الملوك منه وعظم ذلك على الفرنج وقصدوا بلد حوران وجمع شمس الملوك الجموع وناوشهم ثم اغار على بلادهم من جهة طبرية ففت ذلك فى اعضاد الفرنج ورحلوا عائدين الى بلادهم ثم وقعت الهدنة بينهم وبين شمس الملوك (وفى هذه السنة) استولى عماد الدين زنكى على جميع قلاع الاكراد الحميدية منها قلعة العقر وقلعة شوش وغيرهما ثم استولى على قلاع الهكارية وكواشى (وفيها) اوقع ابن دانشمند صاحب

اولاد الامير قيرخان بن قراجا والوالى بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عماد الدين زنكى اليها والى اعمالها فراسلوا شهاب الدين فى ان يسلموها اليه ويعطيهم عوضها تدمر فأجابهم الى ذلك وتسلم حمص واقطعها المملوك جده معين الدين انز وسلم اليهم تدمر فلما راى عسكر زنكى بحلب وحماة خروج حمص الى صاحب دمشق تابعوا الغارات على بلدها فارسل شهاب الدين محمود الى عماد الدين زنكى فى الصلح فاستقر بينهما وكف عسكر عماد الدين عن حمص

(ذكر غير ذلك)

فيها سارت عساكر عماد الدين زنكى الذين بحلب وحماة ومقدمهم اسوار نائب زنكى بحلب الى بلاد الفرنج بنواحى اللاذقية واوقعوا بمن هناك من الفرنج وكسبوا من الجوار والمماليك والاسرى والدواب ماملا الشام من الغنائم وعادوا سالمين

(ذكر خلع الراشد وخلافة المقتفى وهو حادى ثلاثينهم)

كان الراشد قد اتفق مع بعض ملوك الاطراف مثل عماد الدين زنكى وغيره على خلاف السلطان مسعود وطاعة داود ابن السلطان محمود فلما بلغ مسعودا ذلك جمع العساكر وسار الى بغداد ونزل عليها وحصرها ووقع فى بغداد النهب من العيارين والمفسدين ودام مسعود محاصرها نيفا وخمسين يوما فلم يظفر بهم فارتحل الى النهروان ثم وصل طرنطى صاحب واسط بسفن كثيرة فعاد مسعود الى بغداد وعبر الى غربى دجلة واختلفت كلمة عساكر بغداد فعاد الملك داود الى بلاده اذربيجان فى ذى القعدة وسار الخليفة الراشد من بغداد مع عماد الدين زنكى الى الموصل ولما سمع مسعود بمسير الخليفة وزنكى سار الى بغداد واستقر بها فى منتصف ذى القعدة وجمع مسعود القضاة وكبراء بغداد واجمعوا على خلع الراشد بسبب انه كان قد عاهد مسعودا على انه لا يقاتله ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه وبسبب امور ارتكبها فخلع وحكم بفسقه وخلعه وكانت مدة خلافة الراشد احد عشر شهرا واحد عشر يوما ثم استشار السلطان مسعود فيمن يقيمه فى الخلافة فوقع الاتفاق على محمد بن المستظهر فاحضر واجلس فى المثمنة ودخل اليه السلطان مسعود وتحالفا ثم خرج السلطان واحضر الامراء وارباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوه ولقبوه المقتفى لامر الله والمقتفى عم الراشد المذكور هو والمسترشد ابناء المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدى والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكل واما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمأمون والمعتصم اولاد الرشيد وكذلك

السنة فصار غالب عسكر الخليفة مع مسعود وانهزم الباقون واخذ الخليفة المسترشد اسيرا ونهب عسكره واسر واو بقى المسترشد مع مسعود اسيرا ثم سار به مسعود من همدان الى مراغة فى شوال لقتال ابن اخيه داود بن محمود فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه فى خيمة منفردة وكان قد اتفق مسعود مع الخليفة على مال يحمله الخليفة اليه وان لا يعود يخرج من بغداد واتفق وصول رسول السلطان سنجر الى مسعود فركب مسعود والعساكر لملتقاه فوثبت الباطنية على المسترشد وهو فى تلك الخيمة فقتلوه ومثلوا به فجدعوا انفه واذنيه وقتل معه نفر من اصحابه وكان قتل المسترشد يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة بظاهر مراغة وكان عمره لما قتل ثلاثا واربعين سنة وثلاثة اشهر وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة اشهر وعشرين يوما وامه ام ولد وكان فصيحا حسن الخط شهما

(ذكر خلافة الراشد وهو الثلاثون من خلفاء بنى العباس)

لما قتل المسترشد بالله بويع ابنه الراشد بالله ابو جعفر المنصور بن المسترشد فضل ابن المستظهر احمد وكان ابوه قد بايع له بولاية العهد فى حياته ثم بعد قتله جددت له بيعة فى يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة وكتب مسعود الى بغداد بذلك فحضر بيعته احد وعشرون رجلا من اولاد الخلفاء

(ذكر قتل دبيس)

فى هذه السنة قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى امر غلاما ارمنيا بقتله فوقف على رأس دبيس وهو ينكث فى الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بن دبيس بالجبل فلما بلغه الخبر اجتمع عليه عسكر ابيه وكثر جمعه وما اكثر ما يتفق قرب موت المتعادين فان دبيسا كان يعادى المسترشد بالله فاتفق قتل احدهما عقيب قتل الآخر

(ذكر غير ذلك)

فى هذه السنة استولى الفرنج على جزيرة جربة من اعمال افريقية وهرب واسر من كان بها من المسلمين (وفيها) صالح المستنصر بن هود الفرنج على تسليم حصن زوطة من بلاد الاندلس وسلمه الى صاحب طليطلة الفرنجى (ثم دخلت سنة ثلثين وخمس مائة)

(ذكر ملك شهاب الدين حمص)

فى هذه السنة فى الثانى والعشرين من ربيع الاول تسلم شهاب الدين محمود ابن تورى صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك ان اصحابها

بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس واطاعه وسار الى حمص وحصرها ثم رحل عنها الى سلمية بسبب نزول الروم على حلب على ما نذكره ثم عاد الى منازلة حمص فسلمت اليه المدينة والقلعة وارسل عماد الدين زنكي وخطب ام شهاب الدين محمود صاحب دمشق وتزوجها واسمها مردخاتون بنت جاولي وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك اسمعيل ابن بوري وهي التي بنت المدرسة المطلة على وادي الشقرا بظاهر دمشق وحملت الخاتون الى عماد الدين في رمضان وانما تزوجها طمعا على الاستيلاء على دمشق لما رآى من تحكمها فلما خاب ما امله ولم يحصل على شيء اعرض عنها

(ذكر وصول ملك الروم الى الشام وما فعله)

كان قد خرج ملك الروم متجهزا من بلاده في سنة احدى وثلاثين وخمس مائة فاشتغل بقتال الارمن وصاحب انطاكية وغيره من الفرنج فلما دخلت هذه السنة وصل الى الشام وسار الى بزاعة وهي على ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان في الخامس والعشرين من رجب ثم غدر باهلها وقتل فيهم واسر وسبى وتنصر قاضيها وقدر اربع مائة نفس من اهلها واقام على بزاعة بعد اخذها عشرة ايام ثم رحل عنها بمن معه من الفرنج الى حلب) ونزل على قويق وزحف على حلب وجرى بين اهلها وبينهم قتال كثير فقتل من الروم بطريق عظيم القدر عندهم فعادوا خاسرين واقاموا ثلاثة ايام ورحلوا الى الاثارب وملكوها وتركوا فيها سبايا بزاعة وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم وسار ملك الروم بجموعه من الاثارب نحو شيزر فخرج الامير اسوار نائب زنكي بحلب بمن عنده واوقع بمن في الاثارب من الروم فقتلهم واستفك اسرى بزاعة وسباياها وسار ملك الروم بجموعه الى شيزر وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا وارسل صاحب شيزر ابو العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الى زنكي يستنجده فسار زنكي ونزل على العاصي بين حماه وشيزر وكان يركب عماد الدين زنكي وعسكره كل يوم ويشرفون على الروم وهم محاصرون لشيزر بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فيأخذون كل ما يظفرون به منهم واقام ملك الروم محاصرا شيزر اربعة وعشرين يوما ثم رحل عنها من غير بلوغ غرض وسار زنكي في اثر الروم فظفر بكثير ممن تخلف منهم ومدح الشعراء زنكي بسبب ذلك فاكثروا فمن ذلك ما قاله مسلم بن خضر بن قسيم الحموي من ابيات

المكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر واما اربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك ابن مروان لا يعرف غيرهم وعمل محضر بخلع الراشد وارسل الى الموصل وزاد المقتفي في اقطاع عماد الدين زنكي والقابه وارسل المحضر فحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل وخطب للمقتفي في الموصل في رجب سنة احدى وثلثين (ثم دخلت سنة احدى وثلثين وخمس مائة) فيها عزل الحافظ وزيره بهرام النصراني الارمني بسبب ما اعتمده من تولية الارمن على المسلمين واهانتهم اهم فانف من ذلك شخص يسمى رضوان بن الولخشي وجمع جمعا وقصد بهرام فهرب بهرام الى الصعيد ثم عاد وامسكه الحافظ وحبسه في القصر ثم ان بهرام المذكور ترهب واطلقه الحافظ ولما هرب بهرام استوزر الحافظ رضوان المذكور ولقبه الملك الافضل وهو اول وزير للمصريين لقب بالملك ثم انه فسد ما بين رضوان والحافظ فهرب رضوان وجرى له امور يطول شرحها آخرها ان الحافظ قتل رضوان المذكور ولم يستوزر بعده احدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات

(ذكر حصر زنكي حمص ورحيله الى بارين وفتحها)

في هذه السنة نازل عماد الدين زنكي حمص وبها صاحبها معين الدين انز فلم يظفر بها فرحل عنها في العشرين من شوال الى بعرين وحصر قلعتها وهي للفرنج وضيق عليها فجمع الفرنج ملوكهم ورجالهم وساروا الى زنكي ليرحلوه عن بعرين فلما وصلوا اليه لقيهم وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الفرنج ودخل كثير من ملوكهم لما هربوا الى حصن بعرين وعاود عماد الدين زنكي حصار الحصن وضيق عليه وطلب الفرنج الامان فقرر عليهم تسليم حصن بعرين وخمسين الف دينار يحملونها اليه فاجابوا الى ذلك فاطلقهم وتسلم الحصن وخمسين الف دينار وكان زنكي في مدة مقامه على حصار بعرين قد فتح المعرة وكفر طاب واخذهما من الفرنج وحضر اهل المعرة وطلبوا تسليم املاكهم التي كان قد اخذها الفرنج فطلب زنكي منهم كتب املاكهم فذكروا انها عدمت فكشف من ديوان حلب عن الخراج وافرج عن كل ملك كان عليه الخراج لاصحابه (ثم دخلت سنة اثنتين وثلثين وخمس مائة

(ذكر ملك عماد الدين زنكي حمص)

وغيرها في هذه السنة في المحرم وصل زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع

ابن انوش تكين وقد تقدم ذكر ابتداء امر محمد بن انوش تكين فى سنة تسعين واربع مائة وو صل سنجر الى خوارزم وخرج خوارزم شاه لقتاله واقتتلوا فانهزم اطسز خوارزم شاه واستولى سنجر على خوارزم واقام بها من يحفظها وعاد الى مرو فى جمادى الآخرة من هذه السنة وبعد ان عاد سنجر الى بلاده عاد اطسز الى خوارزم واستولى عليها

(ذكر قتل محمود صاحب دمشق)

فى هذه السنة فى شوال قتل شهاب الدين محمود بن تورى بن طغتكين صاحب دمشق قتله غيلة على فراشه ثلثة من خواص غلمانه واقرب الناس منه وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فنجا احدهم واخذ الاثنان وصلبا واستدعى معين الدين انز اخاه جمال الدين محمد بن تورى وكان صاحب بعلبك فحضر الى دمشق وملكها

(ذكر ملك زنكى بعلبك)

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار عماد الدين زنكى الى بعلبك ووصل اليها فى العشرين من ذى الحجة وحصرها ونصب عليها اربعة عشر منجنيقا فطلب اهلها الامان فامنهم وسلموا اليه المدينة واستمر الحصار على القلعة حتى طلبوا الامان ايضا فامنهم وسلموا اليه القلعة فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وامر فصلبوا عن آخرهم فاستقبح الناس ذلك واستعظموه وحذره الناس وكانت بعلبك لمعين الدين انز اعطاه اياها جمال الدين محمد لما ملك دمشق وكان انز قد تزوج بام جمال الدين محمد صاحب دمشق وكان له جارية يحبها فاخرجها انز الى بعلبك فلما ملك زنكى بعلبك اخذ الجارية المذكورة وتزوجها فى حلب وبقيت مع زنكى حتى قتل على قلعة جعبر فارسلها ابنه نور الدين محمود بن زنكى الى انز وهى كانت اعظم الاسباب فى المودة بين نور الدين وانز

(ذكر غير ذلك)

فى هذه السنة توالت الزلازل بالشام وخربت كثيرا من البلاد لاسيما حلب فان اهلها فارقوا بيوتهم وخرجوا الى الصحراء ودامت من رابع صفر الى تاسع عشره (ثم دخلت سنة اربع وثلثين وخمس مائة)

فى هذه السنة سار عماد الدين زنكى الى دمشق وحصرها وزحف عليها وبذل لصاحبها جمال الدين محمد بعلبك وحمص فلم يامنوا اليه بسبب غدره باهل بعلبك وكان نزوله على داريا فى ثالث عشر ربيع الاول واستمر منازلا لدمشق فمرض فى تلك المدة جمال الدين محمد بن تورى صاحب دمشق ومات

لعزمك ايهـا الملك العظيم * تذل لك الصعـاب وتستقيم
الم تر ان كلب الروم لمـا * تبـين انه الملك الرحيم
وقد نزل الزمان على رضـاه * ودان لخطبه الخطب العظيم
فحـين رميته بك عن خميس * تيقن فوت ما امسـى يروم
كانك في العجـاج شهاب نور * توقد وهو شيطـان رجيم
اراد بقـاء مهجته فولى * وليس سوى الحمـام له حميم

(ذكر مقتل الراشد)

كان الراشد قد سـار من بغداد الى الموصل مع عمـاد الدين زنكى وخلع كما تقـدم ذكره ثم فارق الراشد زنكى وسـار من الموصل الى مراغة واتفـق الملك داود ابن السلطـان محمود وملوك تلك الاطراف على خلاف السلطـان مسـعود وقتاله واعادة الراشـد الى الخلافة فسار السلطـان مسعود اليهم واقتتلوا فانهزم داود وغيره واشتغل اصحاب السلطان مسعود بالكسب وبقى وحده فحمل عليه اميران يقـال لهما بوزابه وعبدالرحمن طغايرك فانهزم مسعود من بين ايديهمـا وقبض بوزابه على جماعة من امرائه وعلى صدقة ابن دبيس صاحب الحلة ثم قتلهم اجمعين وكان الراشد اذذاك بهمـدان فلمـا كان من الوقعة ما كان سـار الملك داود الى فارس وتفرقت تلك الجموع وبقى الراشد وحده فسار الى اصفهـان فلمـا كان الخامس والعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا فى خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان من اعقاب مرض قد برئ منه ودفن بظـاهر اصفهـان بشهرستان ولمـا وصل خبر قتل الراشد الى بغداد جلسوا لعزائه يوما واحدا

(ذكر غير ذلك)

فى هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صـاحب ماردين قلعة الهتـاخ من ديار بكر اخذها من بعض بنى مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعهـا وهو آخر من بقى منهم (وفيهـا) قتـل السلطـان مسعود البقش شحنة بغداد (وفيها) جاءت زلزلة عظيمة بالشام والعراق وغيرهما من البلاد فخربت كثيرا وهلك تحت الهدم عالم كثير (ثم دخلت سنة ثلث وثلثين وخمس مائة)

(ذكر الحرب بين السلطـان سنجر وخوارزم شـاه)

فى هذه السنة فى المحرم سـار سنجر بجموعه الى خوارزم شاه اطسز بن محمد

خرابا فلما عمره عماد الدين زنكي سمى العمادية نسبة اليه (وفيها) سارت الفرنج فى البحر من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها ثم عادوا عنها (وفيها) توفى محمد بن الدانشمند صاحب ملطية والثغر واستولى على بلاده الملك مسعود بن قليج ارسلان السلجوقى صاحب قونية (ثم دخلت سنة ثمان وثلثين وخمسمائة) فى هذه السنة كان الصلح بين السلطان مسعود وبين عماد الدين زنكى (وفيها) سار زنكى بعساكره الى ديار بكر ففتح منها طنزة واسعرد وحيزان وحصن الروق وحصن قطليس وحصن باتاسا وحصن ذى القرنين واخذ من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج جملين والموزر وتل موزر من حصون شختان (وفيها) سار السلطان سنجر بعساكره الى خوارزم وحصر اطسز بها فبذل خوارزمشاه اطسز الطاعة فاجابه سنجر الى ذلك واصطلحا وعاد سنجر الى مرو (وفيها) ملك زنكى عانة من اعمال الفرات (وفيها) قتل داود ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه قتله جماعة اغتالوه ولم يعرفوا (وفيها) توفى ابو القاسم محمود بن عمر النحوى الزمخشرى ولد فى رجب سنة سبع وستين واربع مائة وهو من زمخشر قرية من قرى خوارزم كان اماما فى العلوم صنف المفصل فى النحو والكشاف فى التفسير وجهر القول فيه بالاعتزال وافتتحه بقوله الحمد لله الذى خلق القرآن منجما ثم اصلحه اصحابه فكتبوا الحمد لله الذى انزل القرآن وله غير ذلك من المصنفات فمنها كتاب الفائق فى غريب الحديث وقدم الزمخشرى بغداد وناظر بها ثم حج وجاور بمكة سنين كثيرة فسمى لذلك جار الله وكان حنفى الفروع معتزلى الاصول وللزمخشرى نظم حسن فمنه من جملة أبيات

(فانا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزى من اقتصر
(مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم ار فى الدنيا صفاء بلا كدر

ومن شعره يرثى شيخه ابا مضر منصورا

وقائلة ماهذه الدرر التى * تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت لها الدر الذى كان قد حشا * ابو مضر اذنى تساقط من عينى

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمس مائة) فى هذه السنة فتح عماد الدين زنكى الرها من الفرنج بالسيف بعد حصار ثمانية وعشرين يوما ثم تسلم مدينة سروج وسائر الاماكن التى كانت بيد الفرنج شرقى الفرات واما البيرة فنزل عليها وحاصرها ثم رحل عنها بسبب قتل نائبه بالموصل وهو نصير الدين جقر وسبب قتله انه كان عند زنكى الب ارسلان ابن السلطان محمود بن محمد السلجوقى وكان زنكى يقول ان البلاد التى بيدى انما هى لهذا الملك الب ارسلان

فى ثامن شعبان فطمع زنكى حينئذ فى ملك دمشق وزحف اليها واشتد القتال فلم ينل غرضا ولما مات جمال الدين محمد اقام معين الدين انز فى الملك ولده مجير الدين انق بن محمد بن تورى بن طغتكين واستمر انز يدبر الدولة فلم يظهر لموت جمال الدين محمد اثر ثم رحل زنكى ونزل بعذرا من المرج فى سادس شوال واحرق عدة من قرى المرج ورحل عائدا الى بلاده (وفى هذه السنة) ملك زنكى شهرزور واخذها من صاحبها قبجق بن البارسلان شاه التركمانى وبقى قبجق فى طاعة زنكى ومن جملة عسكره (وفيها) قتل المقرب جوهر من كبراء عسكر سنجر وكان قد عظم فى الدولة وكان من جملة اقطاع المقرب المذكور الرى قتله الباطنية ووقفوا له فى زى النساء واستغاث به فوقف يسمع كلامهم فقتلوه (وفيها) توفى هبة الله بن الحسين بن يوسف المعروف بالبديع الاسطرلابى وكانت له اليد الطولى فى عمل الاسطرلاب والآلات الفلكية وله شعر جيد واكثره فى الهزل (ثم دخلت سنة خمس وثلثين وخمس مائة) فى هذه السنة وصل رسول السلطان سنجر ومعه بردة النبى صلى الله عليه وسلم والقضيب وكانا اخذا من المسترشد فاعادهما الآن الى المقتفى (وفى هذه السنة) ملك الاسماعيلية حصن مصياف بالشام وكان واليه مملوكا لبنى منقذ صاحب شيزر فاحتال عليه الاسماعيلية ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن (وفيها) توفى الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان قتيلا فى فندق بمراكش وكان فاضلا فى الادب الف عدة كتب منها قلائد العقيان ذكر فيه عدة من الفضلاء واشعارهم ولقد اجاد فيه (ثم دخلت سنة ست وثلثين وخمس مائة) فى هذه السنة فى المحرم وقيل فى صفر كان المصاف العظيم بين الترك الكفار من الخطا وبين السلطان سنجر فان خوارزم شاه اطسز بن محمد لما هزمه سنجر وقتل ولد اطسز عظم ذلك عليه وكاتب الخطا واطمعهم فى ملك ما وراء النهر فساروا فى جمع عظيم وسار اليهم السلطان سنجر فى جمع عظيم والتقوا بما وراء النهر فانهزم عسكر سنجر وقتل منهم خلق عظيم واسرت امرأة سنجر ولما تمت الهزيمة على المسلمين سار خوارزم شاه اطسز الى خراسان ونهب من اموال سنجر ومن بلادها شيئا كثيرا واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر (ثم دخلت سنة سبع وثلثين وخمس مائة) فى هذه السنة بعث عماد الدين زنكى جيشا ففتحوا قلعة اشب وكانت من اعظم حصون الاكراد الهكارية وامنعها ولما ملكها زنكى امر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها وكانت العمادية حصنا عظيما

(ثم دخلت سنة احدى واربعين وخمس مائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب)

وسبب ملكهم اياها انهم نزلوا عليها وحصروها فلما كان اليوم الثالث من نزولهم سمع الفرنج في المدينة ضجة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وكان سببه ان اهل طرابلس اختلفوا فاراد طائفة منهم تقديم رجل من الملثمين ليكون اميرهم وارادت طائفة اخرى تقديم بني مطروح فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة وصعدوا بالسلالم وملكوها بالسيف في المحرم من هذه السنة وسفكوا دماء اهلها وبعد ان استقر الفرنج في ملك طرابلس بذلوا الامان لمن بقي من اهل طرابلس وتراجعت اليها الناس وحسن حالها

(ذكر حصار عماد الدين زنكي حصن جعبر وفنك وقتله)

في هذه السنة سار زنكي ونزل على قلعة جعبر وحصرها وصاحبها علي بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي وارسل عسكرا الى قلعة فنك وهي تجاور جزيرة ابن عمر فحصرها ايضا وصاحبها حسام الدولة الكردي البشنوي ولما طال على زنكي منازلة قلعة جعبر ارسل مع حسان المنبجي الذي كان صاحب منبج يقول لصاحب قلعة جعبر قل لي من يخلصك مني فقال صاحب قلعة جعبر لحسان يخلصني منه الذي خلصك من بلك بن بهرام بن ارتق وكان بلك محاصرا منبج فجاءه سهم فقتله فرجع حسان الى زنكي ولم يخبره بذلك فاستمر زنكي منازلا قلعة جعبر فوثب عليه جماعة من مماليكه وقتلوه في خامس ربيع الآخر من هذه السنة بالليل وهربوا الى قلعة جعبر فصاح من بها على العسكر واعلموهم بقتل زنكي فدخل اصحابه اليه وبه رمق وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة ودفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره عظيمها وكان له الموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق وكان شجاعا وكانت الاعداء محيطة بمملكته من كل جهة وهو ينتصف منهم ويستولي على بلادهم ولما قتل زنكي كان ولده نور الدين محمود حاضرا عنده فأخذ خاتم والده وهو ميت من اصبعه وسار الى حلب فملكها وكان صحبة زنكي ايضا الملك الب ارسلان بن محمود ابن السلطان محمد السلجوقي فركب في يوم قتل زنكي واجتمعت عليه العساكر فحسن له بعض اصحاب زنكي الاكل والشرب وسماع المغاني فسار الب ارسلان الى الرقة واقام بها منعكفا على ذلك

المذكور واناتابكه ولهذا سمى اتابك زنكى وكان الب ارسلان المذكور بالموصل وجقر يقوم بوظائف خدمته فحسن بعض المناحيس لالب ارسلان المذكور قتل جقر واخذ البلاد من عماد الدين زنكى فلما دخل جقر الى الب ارسلان على عادته وثب عليه من عند الب ارسلان فقتلوه فاجتمعت كبراء دولة زنكى وامسكوا الب ارسلان ولم يطعه احد ولما بلغ زنكى ذلك وهو محاصر للبيرة عظم عليه قتل جقر وخشى من الفتن فرحل عن البيرة لذلك وخشى الفرنج الذين بها من معاودة الحصار وعلموا بضعفهم عن عماد الدين فراسلوا نجم الدين صاحب ماردين وسلموا البيرة اليه وصارت للمسلمين (وفيها) خرج اسطول الفرنج من صقلية الى ساحل افريقية وملكوا مدينة برسك وقتلوا اهلها وسبوا الحريم (وفيها) توفى تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب وولى بعده اخوه اسحق بن على وضعف امر الملثمين وقوى عبد المؤمن وقد تقدم ذكر ذلك فى سنة اربع عشرة وخمس مائة (ثم دخلت سنة اربعين وخمس مائة) فيها هرب على بن دبيس بن صدقة من السلطان مسعود وكان قد اراد حبسه فى قلعة تكريت فهرب الى الحلة واستولى عليها وكثر جمعه وقويت شوكته (وفيها) اعتقل الخليفة المقتفى اخاه ابا طالب وضيق عليه وكذلك احتاط على غيره من اقاربه (وفيها) ملك الفرنج شنترين وباجر وماردة واشبونة وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الاندلس (وفيها) توفى مجاهد الدين بهروز وحكم فى العراق نيفا وثلثين سنة وكان بهروز خصيا ابيض (وفيها) توفى الشيخ ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقى اللغوى ومولده فى ذى الحجة سنة خمس وستين واربع مائة اخذ اللغة عن ابى زكريا التبريزى وكان يؤم بالخليفة المقتفى وكان طويل الصمت كثير التحقيق لايقول الشئ الابعد فكر كثير وكان يقول كثيرا اذا سئل لاادرى واخذ العلم عنه جماعة منهم تاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن الكندى ومحب الدين ابو البقا وعبد الوهاب بن سكينة (وفيها) توفى ابو بكر يحى بن عبد الرحمن بن بقى الاندلسى القرطبى الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعة ومن شعره ما اورده فى قلائد العقيان

يا افتك الناس الحاظا واطيبهم * ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
فى صحن خدك وهو الشمس طالعة * ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايمان حبك فى قلبى تجدده * من خدك الكتب او من لحظك الرسل
ان كنت تجهل انى عبد مملكة * مرنى بما شئت آتيه وامتثل
لو اطلعت على قلبى وجدت به * من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

(ثم)

غريب نقل وجود مثله وسار الامير حسن باهله واولاده الى بعض امراء العرب ممن كان يحسن اليه واقام عنده واراد الحسن المسير الى الخليفة العلوي الحافظ صاحب مصر فلم يقدر على المسير لخوف الطرق فسار الى ملك بجاية يحيى ابن العزيز من بني حماد فوكل يحيى المذكور على الحسن وعلى اولاده من يمنعهم من التصرف ولم يجتمع يحيى بهم وانزلهم في جزائر بني مزغنان وبقي الحسن كذلك حتى ملك عبد المؤمن بن علي بجاية في سنة سبع واربعين وخمس مائة واخذ هاهي وجميع ممالك بني حماد فحضر الامير الحسن عنده فاحسن اليه عبد المؤمن واكرمه واستمر على ذلك في خدمة عبد المؤمن الى ان فتح المهدية فاقام فيها واليا من جهته وامره ان يقتدي برأي الامير حسن ويرجع الى قوله وكان عدة من ملك من بني باديس بن زيري بن مناد الى الحسن تسعة ملوك وكانت ولايتهم في سنة احدى وستين وثلث مائة وانقضت في سنة ٥٤٣ ثلث واربعين وخمس مائة ثم ان جرجي بذل الامان لاهل المهدية وارسل وراءهم بذلك وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع فرجعوا الى المهدية

(ذكر حصر الفرنج دمشق)

في هذه السنة سار ملك الالمان والالمان بلادهم وراء القسطنطينية حتى وصل الى الشام في جمع عظيم ونزل على دمشق وحصرها وصاحبها مجير الدين ابق بن محمد بن توري بن طغتكين والحكم وتدبير المملكة انما هو لمعين الدين انر مملوك جده طغتكين وفي سادس ربيع الاول زحفوا على مدينة دمشق ونزل ملك الالمان بالميدان الاخضر وارسل انر الى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده فسار بعسكره من الموصل الى الشام وسار معه اخوه نور الدين محمود بعسكره ونزلوا على حمص فبث ذلك في اعضاد الفرنج وارسل انر الى فرنج الشام يبذل لهم تسليم قلعة بانياس فتخاذلوا عن ملك الالمان واشاروا عليه بالرحيل ووجود من امداد المسلمين فرحل عن دمشق وعاد الى بلاده وسلم انر قلعة بانياس الى الفرنج حسبما شرطه لهم

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة كان بين نور الدين محمود وبين الفرنج مصاف بارض يغرى من العمق فانهزم الفرنج وقتل منهم واسر جماعة كثيرة وارسل من الاسرى والغنيمة الى اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل (وفيها) ملك الفرنج من الاندلس مدينة طرطوشة وجميع قلاعها وحصون لاردة (وفيها) كان الغلاء العام من خراسان الى العراق الى الشام الى بلاد المغرب

وارسل كبراء دولة زنكى الى والده سيف الدين غازى بن زنكى يعلمونه بالحال وهو بشهر زوز فسار الى الموصل واستقر فى ملكها واما الب ارسلان فتفرقت عنه العساكر وسار الى الموصل يريد ملكها فلما وصلها قبض عليه غازى بن زنكى وحبسه فى قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين غازى للموصل وغيرها

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة ارسل عبد المؤمن بن على جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام واستولوا عليها (وفيها) بعد قتل عماد الدين زنكى قصد صاحب دمشق مجير الدين ابق حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين ايوب بن شاذى مستحفظا فخاف ان اولاد زنكى لا يمكنهم انجاده بالعاجل فصالحه وسلم القلعة اليه واخذ منه اقطاعا ومالا وملكه عدة قرى من بلاد دمشق وانتقل ايوب الى دمشق وسكنها واقام بها (ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمس مائة) فى هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منها مدينة ارتاح بالسيف وحصر مامولة وبصر فوت وكفر لاثا (ثم دخلت سنة ثلث واربعين وخمس مائة)

(ذكر ملك الفرنج المهدية بافريقية وحال مملكة بنى باديس)

كان قد حصل بافريقية غلاء شديد حتى اكل الناس بعضهم بعضا ودام من سنة سبع وثلثين وخمس مائة الى هذه السنة ففارق الناس القرى ودخل اكثرهم الى جزيرة صقلية فاغتنم رجار الفرنجى صاحب صقلية هذه الفرصة وجهز اسطولا نحو مائتين وخمسين شينيا مملوة رجالا وسلاحا واسم مقدمهم جرج وساروا من صقلية الى جزيرة قوصرة وهى ما بين المهدية وصقلية وساروا منها واشرفوا على المهدية ثانى صفر من هذه السنة وكان فى المهدية الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى صاحب افريقية فجمع كبراء البلد واستشارهم فراوا ضعف حالهم وقلة المؤنة عندهم فاتفق رأى الامير حسن بن على على اخلاء المهدية فخرج منها واخذ معه ما خف حمله وخرج اهل المهدية على وجوههم باهليهم واولادهم وبقى الاسطول فى البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهدية ثم دخلوا المهدية بعد مضى ثلثى النهار المذكور بغير ممانع ولا مدافع ولم يكن قد بقى من المسلمين بالمهدية ممن عزم على الخروج احد ودخل جرج مقدم الفرنج الى قصر الامير حسن ابن على فوجده على حاله لم يعدم منه الا ما خف حمله ووجد فيه جماعة من حظايا الحسن بن على ووجد الخزاين مملوة من الذخاير النفيسة من كل شئ

صاحب افريقية وقدم الى الديار المصرية وتوفي بها فتزوج العادل بن السلار بزوجة ابى الفتوح المذكور ومعها ولدها عباس بن ابى الفتوح فرباه العادل واحسن تربيته ولما قدم العادل الى مصر يريد الاستيلاء على الوزارة ارسل ربيبه عباسا فى عسكر الى ابن مصال فظفر به عباس وقتله وعاد الى العادل بالقاهرة فاستقر العادل فى الوزارة وتمكن ولم يكن للخليفة الظافر معه حكم وبقى العادل كذلك الى سنة ثمان واربعين وخمس مائة فقتله ربيبه عباس المذكور وتولى الوزارة على ما سنذكره

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة حصر نور الدين محمود بن زنكى حصن حارم فجمع البرنس صاحب انطاكية الفرنج وسار الى نور الدين واقتتلوا فانتصر نور الدين وقتل البرنس وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم ولما قتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند وهو طفل وتزوجت امه برجل آخر وتسمى بالبرنس ثم ان نور الدين غزاهم غزوة اخرى فهزمهم وقتل فيهم واسر وكان فيمن اسر البرنس الثانى زوج ام بيمند فتمكن ح بيمند فى ملك انطاكية (وفيها) زلزلت الارض زلزلة شديدة (وفيها) توفى معين الدين انز صاحب دمشق وهو الذى كان اليه الحكم فيها واليه ينسب قصر معين الدين الذى فى الغور (وفيها) تولى ابو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتفى يوم الاربعاء رابع ربيع الآخر وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام (وفيها) توفى القاضى ناصح الدين الارجانى وارجان من اعمال تستر وتولى المذكور قضاء تستر واسمه احمد بن محمد ابن الحسين وله الشعر الفائق فمن ذلك قوله

ولما بلوت الناس اطلب عندهم * اخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت فى حالى رخاء وشدة * وناديت فى الاحياء هل من مساعد
فلم ار فيما ساءنى غير شامت * ولم ار فيما سرنى غير حاسد
تمتعتما يا ناظرى بنظرة * واوردتما قلبى امر الموارد
اعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

(وفيها) توفى بمراكش القاضى عياض بن موسى بن عياض السبتى ومولده بها فى سنة ست وسبعين واربع مائة احد الائمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الادباء وتآليفه واشعاره شاهدة بذلك ومن تصانيفه الاكمال فى شرح كتاب مسلم ومشارق الانوار فى تفسير غريب الحديث (ثم دخلت سنة خمس واربعين وخمس مائة) فى هذه السنة رابع عشر المحرم اخذت العرب جميع الحجاج بين مكة والمدينة ذكران اسم ذلك المكان الغرابى فهلك اكثرهم ولم يصل منهم الى البلاد

وفى ربيع الاول من هذه السنة اعنى سنة ثلث واربعين وخمس مائة قتل نور الدولة شاهنشاه بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين قتله الفرنج لما كانوا منازلين دمشق فجرى بينهم وبين المسلمين مصاف قتل فيه شاهنشاه المذكور وهو ابو الملك المظفر عمر صاحب حماة وابو فرخشاه صاحب بعلبك وكان شاهنشاه اكبر من صلاح الدين وكانا شقيقين (ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمس مائة)

(ذكر وفاة غازى بن زنكى)

فى هذه السنة توفى سيف الدين غازى بن عماد الدين اتابك زنكى صاحب الموصل بمرض حاد فى اواخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلث سنين وشهرا وعشرين يوما وكان حسن الصورة ومولده سنة خمس مائة وخلف ولدا ذكرا فرباه عمه نور الدين واحسن تربيته وتوفى المذكور شابا وانقرض بموته عقب سيف الدين غازى وكان سيف الدين المذكور كريما يصنع لعسكره كل يوم طعاما كثيرا بكرة وعشية وهو اول من حمل على رأسه السنجق فى ركوبه وامر الاجناد ان لا يركبوا الا بالسيوف فى اوساطهم والدبوس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به اصحاب الاطراف ولما توفى سيف الدين غازى كان اخوه قطب الدين مودود بن زنكى مقيما بالموصل فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين على امير الجيش على تمليكه فحلفاه وحلفا له وكذلك باقى العسكر واطاعه جميع بلاد اخيه سيف الدين ولما تملك تزوج الخاتون ابنة تمرتاش صاحب ماردين وكان اخوه سيف الدين قد تزوجها ومات قبل الدخول بها وهى ام اولاد قطب الدين

(ذكر وفاة الحافظ لدين الله العلوى وولاية الظافر)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الامير ابى القاسم بن المستنصر العلوى صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الا خمسة اشهر وكان عمره نحو سبع وسبعين سنة ولم يل الخلافة من العلويين المصريين من ابوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد على ما سنذكره ولما توفى الحافظ بويع بعده ابنه الظافر بامر الله ابو منصور اسمعيل بن الحافظ عبد المجيد واستوزر ابن مصال فبقى اربعين يوما وحضر من الاسكندرية العادل ابن السلار وكان قد خرج ابن مصال من القاهرة فى طلب بعض المفسدين فارسل العادل بن السلار ربيبه عباس بن ابى الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجى وكان ابوه ابو الفتوح قد فارق اخاه على بن يحيى

(ذكر وفاة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه وملك ملكشاه ومحمد ابني محمود)

في هذه السنة وقيل في اواخر سنة ست واربعين في اول رجب توفي السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه بهمدان ومولده سنة اثنتين وخمس مائة في ذي القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم لهم بعده راية يعتد بها وكان حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس كريما عفيفا عن اموال الرعايا ولما مات عهد بالملك الى ابن اخيه ملكشاه بن محمود فقعد في السلطنة وخطب له وكان المتغلب على المملكة اميرا يقال له خاص بك واصله صبي تركماني اتصل بخدمة السلطان مسعود فتقدم على سائر امرائه ثم ان خاص بك المذكور قبض على السلطان ملكشاه ابن محمود وسجنه وارسل الى اخيه محمد بن محمود وهو بخوزستان فاحضره وتولى السلطنة وجلس على السرير وكان قصد خاص بك ان يمسكه ويخطب لنفسه بالسلطنة فبدره السلطان محمد في ثاني يوم وصوله فقتل خاص بك وقتل معه زنكي الجاندار والقى برأسيهما فتفرق اصحابهما

(ذكر فتح داوك)

في هذه السنة جمعت الفرنج وساروا الى نور الدين وهو محاصر داوك فرحل عنها وقاتلهم اشد قتال رآه الناس وانهزمت الفرنج وقتل واسر كثير منهم ثم عاد نور الدين الى داوك فملكها ومما مدح به في ذلك

اعدت بعصرك هذا الجديد * فتوح النبي واعصارها
وفي تل باشر باشرتهم * بزحف تسور اسوارها
وان دالكتهم داوك فقد * سددت ؟ فصدقت اخبارها

(ذكر ابتداء ظهور الملوك الغورية وانقراض دولة آل سبكتكين)

اول من اشتهر من الملوك الغورية اولاد الحسين واولهم محمد بن الحسين وكان قد صاهر بهرام شاه بن مسعود صاحب غزنة من آل سبكتكين وسار محمد بن الحسين المذكور الى غزنة يظهر الطاعة لبهرام شاه ويبطن الغدر فامسكه بهرام شاه وقتله فتولى بعده في ملك الغورية أخوه سودى بن الحسين وسار الى غزنة طالبا بثار اخيه وجرى القتال بينه وبين بهرام شاه فظفر بهرام شاه بسودى وقتله ايضا وانهزم عسكره ثم ملك بعدهما أخوهما علاء الدين الحسين بن الحسين وسار الى غزنة فانهزم عنها صاحبها بهرام شاه واستولى علاء الدين الحسين على غزنة واقام فيها أخاه سيف الدين سام بن الحسين وعاد علاء الدين الحسين بن الحسين الى الغور

الا القليل (وفيها) سار نور الدين محمود بن زنكي الى فامية وحصر قلعتها وتسلها من الفرنج وحصنها بالرجال والذخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنها فملكها قبل وصولهم فلما بلغهم فتحها تفرقوا (وفيها) سار الادفونش صاحب طيطلة بجموع الفرنج الى قرطبة وحصرها ثلثة اشهر ثم رحل عنها ولم يملكها (وفيها) مات الامير علي بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة (ثم دخلت سنة ست واربعين وخمس مائة)

(ذكر هزيمة نور الدين من جوسلين ثم اسر جوسلين)

كان جوسلين من اعظم فرسان الفرنج قد جمع بين الشجاعة وجودة الرأى وكان نور الدين قد عزم على قصد بلاده فجمع جوسلين الفرنج فاكثر وسار نحو نور الدين والتقوا فانهزم المسلمون وقتل واسر منهم جمع كثير وكان من جملة من اسر السلاح دار ومعه سلاح نور الدين فارسله جوسلين الى مسعود بن قليج ارسلان صاحب قونيه واقسرا وقال هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما هو اعظم منه فعظم ذلك على نور الدين وهجر الملاذ وافكر فى امر جوسلين وجمع التركمان وبذل لهم الوعود ان ظفروا به اما بامساك او بقتل فاتفق ان جوسلين طلع الى الصيد فكبسه التركمان وامسكوه فبذل لهم مالا فأجابوه الى اطلاقه فسار بعض التركمان واعلم ابا بكر ابن الداية نائب نور الدين بحلب فارسل عسكرا كبسوا التركمان الذين عندهم جوسلين واحضروه الى نور الدين اسيرا وكان اسر جوسلين من اعظم الفتوح واصيبت النصرانية كافة باسره ولما اسر سار نور الدين الى بلاد جوسلين وقلاعه فملكها وهى تل باشر وعين تاب وذلوك وعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفرسود وكفرلاثا ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك فى مدة يسيرة وكان نور الدين كلما افتتح منها موضعا حصنه بما يحتاج اليه من الرجال والذخائر (ثم دخلت سنة سبع واربعين وخمس مائة) من الكامل فى هذه السنة سار عبد المؤمن بن على الى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بنى حماد واخذها من صاحبها يحيى ابن العزيز بن حماد آخر ملوك بنى حماد وكان يحيى المذكور مولعا بالصيد واللهو لا ينظر فى شئ من امور مملكته ولما هزم عبد المؤمن عسكر يحيى هرب يحيى وتحصن بقلعة قسطنطينية من بلاد بجاية ثم نزل يحيى الى عبد المؤمن بالامان فامنه وارسله الى بلاد المغرب واقام بها واجرى عبد المؤمن عليه شيئا كثيرا وقد ذكر فى تاريخ القيروان ان مسير عبد المؤمن وملكه تونس وافريقية انما كان فى سنة اربع وخمسين وخمس مائة

بلهـاوورواتسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم كتب غياث الدين الى اخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقب بالقاب منها معين الاسلام قسيم امير المؤمنين ولما استقر ذلك سار شهاب الدين الى اخيه غياث الدين واجتمعا وسارا الى خراسان وقصدا مدينة هراة وحصراها وتسلمها غياث الدين بالامان ثم سار ومعه شهاب الدين فى عساكرهما الى بوشنج فملكها ثم عاد الى باذغيس وكاين وبيوار فملكها ثم رجع غياث الدين الى بلده فيروزكوه ورجع أخوه شهاب الدين الى غزنة ولما استقر شهاب الدين بغزنة قصد بلاد الهند وفتح مدينة اجر ثم عاد الى غزنة ثم قصد الهند فدال صنعا بها وتيسر له فتح الكثير من بلادهم ودوخ ملوكهم وبلغ منهم ما لم يبلغ أحد من ملوك المسلمين ولما كثر فتوحه فى الهند اجتمعت الهنود مع ملوكهم فى خلق كثير والتقوا مع شهاب الدين وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم المسلمون وجرح شهاب الدين وبقى بين القتلى ثم اجتمعت عليه اصحابه وحملوه الى مدينة اجر واجتمعت عليه عساكره واقام شهاب الدين فى اجر حتى اتاه المدد من أخيه غياث الدين ثم اجتمعت الهنود وتنازل الجمعان وبينهما نهر فكبس عساكر المسلمين الهنود وتمت الهزيمة عليهم وقتل المسلمون من الهنود ما يفوت الحصر وقتلت ملكتهم وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند واقطع مملوكه قطب الدين ايبك مدينة دهلى وهى من كراسى ممالك الهند فارسل ايبك عسكرا مع مقدم يقال له محمد بن بختيار فملكوا من الهند مواضع ما وصلها مسلم قبله حتى قارب ناحية الصين

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

فى هذه السنة توفى حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وميافارقين وكانت ولايته نيفا وثلثين سنة لانه ولى بعد موت ابيه فى سنة ست عشرة وخمس مائة حسبما تقدم ذكره وتولى بعده ابنه نجم الدين البى ابن تمرتاش بن ايلغازى ابن ارتق (ثم دخلت سنة ثمان واربعين وخمس مائة)

(ذكر اخبار الغز وهزيمة السلطان سنجر منهم واسره)

فى هذه السنة فى المحرم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك وكانوا بما وراء النهر فلما ملكه الخطا اخرجوهم منه فقصدوا خراسان وكانوا كفارا وكان من اسلم منهم وخالط المسلمين يصير ترجمانا بين الفريقين حتى صار من اسلم منهم قيل عنه انه صار ترجمانا ثم قيل تركمانا بالكاف العجمية وجمع على تراكمين ثم اسلم الغز جميعهم فقيل لهم تراكمين ولما قدموا الى خراسان اقاموا

فكاتب اهل غزنة بهرام شاه فسار اليهم واقتتل مع سيف الدين الغورى فانتصر بهرام شاه وظفر بسيف الدين سام فقتله واستقر بهرام شاه فى ملك غزنة ثم توفى بهرام شاه وملك بعده ابنه خسرو شاه وتجهز علاء الدين الحسين ملك الغورية وسار الى غزنة فى سنة خمسين وخمس مائة فلما قرب منها فارقها صاحبها خسرو شاه بن بهرام شاه وسار الى لهاوور وملك علاء الدين الحسين ابن الحسين غزنة ونهبها ثلثة ايام وتلقب علاء الدين بالسلطان المعظم وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية واقام الحسين على ذلك مدة واستعمل على غزنة ابنى اخيه وهما غياث الدين محمد بن سام واخوه شهاب الدين محمد ابن سام ثم جرى بينهما وبين عمهما علاء الدين الحسين حرب انتصرا فيه على عمهما واسراه ولما اسراه اطلقاه واجلساه على التخت ووقفا فى خدمته واستمر عمهما فى السلطنة وزوج غياث الدين بابنته وجعله ولى عهده وبقى كذلك الى ان مات علاء الدين الحسين بن الحسين فى سنة ست وخمسين وخمس مائة على ما نذكره وملك بعده غياث الدين محمد بن سام بن الحسين وخطب لنفسه فى الغور وغزنة بالملك ثم استولى الغز على غزنة وملكوها منه مدة خمس عشرة سنة ثم ارسل غياث الدين أخاه شهاب الدين الى غزنة فسار اليها وهزم الغز وقتل منهم خلقا كثيرا واستولى على غزنة وماجاورها من البلاد مثل كرمان وشنوران وماء السند وقصد لهاوور وبها يومئذ خسرو شاه بن بهرام شاه السبكتكينى فملكها شهاب الدين فى سنة تسع وسبعين وخمس مائة بعد حصار واعطى خسرو شاه الامان وحلف له لحضر خسرو شاه عند شهاب الدين بن سام المذكور فاكرمه شهاب الدين واقام خسرو شاه على ذلك شهرين ولما بلغ غياث الدين بن سام ذلك ارسل الى أخيه شهاب الدين يطلب منه خسرو شاه فأمره شهاب الدين بالتوجه فقال خسرو شاه أنا ما اعرف اخاك ولاسلمت نفسى الا اليك فطيب شهاب الدين خاطره وارسله وارسل ايضا ابن خسرو شاه مع ابيه الى غياث الدين وارسل معهما عسكرا يحفظونهما فلما وصلوا الى الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل امر بهما فرفعا الى بعض القلاع وكان آخر العهد بهما وخسرو شاه المذكور هو ابن بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وهو آخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلث مائة وملكوا مائتى سنة وثلث عشرة سنة تقريبا فيكون انقراض دولتهم فى سنة ثمان وسبعين وخمس مائة وقدمنا ذلك لتتصل اخبارهم وكان ملوكهم من احسن الملوك سيرة وقيل ان خسرو شاه توفى فى الملك وملك بعده ابنه ملكشاه على ما نشير اليه فى مواضعه ان شاء الله تعالى ولما استقر ملك الغورية

الفرنجى ملك صقلية بالخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة وملكه نحو عشرين سنة وملك بعده ابنه غليالم (وفيها) فى رجب توفى بغزنه بهرام شاه بن مسعود ابن ابراهيم السبكتكينى صاحب غزنة وقام بالملك بعده ولده نظام الدين خسروشاه وكانت مدة ملك بهرام شاه نحو ست وثلثين سنة وذلك من حين قتل اخاه ارسلان شاه بن مسعود فى سنة اثنى عشرة وخمس مائة وكان ابتداء ولايته من حين انهزم اخوه قبل ذلك فى سنة ثمان وخمس مائة حسبما تقدم ذكره فى السنة المذكورة وكان بهرام شاه حسن السيرة (وفيها) ملك الفرنج مدينة عسقلان وكانت الخلفاء بمصر والوزراء يجهزون اليها المؤن والسلاح فلما كانت هذه السنة قتل العادل بن السلار واختلفت الاهواء فى مصر فتمكن الفرنج من عسقلان وحاصروها وملكوها (وفيها) وصلت مراكب من صقلية فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية (وفيها) توفى ابو الفتح محمد ابن عبد الكريم بن احمد الشهرستانى المتكلم على مذهب الاشعرى وكان اماما فى علم الكلام والفقه وله عدة مصنفات منها نهاية الاقدام فى علم الكلام والملل والنحل والمناهج وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام ودخل بغداد سنة عشر وخمس مائة وكانت ولادته سنة سبع وستين ؟ واربع مائة بشهرستان وتوفى بها وشهرستان اسم لثلث مدن الاولى شهرستان خراسان بين نيسابور وخوارزم عند اول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهى التى منها محمد الشهرستانى المذكور وبناها عبدالله ابن طاهر امير خراسان والثانية شهرستان بارض فارس والثالثة مدينة بجى باصفهان يقال لها شهرستان وبينها وبين اليهودية مدينة اصفهان نحو ميل ومعنى هذه الكلمة مدينة الناحية بالعجمى لان شهر اسم المدينة واستان الناحية (ثم دخلت سنة تسع واربعين وخمس مائة)

(ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفائز)

فى هذه السنة فى المحرم قتل الظافر بالله ابو منصور اسمعيل ابن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى قتله وزيره عباس الصنهاجى وسببه انه كان لعباس ولد حسن الصورة يقال له نصر فاحبه الظافر وما بقى يفارقه وكان قد قدم من الشام مؤيد الدولة اسامة بن منقذ الكنانى فى وزارة العادل فحسن لعباس قتل العادل فقتله وتولى مكانه ثم حسن لعباس ايضا قتل الظافر فانه قال له كيف تصبر على ما اسمع من قبيح القول فقال له عباس ماهو فقال ان الناس يقولون ان الظافر يفعل بابنك نصر فانف عباس وامر ابنه نصرا فدعا الظافر الى بيته وقتله وقتلا كل من معه وسلم خادم صغير فحضر الى القصر واعلمهم بقتل الظافر ثم حضر عباس الى القصر وطلب الاجتماع بالظافر وطلبه من اهل القصر فلم يجدوه فقال

بنواحى بلخ مدة طويلة ثم عن للامير قماج مقطع بلخ ان يخرجهم من بلاده فامتنعوا فسار قماج اليهم فى عشرة آلاف فارس فحضر اليه كبرا الغز وسالوه ان يكف عنهم و يتركهم فى مراعيهم و يعطوه عن كل بيت مائتى درهم فلم يجبهم الى ذلك واصر على اخراجهم او قتالهم فاجتمعوا واقتتلوا فانهزم قماج وتبعه الغز يقتلون و ياسرون ثم عاثوا فى البلاد فاسترقوا النساء والاطفال وخربوا المدارس وقتلوا الفقهاء وعملوا كل عظيمة ووصل قماج الى السلطان سنجر منهزما واعلمه بالحال فجمع سنجر عساكره وسار اليهم فى مائة الف فارس فارسل الغز يعتذرون اليه مما وقع منهم و بذلوا له بذلا كثيرا ليكف عنهم فلم يجبهم وقصدهم ووقعت بينهم حرب شديدة فانهزمت عساكر سنجر وتبعهم الغز يقتلون فيهم و ياسرون فقتل علاء الدين قماج واسر السلطان سنجر واسر معه جماعة من الامراء فضربوا اعناقهم واما سنجر فلما اسروه اجتمع امراء الغز وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له نحن عبيدك لانخرج عن طاعتك و بقى معهم كذلك شهرين اوثلثة ودخلوا معه الى مرو وهى كرسى ملك خراسان فطلبها منه بختيار اقطاعا وهو من اكبر امراء الغز فقال سنجر هذه دار الملك ولايجوز ان تكون اقطاعا لاحد فضحكوا منه وحبق له بختيار بفمه فلما راى سنجر ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانقاه مرو وتاب من الملك واستولى الغز على البلاد فنهبوا نيسابور وقتلوا الكبار والصغار وقتلوا القضاة والعلماء والصلحاء الذين بتلك البلاد فقتل الحسين ابن محمد الارسابندى والقاضى على بن مسعود والشيخ محى الدين محمد بن يحيى الفقيه الشافعى الذى لم يكن فى زمانه مثله وكان رحلة الناس من الشرق والغرب وغيرهم من الائمة والفضلاء ولم يسلم شى من خراسان من النهب غير هراة ودهستان لحصانتهما ولما كان من هزيمة سنجر واسره ما كان اجتمع عسكره على مملوك لسنجر يقال له اى به ولقبه المؤيد واستولى المؤيد على نيسابور وطوس ونسا وابيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغز عنها واحسن السيرة فى الناس وكذلك استولى فى السنة المذكورة على الرى مملوك لسنجر يقال له اينانج وهادى الملوك واستقر قدمه وعظم شأنه

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة قتل العادل بن السلار وزير الظافر العلوى قتله ربيبه عباس ابن ابى الفتوح الصنهاجى باشارة اسامة ابن منقذ وكان العادل قد تزوج بام عباس المذكور واحسن تربية عباس فجازاه بان قتله وولى مكانه وكانت الوزارة فى مصر لمن غلب (وفيها) كان بين عبد المؤمن ملك الغرب و بين العرب حرب شديد انتصر فيها عبد المؤمن (وفيها) مات رجار

لحصرها وبلغه حركة عسكر الموصل اليه فرحل عنها ولم يبلغ غرضا (وفيها) هجم الغز نيسابور بالسيف وقيل كان معهم السلطان سنجر معتقلا وله اسم السلطنة ولكن لايلتفت اليه وكان اذاقدم اليه الطعام يدخر منه مايأكله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه لتقصيرهم في حقه (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمس مائة) في هذه السنة ثارت اهل بلاد افريقية على من بها من الفرنج فقتلوهم وسار عسكر عبد المؤمن فملك بونة وخرجت جميع افريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهدية وسوسة (وفيها) قبض زين الدين على كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان سليمان المذكور قدقدم الى بغداد وخطب له بالسلطنة في هذه السنة وخلع عليه الخليفة المقتفي وقلده السلطنة على عادتهم وخرج من بغداد بعسكر الخليفة ليملك به بلاد الجبل فاقتتل هو وابن عمه السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه فانهزم سليمان شاه وسار يريد بغداد على شهر زور فخرج اليه على كوجك بعسكر الموصل فاسره وحبسه بقلعة الموصل مكرما الى ان كان منه مانذكره في سنة خمس وخمسين

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

في هذه السنة تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه اطسز بن محمد ابن الوش تكين وكان قد اصابه فالج فاستعمل أدوية شديدة الحرارة فاشتد مرضه وتوفي وكانت ولادته في رجب سنة تسعين واربع مائة وكان حسن السيرة ولما توفي ملك بعده ابنه ارسلان بن اطسز

(ذكر وفاة ملك الروم)

وفي هذه السنة توفي الملك مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان بن قطلومش ابن ارسلان بن سلجوق صاحب قونية وغيرها من بلاد الروم ولما توفي ملك بعده ابنه قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان المذكور

(ذكر هرب السلطان سنجر من اسر الغز)

في هذه السنة في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من اسر الغز وسار الى قلعة ترمذ ثم سار من ترمذ الى جيحون ووصل الى دار ملكه بمرو في رمضان من هذه السنة فكانت مدة اسره من سادس جمادى الاولى سنة ثمان واربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمس مائة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

انهم قد قتلوه فاحضر اخوين للظافر يقال لهما يوسف وجبريل وقتلهما عباس المذكور ايضا ثم احضر الفائز نصر الله ابا القاسم عيسى بن الظافر اسماعيل ثانى يوم قتل ابوه وله من العمر ثلث ٣ سنين فحمله عباس على كتفه واجلسه على سرير الملك وبايعه الناس واخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر النفيسة شيئا كثيرا ولما فعل عباس ذلك اختلفت عليه الكلمة وثارت الجند والسودان وكان طلايع ابن رزيك فى منية ابن خصيب واليا عليها فارسل اليه اهل القصر من النساء والخدام يستغيثون به وكان فيه شهامة فجمع جمعه وقصد عباسا فهرب عباس الى نحو الشام بما معه من الاموال والتحف التى لا يوجد مثلها ولما كان فى اثناء الطريق خرجت الفرنج على عباس المذكور فقتلوه واخذوا ما كان معه واسروا ابنه نصرا وكان قد استقر طلايع بن رزيك بعد هرب عباس فى الوزارة ولقب الملك الصالح فارسل الصالح بن رزيك الى الفرنج وبذل لهم مالا واخذ منهم نصر بن عباس واحضره الى مصر وادخل القصر فقتل وصلب على باب زويلة واما اسامة ابن منقذ فانه كان مع عباس فلما قتل عباس هرب اسامة ونجا الى الشام ولما استقر امر الصالح بن رزيك وقع فى الاعيان بالديار المصرية فأبادهم بالقتل والهروب الى البلاد البعيدة

(ذكر حصر تكريت)

فى هذه السنة سار المقتفى لامر الله الخليفة بعساكر بغداد وحصر تكريت واقام عليها عدة مجانيق ثم رحل عنها ولم يظفر بها

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق)

وأخذها من صاحبها مجير الدين ابق بن محمد بن تورى بن طغتكين كان الفرنج قد تغلبوا بتلك الناحية بعد ملكهم مدينة عسقلان حتى انهم استعرضوا كل مملوك وجارية بدمشق من النصارى واطلقوا قهرا كل من اراد منهم الخروج من دمشق والعوق بوطنه شاء صاحبه اوابى فخشى نور الدين ان يملكوا دمشق فكاتب اهل دمشق واستمالهم فى الباطن ثم سار اليها وحصرها ففتح له باب الشرقى فدخل منه وملك المدينة وحصر مجير الدين فى القلعة وبذل له اقطاعا من جملته مدينة حمص فسلم مجير الدين القلعة الى نور الدين وسار الى حمص فلم يعطه اياها نور الدين واعطاه عوضها بالس فلم يرضها مجير الدين وسار عنها الى العراق واقام ببغداد وابتنى دارا بقرب النظامية وسكنها حتى مات بها (وفى هذه السنة) والتى بعدها ملك نور الدين قلعة تل باشر واخذها من الفرنج (ثم دخلت سنة خمسين وخمس مائة) فى هذه السنة سار الخليفة المقتفى الى دقوقا

سار الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الى شيزر وملكها يوم الثلثا ثالث جمادى الاولى من سنة ثلث وخمسين وخمس مائة واستولى على كل من فيها لبني منقذ وسلمها الى مجد الدين ابي بكر بن الداية وقد ذكر ابن الاثير ان شيزر لم تزل لبني منقذ يتوارثونها من ايام صالح بن مرداس صاحب حلب وليس الامر كذلك فان صالح المذكور كانت وفاته في سنة عشرين واربع مائة وملك بني منقذ لشيزر كان في سنة اربع وسبعين واربع مائة فيكون ملكهم لشيزر بعد وفاة صالح بن مرداس باربع وخمسين سنة ونحن نورد اخبار بني منقذ محققة حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة اسامة بن مرشد وكان المذكور افضل بني منقذ قال وفي سنة ثمان وستين واربع مائة بدى جدي سديد الملك ابو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني بعمارة حصن الجسر وحصر به حصن شيزر (أقول) ويعرف الجسر المذكور في زماننا بجسر ابن منقذ وموضع الحصن اليوم تل خال من العمارة وهو قربى شيزر على مسافة قريبة منها رجعنا الى كلام ابن منقذ قال وكان في شيزر وال للروم اسمه دمتري فلما طالت المضايقة لدمتري المذكور راسل جدي هو ومن عنده من الروم في تسليم حصن شيزر اليه باقتراحات اقترحوها عليه منها مال يدفعه الى دمتري المذكور ومنها ابقاء املال[٣] الاسقف الذي بها عليه فانه استمر مقيما تحت يد جدي حتى مات بشيزر ومنها ان القنطارية وهم رجاله الروم يسلفهم ديوانهم الثلث سنين فسلم اليهم جدي ما التمسوه وتسلم حصن شيزر يوم الاحد في رجب سنة اربع وسبعين واربع مائة واستمر سديد الملك علي بن مقلد المذكور مالكها الى ان توفي فيها في سادس المحرم سنة تسع وسبعين واربع مائة وتولى بعده ولده ابو المرهف نصر بن علي الى ان توفي سنة احدى وتسعين واربع مائة وتولى بعده اخوه ابو العساكر سلطان بن علي الى ان توفي فيها وتولى ولده محمد بن سلطان الى ان مات تحت الردم هو وثلثة اولاده بالزلزلة في هذه السنة المذكورة اعني سنة اثنين وخمسين وخمس مائة في يوم الاثنين ثالث رجب انتهى مانقلناه من تاريخ ابن منقذ ولنرجع الى كلام ابن الاثير قال فلما انتهى ملك شيزر الى نصر ابن علي بن نصر بن منقذ استمر فيها الى ان مات سنة احدى وتسعين واربع مائة فلما حضره الموت استخلف أخاه مرشد بن علي على حصن شيزر فقال مرشد والله لاولينه ولاخرجن من الدنيا كما دخلتها ومرشد هو والد مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فلما امتنع مرشد من الولاية ولاها نصر اخاه الصغير سلطان بن علي واستمر مرشد مع أخيه سلطان على اجمل صحبة مدة

[٣] لعله املاك

فى هذه السنة بايع عبد المؤمن اولاده محمد بولاية العهد بعده وكانت ولاية العهد لابى حفص عمر وكان من اصحاب ابن تومرت وهو من اكابر الموحدين فأجاب الى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن (وفيها) استعمل عبد المؤمن اولاده على البلاد فاستعمل ابنه عبدالله على بجاية واعمالها وابنه عمر على تلمسان واعمالها وابنه عليا على فاس واعمالها وابنه أبا سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة وكذلك غيرهم (وفى هذه السنة) سار الملك محمد ابن السلطان محمود السلجوقى من همدان بعساكر كثيرة الى بغداد وحصرها وجرى بينهم قتال وحصن الخليفة المقتفى دار الخلافة واعتد للحصار واشتد الامر على أهل بغداد وبينا الملك محمد على ذلك اذ وصل اليه الخبران اخاه ملكشاه ابن السلطان محمود والدكز صاحب بلاد اران ومعه الملك ارسلان ابن الملك طغرل بن محمد وكان الدكز متزوجا بام ارسلان المذكور قد دخلوا الى همدان فرحل الملك محمد عن بغداد وسار نحوهم فى الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة (وفيها) احترقت بغداد فاحترق درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق السلطان وغير ذلك (وفيها) توفى ابو الحسن بن الخل شيخ الشافعية فى بغداد وهو من اصحاب الشاشى وجمع بين العلم والعمل وتوفى ابن الآمدى الشاعر وهو من اهل النيل فى طبقة الغزى والارجانى وكان عمره قد زاد على تسعين سنة (وفيها) قتل مظفر بن حماد صاحب البطيحة قتل فى الحمام وتولى بعده ابنه (وفيها) توفى الواوا الحلبى الشاعر المشهور (وفيها) توفى الحكيم ابو جعفر بن محمد البخارى باسفراين وكان عالما بعلوم الفلسفة (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة)

(ذكر الزلازل بالشام واخبار بنى منقذ اصحاب شيزر الى ان ملك نور الدين شيزر)

فى هذه السنة فى رجب كان بالشام زلازل قوية فخربت بها حماة وشيزر وحمص وحصن الاكراد وطرابلس وانطاكية وغيرها من البلاد المجاورة لها حتى وقعت الاسوار والقلاع فقام نور الدين محمود بن زنكى فى ذلك الوقت المقام المرضى من تداركها بالعمارة واغارته على الفرنج ليشغلهم عن قصد البلاد وهلك تحت الهدم مالا يحصى ويكفى ان معلم كتاب كان بمدينة حماة فارق المكتب وجاءت الزلزلة فسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يحضر احد يسال عن صبى كان له هناك ولما خربت قلعة شيزر بهذه الزلزلة ومات بنو منقذ تحت الردم

وقدم الى بغداد مع أخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام امره واطاعته السلاطين وخطب له على اكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو اربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك نحو عشرين سنة ولم يزل امره عاليا الى ان اسره الغز ولما خلص من اسرهم وكاد أن يعود اليه ملكه ادركه اجله وكان مهيبا كريما وكانت البلاد فى زمانه آمنة ولما وصل خبر موته الى بغداد قطعت خطبته ولما حضر سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغرا خان وهو ابن اخت سنجر فاقام خائفا من الغز

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة استولى ابو سعيد بن عبد المؤمن على غرناطة من الاندلس وأخذها من الملثمين وانقرضت دولة الملثمين ولم يبق لهم غير جزيرة ميورقة ثم سار ابو سعيد فى جزيرة الاندلس وفتح المرية وكانت بأيدى الفرنج مدة عشر سنين (وفيها) ملك نور الدين بعلبك وأخذها من انسان كان قد استولى عليها من اهل البقاع يقال له ضحاك البقاعى كان قد ولاه صاحب دمشق عليها فلما ملك نور الدين دمشق استولى ضحاك المذكور على بعلبك (وفيها) قلع المقتفى الخليفة باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحا بالفضة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتا يدفن فيه (وفيها) مات محمد بن عبد اللطيف ابن محمد الخجندى رئيس اصحاب الشافعى باصفهان وكان صدرا مقدما عند السلاطين (ثم دخلت سنة ثلث وخمسين وخمس مائة) فيها قصد ملكشاه ابن السلطان محمود السلجوقى قم وقاشان ونهبهما وكان أخوه السلطان محمد بن محمود بعد رحيله عن حصار بغداد قد مرض فطال مرضه فارسل الى أخيه ملكشاه ان يكف عن النهب ويجعله ولى عهده فلم يقبل ملكشاه ذلك ثم سار ملكشاه الى خوزستان واستولى عليها وأخذها من صاحبها شملة التركمانى (وفى هذه السنة) توفى يحيى بن سلامة ابن الحسن بميافارقين الحصكفى الشاعر وكان يتشيع ومن شعره

* وخليع بت اعذله * ويرى عذلى من العبث *
* قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث *
* قلت فالارفاث تتبعها * قال طيب العيش فى الرفث *
* قلت منها القئ قال اجل * شرفت عن مخرج الحدث *
* وساسلوها فقلت متى * قال عند الكون فى الجدث *

(ثم دخلت سنة اربع وخمسين وخمس مائة)

من الزمان وكان لمرشد عدة اولاد نجبا ولم يكن لسلطان ولد ثم جاء لسلطان الاولاد فخشي على أولاده من أولاد أخيه مرشد وسعى المفسدون بين مرشد وسلطان فتغير كل منهما على صاحبه فكتب سلطان الى أخيه مرشد ابياتا يعاتبه وكان مرشد عالما بالادب والشعر فاجابه مرشد بقصيدة طويلة منها

شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها * فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين فيَّ وطال ما * عصيت عذولا في هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلى * وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا

ومنها

ولما أتاني من قريضك جوهر * جمعت المعالي فيه لي والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حينا لانه * تولى برغمي حين ولى شبابيا

ومنها

وقلت اخي يرعى بني واسرتي * ويحفظ عهدي فيهم وذماميا
فمالك لما ان حنى الدهر صعدتي * وثلم مني صارما كان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة * وقربك منهم جفوة وتنائيا
على انني ماحلت عما عهدته * ولاغيرت هذي السنون ودادیا

وكان الامر بين مرشد وأخيه سلطان فيه تماسك الى أن توفي مرشد سنة احدى وثلثين وخمس مائة فأظهر سلطان التغير على اولاد أخيه مرشد المذكور وجاهرهم بالعداوة ففارقوا شيزر وقصد اكثرهم نور الدين محمود بن زنكي وشكوا اليه من عمهم سلطان فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده لاشتغاله بجهاد الفرنج وبقي سلطان كذلك الى أن توفي وولي بعده اولاده فلما خربت القلعة في هذه السنة بالزلزلة لم ينج من بني منقذ الذين كانوا بها احد فان صاحبها منهم كان قد ختن ولده وعمل دعوة للناس واحضر جميع بني منقذ في داره فجاءت الزلزلة فسقطت الدار والقلعة عليهم فهلكوا عن آخرهم وكان لصاحب شيزر ابن منقذ المذكور حصان يحبه ولا يزال على باب داره فلما جاءت الزلزلة وهلك بنو منقذ تحت الهدم سلم منهم واحد وهرب يطلب باب الدار فلما خرج من الباب رفسه الحصان المذكور فقتله وتسلم نور الدين القلعة والمدينة

(ذكر وفاة السلطان سنجر)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان ابن داود بن ميكايل بن سلجوق اصابه قولنج ثم اسهال فمات منه ومولده بسنجار في رجب سنة تسع وسبعين واربع مائة واستوطن مدينة مرو من خراسان

حيا خدمته فى هذا الوقت وان كان قد مات فانا فى دمشق نفعل ما تريد من ملكها فعاد شيركوه الى حلب مجدا وجلس نور الدين فى شباك يراه الناس فلما رأوه حيا تفرقوا عن أخيه امير ميران واستقامت الاحوال

(ذكر اخبار اليمن من تاريخ اليمن لعمارة)

وفى هذه السنة استقر فى ملك اليمن على بن مهدى وازال ملك بنى نجاح على ما قدمناذكره فى سنة اثنى عشرة واربع مائة وعلى بن مهدى المذكور من حمير من اهل قرية يقال لها العنبرة من سواحل زبيد كان ابوه مهدى المذكور رجلا صالحا ونشأ ابنه على طريقة ابيه فى العزلة والتمسك بالصلاح ثم حج واجتمع بالعراقيين وتضلع من معارفهم ثم صار على بن مهدى المذكور واعظا وكان فصيحا صبيحا حسن الصوت عالما بالتفسير غزير المحفوظات وكان يتحدث فى شئ من احواله المستقبلات فيصدق فمالت اليه القلوب واستفحل امره وصار له جموع فقصد الجبال واقام بها الى سنة احدى واربعين وخمس مائة ثم عاد الى املاكه وكان يقول فى وعظه ايها الناس دنا الوقت ازف الامر كانكم بما اقول لكم وقد رأيتموه عيانا ثم عاد الى الجبال الى حصن يقال له الشرف وهو ابطن من خولان فاطاعوه وسماهم الانصار وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين واقام على خولان رجلا اسمه سبا وعلى المهاجرين رجلا اسمه التويتى٣ وسمى كلا من الرجلين شيخ الاسلام وجعلهما نقيبين على الطائفتين فلا يخاطبه احد غيرهما وهما يوصلان كلامه الى الطائفتين وكلام الطائفتين وحوائجهما اليه واخذ يغادى الغارات ويراوحها على التهايم حتى اخلى البوادى وقطع الحرث والقوافل ثم انه حاصر زبيد واستمر مقيما عليها حتى قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بنى نجاح قتله عبيده وجرى بين ابن مهدى وعبيد فاتك حروب كثيرة وآخرها ان ابن مهدى انتصر عليهم وملك زبيد واستقر فى دار الملك يوم الجمعة رابع عشر رجب من هذه السنة اعنى سنة اربع وخمسين وخمس مائة وبقى ابن مهدى فى الملك شهرين واحد وعشرين يوما ثم مات على بن مهدى المذكور فى السنة التى ملك فيها فى شوال ثم ملك اليمن بعده ولده مهدى بن على ابن مهدى ولم يقع تاريخ وفاته ثم ملك اليمن بعده ولده عبد النبى بن مهدى ثم خرجت المملكة عن عبد النبى المذكور الى اخيه عبد الله ثم عادت الى عبد النبى واستقر فيها حتى سار اليه توران شاه بن ايوب من مصر فى سنة تسع وستين وخمس مائة وفتح اليمن واستقر فى ملكه واسر عبد النبى المذكور وهو عبد النبى بن مهدى ابن على بن مهدى الحميرى وهو من ملك اليمن من بنى حمير وكان مذهب على ابن مهدى التكفير بالمعاصى وقتل من خالف اعتقاده من اهل القبلة واستباحة

(ذكر فتح المهدية)

في اواخر هذه السنة نزل عبد المؤمن على مدينة المهدية واخذهـا من الفرنج يوم عاشورا سنة خمس وخمسين وخمس مائة وملك جميع افريقية وكان قدملك الفرنج المهدية في سنة ثلث واربعين وخمس مائة واخذوها من صاحبها الحسن ابن علي بن يحي بن تميم الصنهاجي وبقيت في ايديهم الى هذه السنة ففتحها عبد المؤمن فكان ملك الفرنج المهدية اثنى عشرة سنة تقريبا ولما ملكها عبد المؤمن اصلح احوالها واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن ابن علي الصنهاجي الذي كان صاحبها وكان قد سار الى بني حماد ملوك بجاية ثم اتصل بعبد المؤمن حسبما تقدم ذكر ذلك فاقام عنده مكرما الى هذه السنة فاعاده عبد المؤمن الى المهدية واعطاه بها دورا نفيسة واقطاعا ثم رحل عبد المؤمن عنها الى الغرب

(ذكر وفاة السلطان محمد)

(وفي هذه السنة) وقيل في سنة خمس وخمسين توفي السلطان محمد ابن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في ذي الحجة وهو الذي حاصر بغداد ولما عاد عنها لحقه سل وطال به فمات بباب همدان وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وخمس مائة وكان كريما عاقلا وخلف ولدا صغيرا ولما حضره الموت سلم ولده الى اقسنقر الاحمديلي وقال أنا اعلم ان العساكر لا تطيع مثل هذا الطفل فهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك فرحل به اقسنقر الى بلدة مراغا ولما مات السلطان محمد اختلفت الامراء وطايفة طلبوا ملكشاه أخاه وطايفة طلبوا سليمان شاه بن محمد ابن ملكشاه بن الب ارسلان الذي كان قد اعتقل في الموصل وهم الاكثر ومنهم من طلب ارسلان بن طغريل الذي كان مع الدكز وبعد موت محمد سار أخوه ملكشاه الى اصفهان فملكها

(ذكر مرض نور الدين)

وفي هذه السنة مرض نور الدين ابن زنكي مرضا شديدا ارجف بموته بقلعة حلب فجمع أخوه امير ميران ابن زنكي جمعا وحصر قلعة حلب وكان شيركوه بحمص وهو من أكبر امراء نور الدين فسار الى دمشق ليستولي عليها وبها اخوه نجم الدين أيوب فانكر عليه ايوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فان كان نور الدين

(ذكر وفاة الفايز وولاية العاضد العلويين)

في هذه السنة توفي الفايز بنصر الله ابو القاسم عيسى بن اسماعيل الظافر خليفة مصر وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين وكان عمره لما ولي ثلث سنين وقيل خمس سنين ولما مات دخل الصالح بن رزيك القصر وسأل عمن يصلح فاحضر له منهم انسان كبير السن فقال بعض اصحاب الصالح له سرا لا يكون عباس احزم منك حيث اختار الصغير فاعاد الصالح الرجل الى موضعه وامر باحضار العاضد لدين الله ابي محمد عبد الله بن الامير يوسف بن الحافظ ولم يكن ابوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقا فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح بابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله

(ذكر وفاة المقتفي لامر الله)

في هذه السنة ثاني ربيع الاول توفي الخليفة المقتفي لامر الله ابو عبد الله محمد ابن المستظهر ابي العباس احمد بعلة التراقي وكان مولده ثاني ربيع الآخر سنة تسع وثمانين واربع مائة وامه ام ولد وكانت خلافته اربعا وعشرين سنة وثلثة اشهر وستة عشر يوما وكان حسن السيرة وهو اول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شئ

(ذكر خلافة المستنجد)

وهو ثاني ثلاثينهم ولما توفي المقتفي لامر الله محمد بويع ابنه يوسف ولقب المستنجد بالله وام المستنجد ام ولد تدعى طاووس ولما بويع المستنجد بالخلافة بايعه اهله واقاربه فمنهم عمه ابو طالب ثم اخوه ابو جعفر بن المقتفي وكان اكبر من المستنجد ثم بايعه الوزير ابن هبيرة وقاضي القضاة وغيرهم

(ذكر وفاة صاحب غزنة)

في هذه السنة في رجب توفي السلطان خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود ابن ابراهيم بن مسعود بن ٣ محمد بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا حسن السيرة وكانت ولايته في سنة ثمان واربعين وخمس مائة ولما مات ملك بعده ابنه ملكشاه ابن خسروشاه وقيل والده خسروشاه المذكور توفي في حبس غياث الدين الغوري وانه آخر ملوك بني سبكتكين حسبما تقدم ذكره في سنة سبع واربعين وخمس مائة والله اعلم بالصواب

وطىء سباياهم واسترقاق ذراريهم وكان حنفى الفروع وكان اصحابه يعتقدون فيه فوق مايعتقده الناس فى الانبياء صلوات الله عليهم ومن سيرته قتل من شرب ومن سمع الغنا (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمس مائة)

(ذكر مسير سليمان شاه الى همدان وماكان منه الى ان قتل)

مات محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان ارسلت الامراء وطلبوا عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ليولوه السلطنة وكان قد اعتقل فى الموصل مكرما فجهزه قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل بشىء كثير وجهاز يليق بالسلطنة وسار معه زين الدين على كجك بعسكر الموصل الى همدان واقبلت العساكر اليهم كل يوم تلقاه طائفة وامير ثم تسلطت العساكر عليه ولم يبق له حكم وكان سليمان فيه تهور وخرق وكان يد من شرب الخمر حتى انه شرب فى رمضان نهارا وكان يجمع عنده المساخر ولا يلتفت الى الامراء فاهمل العسكر امره وصاروا لا يحضرون بابه وكان قد رد جميع الامور الى شرف الدين كردبازو الخادم وهو من مشايخ الخدم السلجوقية يرجع الى دين وحسن تدبير فاتفق يوما ان سليمان شرب بظاهر همدان بالكشك فحضر اليه كردباز ولامه فامر سليمان من عنده من المساخر فعبثوا بكردبازو حتى ان بعضهم كشف له سوءته فاتفق كردبازو مع الامراء على قبضه وعمل كردبازو دعوة عظيمة فلما حضرها الملك سليمان فى داره قبض عليه كردبازو وحبسه وبقى فى الحبس مدة ثم ارسل اليه كردبازو من خنقه وقيل سقاه سما فمات فى ربيع الآخر سنة ست وخمسين وخمس مائة ولما مات سار الدكز فى عساكر تزيد على عشرين الفا ومعه ارسلان شاه بن طغريل بن محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان ووصل الى همدان فلقيه كردبازو وانزله فى دار المملكة وخطب لارسلان شاه بالسلطنة وكان الدكز مزوجا بام ارسلان شاه فولدت للدكز اولادا منهم البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان ابناء الدكز وبقى الدكز اتابك ارسلان وابنه البهلوان وهو اخو ارسلان لامه حاجبه وكان هذا الدكز احد مماليك السلطان مسعود اشتراه فى اول امره ثم اقطعه اران وبعض بلاد اذربيجان فعظم شانه وقوى امره ولما خطب لارسلان شاه بالسلطنة فى تلك البلاد ارسل الدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية فلم يجب الى ذلك ونحن قد قدمنا ذكر موت سليمان وولاية ارسلان ليتصل ذكر الحادثة وهى فى الكامل مذكورة فى موضعين فى سنة خمس وسنة ست وخمس مائة

(ذكر)

علمنا بان المال تفنى الوفد * ويبقى لنا من بعده الاجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس حتى كاننا * سحاب لديه البرق والرعد والقطر

(ذكر ملك عيسى مكة حرسها الله تعالى)

كان امير مكة قاسم بن ابى فليتة بن قاسم بن ابى هاشم العلوى الحسنى فلما سمع بقرب الحاج من مكة صادر المجاورين واعيان مكة واخذ اموالهم وهرب الى البرية فلما وصل الحاج الى مكة رتب امير الحاج مكان قاسم عمه عيسى بن قاسم ابن ابى هاشم فبقى كذلك الى شهر رمضان ثم ان قاسم بن ابى فليتة جمع العرب وقصد عمه عيسى فلما قارب مكة رحل عنها عيسى فعاد قاسم فملكها ولم يكن معه ما يرضى به العرب فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه فقدم عيسى اليهم فهرب قاسم وصعد الى جبل ابى قبيس فسقط عن فرسه فاخذه اصحاب عمه عيسى وقتلوه فغسله عمه عيسى ودفنه بالمعلى عند ابيه ابى فليتة واستقرت مكة لعيسى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عبر عبد المؤمن بن على المجاز الى الاندلس وبنى على جبل طارق من الاندلس مدينة حصينة واقام بها عدة اشهر ثم عاد الى مراكش (وفيها) ملك قرا ارسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان وكانت لطائفة من الاكراد ولما ملكها خربها واضاف اعمالها الى حصن طالب (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمس مائة) فى هذه السنة نازل نور الدين محمود بن زنكى قلعة حارم وهى للفرنج مدة ثم رحل عنها ولم يملكها (وفيها) سارت الكرج فى جمع عظيم ودخلوا بلاد الاسلام وملكوا مدينة دوين من اعمال اذربيجان ونهبوها ثم جمع الدكز صاحب اذربيجان جمعا عظيما وغزا الكرج وانتصر عليهم (وفيها) حج الناس فوقع فتنة وقتال بين صاحب مكة وامير الحاج فرحل الحاج ولم يقدر بعضهم على الطواف بعد الوقعة قال ابن الاثير وكان ممن حج ولم يطف جدته ام ابيه فوصلت الى بلادها وهى على احرامها واستفتت الشيخ ابا القاسم بن البرزى فافتى انها لا تزال على ما بقى من احرامها الى قابل وطافت كن حجها الاول ثم تفدى وتحل ثم تحرم احراما ثانيا وتقف بعرفات وتكمل مناسك الحج فصبرت لهاجة نابية وبقيت على احرامها الى قابل وفعلت كما قال فتم حجها الاول والثانى (وفيها) مات الكيا الصنهاجى صاحب الالموت مقدم الاسماعلية وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة (وفيها) فى المحرم توفى الشيخ عدى ابن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من اعمال الموصل واصل الشيخ عدى

(ذكر وفاة ملكشاه السلجوقي)

في هذه السنة توفي السلطان ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسموما

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة حج اسد الدين شيركوه بن شاذي مقدم جيش نور الدين محمود ابن زنكي (ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمس مائة) في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغوري ملك الغور وكان عادلا حسن السيرة ولما مات ملك بعده ابن اخيه غياث الدين محمد وقد تقدم ذكر ذلك في سنة سبع واربعين وخمس مائة

(ذكر نهب نيسابور وتخريبها وعمارة الشاذ باخ)

في هذه السنة تقدم المؤيد اي به بامساك اعيان نيسابور لانهم كانوا رؤساء الحرامية والمفسدين واخذ المؤيد يقتل المفسدين فخربت نيسابور وكان من جملة ما خرب مسجد عقيل وكان مجمعا لاهل العلم وكان فيه خزاين الكتب الموقوفة وخرب من مدارس الحنفية سبع عشرة مدرسة واحرق ٣ ونهب عدة من خزاين الكتب واما الشاذ باخ فان عبد الله بن طاهر بن الحسين بناها لما كان اميرا على خراسان للمأمون وسكنها هو والجند ثم خربت بعد ذلك ثم جددت في ايام السلطان الب ارسلان السلجوقي ثم تشعثت بعد ذلك فلما كان الآن وخربت نيسابور امر المؤيد اي به باصلاح سور الشاذباخ وسكنها هو والناس فخربت نيسابور كل الخراب ولم يبق بها احد

(ذكر قتل الصالح بن رزيك)

في هذه السنة في رمضان قتل الملك الصالح ابو الغارات طلايع بن رزيك الارمني وزير العاضد العلوي جهزت عليه عمة العاضد من قتله وهو داخل في القصر بالسكاكين ولم يمت في تلك الساعة بل حمل الى بيته وارسل يعتب على العاضد فارسل العاضد الى طلايع المذكور يحلف له انه لم يرض ولا علم بذلك وامسك العاضد عمته وارسلها الى طلايع فقتلها وسأل العاضد ان يولي ابنه رزيك الوزارة ولقب العادل ومات طلايع واستقر ابنه العادل رزيك في الوزارة وكان للصالح طلايع شعر حسن فمنه في الفخر

ابى الله الا ان يدين لنا الدهر * ويخدمنا في ملكنا العز والنصر

ابن سغربل بن ملكنساه خلعة والوية وهدية جليلة فلبس المؤيد اى به الخلع وخطب له فى بلاده (وفى هذه السنة) كبس الفرنج نورالدين محمود وهو نازل بعسكره فى البقيعة تحت حصن الاكراد فلم يشعر نورالدين وعسكره الا وقد اظلت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نورالدين فلسرعة ذلك ركب نور الدين فرسه وفى رجله السنجة فنزل انسان كردى فقطعها فنجا نور الدين وقتل الكردى فاحسن نور الدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقوف وسار نور الدين الى بحيرة حمص فنزل عليها وتلاحق به من سلم من المسلمين (وفيها) امر الخليفة المستنجد باجلاء بنى اسد وهم اهل الحلة المزيدية فقتل منهم جماعة وهرب الباقون وتشتتوا فى البلاد وذلك لفسادهم فى البلاد وسلمت بطائحهم وبلادهم الى رجل يقال له ابن معروف (وفيها) توفى سديد الدولة محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم المعروف بابن الانبارى كاتب الانشاء بدار الخلافة وكان فاضلا أديبا وكان عمره قريب تسعين سنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمس مائة فى هذه السنة سير نورالدين محمود بن زنكى عسكرا مقدمهم اسدالدين شيركوه بن شاذى الى الديار المصرية ومعهم شاور وكان قد سار من مصر هاربا من ضرغام الوزير فلحق شاور بنور الدين واستنجده وبذل له ثلث اموال مصر بعد رزق جندها ان اعاده الى الوزارة فارسل نورالدين شيركوه الى مصر فوصل اليها وهزم عسكر ضرغام وقتل ضرغام عند قبر السيدة نفيسة واعاد شاور الى وزارة العاضد العلوى وكان مسير اسدالدين فى جمادى الاولى من هذه السنة واستقر شاور فى الوزارة وخرجت اليه الخلع فى مستهل رجب من هذه السنة ثم غدر شاور بنور الدين ولم يف له بشىء مما شرط فسار اسد الدين واستولى على بلبيس والشرقية فارسل شاور واستنجد بالفرنج على اخراج اسد الدين شيركوه من البلاد فسار الفرنج واجتمع معهم شاور بعسكر مصر وحصروا شيركوه ببلبيس ودام الحصار مدة ثلثة اشهر وبلغ الفرنج حركة نورالدين واخذه حارم فراسلوا شيركوه فى الصلح وفتحوا له فخرج من بلبيس بمن معه من العسكر وسار بهم ووصلوا الى الشام سالمين (وفى هذه السنة) فى رمضان فتح نور الدين محمود قلعة حارم واخذها من الفرنج بعد مصاف جرى بين نورالدين والفرنج انتصر فيه نورالدين وقتل واسر من الفرنج عالما كثيرا وكان فى جملة الاسرى البرنس صاحب انطاكية والقومص صاحب طرابلس وغنم منهم المسلمون شيأ كثيرا (وفى هذه السنة) ايضا فى ذى الحجة سار نور الدين الى بانياس وفتحها وكانت بيد الفرنج من سنة ثلث واربعين وخمس مائة الى هذه السنة

من الشام من بلد بعلبك فانتقل الى الموصل وتبعه اهل السواد والجبال بتلك النواحي واطاعوه واحسنوا الظن به (ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمس مائة)

(ذكر وزارة شاور ثم الضرغام)

في هذه السنة في صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوى وكان شاور يخدم الصالح طلايع بن رزيك فولاه الصعيد وكانت ولاية الصعيد اكبر المناصب بعد الوزارة ولما ٢خرج الصالح اوصى ابنه العادل ان لا يغير على شاور شيئا لعلمه بقوة شاور فلما تولى العادل بن الصالح الوزارة كتب الى شاور بالعزل فجمع شاور جموعه وسار نحو العادل الى القاهرة فهرب العادل وطرد وراءه شاور وامسكه وقتله وهو العادل رزيك بن الصالح طلايع بن رزيك وانقرضت بمقتله دولة بنى رزيك وفيهم يقول عمارة ٣اليمنى من أبيات طويلة

ولت ليالى بنى رزيك وانصرمت * والمدح والشكر فيهم غير منصرم
كأن صالحهم يوما وعادلهم * في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم

واستقر شاور في الوزارة وتلقب بامير الجيوش واخذ اموال بنى رزيك وودايعهم ثم ان الضرغام جمع جمعا ونازع شاور في الوزارة في شهر رمضان وقوى على شاور فانهزم شاور الى الشام مستنجدا بنور الدين ولما تمكن ضرغام في الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين لتخلو له البلاد فضعفت الدولة لهذا السبب حتى خرجت البلاد من ايديهم

(ذكر وفاة عبد المؤمن)

في هذه السنة في العشرين من جمادى الآخرة توفى عبد المؤمن بن على صاحب بلاد المغرب وافريقية والاندلس وكان قد سار من مراكش الى سلا فمرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين وقال لهم قد جربت ابنى محمدا فلم اره يصلح لهذا الامر وانما يصلح له ابنى يوسف فقدموه فبايعوه ودعى بامير المؤمنين واستقرت قواعد ملكه وكانت مدة ولاية عبد المؤمن ثلثا وثلثين سنة وشهورا وكان حازما سديد الراى حسن السياسة للامور كثير سفك الدم على الذنب الصغير وكان يعظم امر الدين ويقويه ويلزم الناس بالصلوة بحيث انه من راى وقت الصلوة غير مصل قتل وجمع الناس في المغرب على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب ابى الحسن الاشعرى في الاصول

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة ملك المؤيد اى به قومس ولما ملكها ارسل اليه السلطان ارسلان

نفاقا عظيما حتى ان المقتفى كان يقول لم يتوزر لبنى العباس مثله ولما مات قبض على أولاده وأهله (وفيها) توفى الشيخ الامام ابو القاسم عمر بن عكرمة بن البرزى الفقيه الشافعى تفقه على الكيا الهراسى وكان اوحد زمانه فى الفقه وهو من جزيرة ابن عمر (وفيها) توفى ابو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله المعروف بامين الدولة ابن التلميذ وقد ناهز المائة من عمره وكان طبيب دار الخلافة ببغداد وحظيا عند المقتفى وكان حاذقا فاضلا ظريف الشخص عالى الهمة مصيب الفكر شيخ النصارى وقسيسهم وكان له فى الادب يد طولى وكان متفننا فى العلوم وكان فضلاء عصره يتعجبون كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه وغزارة علمه والله يهدى من يشاء بفضله و يضل من يريد بحكمه وكان اوحد الزمان ابو البركات هبة الله بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر فى الحكمة معاصرا لابن التلميذ المذكور وكان بينهما تنافس كما يقع كثيرا بين اهل كل فضيلة وصنعة وكان ابو البركات المذكور يهوديا ثم اسلم فى آخر عمره واصابه الجذام وتداوى و برئ منه وذهب بصره و بقى اعمى وكان متكبرا وكان ابن التلميذ متواضعا فعمل ابن التلميذ فى ابى البركات المذكور

لنا صديق يهودى حماقته ✽ اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة ✽ كأنه بعد لم يخرج من التيه

ولابن التلميذ ايضا

يا من رمانى عن قوس فرقته ✽ بسهم هجر على تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته ✽ فذاك ذنب عقابه فيه

وله التصانيف الحسنة منها كتاب اقراباذين وله على كليات القانون حواشى وكتاب اقراباذين ابن التلميذ المذكور هو المعتمد عليه عند الاطباء وكان شيخه فى الطب ابا الحسن هبة الله بن سعيد صاحب المغنى فى الطب ولابن سعيد المذكور ايضا الاقناع فى الطب وهو كتاب جيد فى اربعة اجزاء (ثم دخلت سنة احدى وستين وخمس مائة) (فى هذه السنة) فتح نور الدين محمود حصن المنطرة من الشام وكان بيد الفرنج (وفيها) فى ربيع الآخر توفى الشيخ عبد القادر بن ابى صالح الجيلى وكنيته ابو محمد وكان مقيما ببغداد ومولده سنة سبعين واربع مائة قال ابن الاثير كان من الصلاح على حال عظيم وهو حنبلى المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمس مائة (فى هذه السنة) عاد اسد الدين شيركوه الى الديار المصرية وجهزه نور الدين بعسكر جيد عدتهم ٢ الفا فارس فوصل الى ديار مصر واستولى على الجيزة وارسل شاور الى الفرنج واستنجدهم وجمعهم وساروا فى اثر شيركوه

(وفى هذه السنة) توفى جمال الدين ابو جعفر محمد بن على بن ابى منصور الاصفهانى وزير قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل فى شعبان مقبوضا عليه وكان قد قبض عليه قطب الدين فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان قد تعاهد جمال الدين المذكور واسد الدين شيركوه انهما من مات منهما قبل الآخر ينقله الآخر الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيدفنه فيها فنقله شيركوه واكترى له من يقرأ القرآن عند شيله وحطه وكان ينادى فى كل بلد يجتازونه بها بالصلاة عليه ولما ارادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وانشد

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمر على الوادى فتثنى رماله * عليه وبالنادى فتثنى اراملُه

وطيف به حول الكعبة ودفن فى رباط بالمدينة بناه لنفسه وبينه وبين قبر النبى صلى الله عليه وسلم نحو خمسة عشر ذراعا وهذا جمال الدين هو الذى جدد مسجد الخيف بمنى وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وغرم جملة طائلة لصاحب مكة وللمقتفى حتى مكنه من ذلك وهو الذى بنى المسجد الذى على جبل عرفات وعمل الدرج اليه وعمل بعرفات مصانع الماء وبنى سورا على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وبنى على دجلة جسرا عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقبض قبل ان يفرغ وبنى الربط وغيرها (وفى هذه السنة) توفى نصر بن خلف ملك سجستان وعمره اكثر من مائة سنة ومدة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه ابو الفتح احمد ابن نصر (وفيها) توفى الامام عمر الخوارزمى خطيب بلخ ومفتيها والقاضى ابو بكر المحمودى صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسية على نمط مقامات الحريرى (ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة) فى هذه السنة فى ربيع الاول توفى شاه مازندران رستم بن على بن شهريار بن قارن وملك بعده ابنه علاء الدين الحسن (وفيها) ملك المؤيد اى به مدينة هراة (وفيها) كان بين قليج ارسلان صاحب قونية وما جاورها من بلاد الروم وبين باغى ارسلان ابن الدانشمند صاحب ملطية وما يجاورها من بلاد الروم حروب شديدة انهزم فيها قليج ارسلان واتفق موت باغى ارسلان صاحب ملطية فى تلك المدة وملك بعده ملطية ابن اخيه ابراهيم بن محمد بن الدانشمند واستولى ذوالنون بن محمد بن الدانشمند على قيسارية وملك شاهان شاه بن مسعود اخو قليج ارسلان مدينة انكورية واصطلح المذكورون على ذلك واستقرت بينهم القواعد واتفقوا (وفيها) توفى عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى ابن محمد بن المظفر وكان موته فى جمادى الاولى ومولده سنة سبعين واربع مائة ودفن بالمدرسة التى بناها الحنابلة بباب البصرة وكان حنبلى المذهب واتفق على المقتفى

وكانت له اربل مع غيرها فاقتصر على اربل وسكنها وسلم ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وكان زين الدين على المذكور قد عمى وطرش

(ثم دخلت سنة اربع وستين وخمس مائة)

(ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر)

(فى هذه السنة ملك نور الدين محمود قلعة جعبر واخذها من صاحبها شهاب الدين مالك ابن على بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلى وكانت بايديهم من ايام السلطان ملكشاه ولم يقدر نور الدين على اخذها الا بعد ان اسر صاحبها مالك المذكور بنو كلاب واحضروه الى نور الدين محمود واجتهد به على تسليمها فلم يفعل فارسل عسكرا مقدمهم فخر الدين مسعود ابن ابى على الزعفرانى وردفه بعسكر آخر مع مجد الدين ابى بكر المعروف بابن الداية وكان رضيع نور الدين وحصروا قلعة جعبر فلم يظفروا منها بشئ وما زالوا على صاحبها مالك حتى سلمها واخذ عنها عوضا مدينة سروج باعمالها والملوحة من بلد حلب وعشرين الف دينار معجلة وباب بزاعة

(ذكر ملك اسد الدين شيركوه مصر وقتل شاور)

ثم ملك صلاح الدين وهو ابتداء الدولة الايوبيه

(فى هذه السنة) اعنى سنة أربع وستين وخمس مائة فى ربيع الاول سار أسد الدين شيركوه بن شاذى الى ديار مصر ومعه العساكر النورية وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبيس قهرا فى مستهل صفر من هذه السنة ونهبوها وقتلوا أهلها واسروهم ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها فاحرق شاور مدينة مصر خوفا من أن يملكها الفرنج وامر أهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يوما فارسل العاضد الخليفة الى نور الدين يستغيث به وارسل فى الكتب شعور النساء وصانع شاور الفرنج على الف الف دينار يحملها اليهم فحمل اليهم مائة ألف دينار وسألهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله فرحلوا فجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وانفق فيهم المال واعطى شيركوه مائتى الف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وارسل معه عدة امراء منهم ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب على كره منه احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب الملك من بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه * وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم * ولما قارب شيركوه مصر

الى جهة الصعيد واتفقوا على بلد يقال له ابوان فانهزم الفرنج والمصريون واستولى شيركوه على بلاد الجيزه واستغلها ثم سار الى الاسكندرية وملكها وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب وعاد شيركوه الى جهة الصعيد فاجتمع عسكر مصر والفرنج وحصروا صلاح الدين بالاسكندرية مدة ثلثة اشهر فسار شيركوه اليهم فاتفقوا على الصلح على مال يحملونه الى شيركوه ويسلم اليهم الاسكندرية ويعود الى الشام فتسلم المصريون الاسكندرية فى منتصف شوال من هذه السنة وسار شيركوه الى الشام فوصل الى دمشق فى ثامن عشر ذى القعدة واستقر الصلح بين الفرنج والمصريين على ان يكون للفرنج بالقاهرة شحنة ويكون ابوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار (وفى هذه السنة) فتح نور الدين صافيثا وعريمة (وفيها) عصا غازى بن حسان صاحب منبج على نور الدين بمنبج فسير اليه نور الدين عسكرا اخذوا منه منبج ثم اقطع نور الدين منبج قطب الدين ينال بن حسان اخا غازى المذكور فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة (وفيها) توفى فخر الدين قرا ارسلان بن داود بن سقمان ابن ارتق صاحب حصن كيفا وملك بعده ولده نور الدين محمود بن قرا ارسلان ابن داود (وفيها) توفى عبد الكريم ابو سعيد ابن محمد بن منصور بن ابى بكر المظفر السمعانى المروزى الفقيه الشافعى وكان مكثرا من سماع الحديث سافر فى طلبه الى ماوراء النهر وسمع منه مالم يسمعه غيره وله التصانيف المشهورة الحسنة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب الانساب فى ثمان مجلدات وقد اختصر كتاب الانساب المذكور الشيخ عز الدين على بن الاثير فى ثلثة مجلدات والمختصر المذكور هو الموجود فى ايدى الناس والاصل قليل الوجود وله غير ذلك وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على اربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج ابن الجوزى فاوقع فيه فمن جملة قوله فيه انه كان ياخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى ويقول حدثنى فلان بما وراء النهر وهذا بارد جدا لان السمعانى المذكور سافر الى ماوراء النهر حقا فاى حاجة به الى هذا التدليس وانما ذنبه عند ابن الجوزى انه شافعى وله اسوة بغيره فان ابن الجوزى لم يبق على احد غير الحنابلة وكانت ولادة ابى سعيد السمعانى المذكور فى شعبان سنة ست وخمس مائة وكان ابوه وجده فاضلين والسمعانى منسوب الى سمعان وهو بطن من تميم (ثم دخلت سنة ثلث وستين وخمس مائة) فى هذه السنة فارق زين الدين على كجك بن بكتكين نائب قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل خدمة قطب الدين واستقر باربل وكانت فى اقطاع زين الدين على المذكور

باجد ادركت ما ادركت لااللعب * كم راحة جنيت من دوحة التعب
ياشيركوه بن شاذي الملك دعوة من * نادى فعرف خير ابن لخير أب
جرى الملوك وما حازوا بركضهم * من المدى في العلى ما حزت بالخبب
تمل من ملك مصر رتبة قصرت * عنها الملوك فطالت سائر الرتب
قد امكنت اسد الدين الفريسة من * فتح البلاد فبادر نحوها وثب

وفي شيركوه وقتل شاور يقول عرقلة الدمشقي

لقد فاز بالملك العقيم خليفة * له شيركوه العاضدي وزير
هو الاسد الضاري الذي جل خطبه * وشاور كلب للرجال عقور
بغى وطغى حتى لقد قال صحبه * على مثلها كان اللعين يدور
فلا رحم الرحمن تربة قبره * ولا زال فيها منكر ونكير

واما الكامل بن شاور فلما قتل ابوه دخل القصر فكان آخر العهد به ولم يبق لاسد الدين شيركوه منازع أتاه أجله * حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة * وتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمس مائة فكانت ولايته شهرين وخمسة ايام وكان شيركوه وايوب ابني شاذي من بلد دوين قال ابن الاثير وأصلهما من الاكراد الروادية فقصدا العراق وخدما بهروز شحنة السلجوقية ببغداد وكان أيوب اكبر من شيركوه فجعله بهروز مستحفظ القلعة تكريت ولما انكسر عماد الدين زنكي من عسكر الخليفة ومر على تكريت خدمه ايوب وشيركوه ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت فاخرجهما بهروز من تكريت فلحقا بخدمة عماد الدين زنكي فأحسن اليهما واعطاهما اقطاعات جليلة ولما ملك عماد الدين زنكي قلعة بعلبك جعل ايوب مستحفظا لها ولما حاصره عسكر دمشق بعد موت زنكي سلمها أيوب اليهم على اقطاع كبير شرطوه له وبقي ايوب من اكبر امراء عسكر دمشق وبقي شيركوه مع نور الدين بن محمود بعد قتل أبيه زنكي واقطعه نور الدين حمص والرحبة لما رآى من شجاعته وزاده عليهما وجعله مقدم عسكره فلما اراد نور الدين ملك دمشق أمر شيركوه فكاتب أخاه ايوب فساعد ايوب نور الدين على ملك دمشق وبقيا مع نور الدين الى أن ارسل شيركوه الى مصر مرة بعد اخرى حتى ملكها وتوفي فيها في هذه السنة على ماذكرناه ولما توفي شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه ايوب بن شاذي وكان قد سار معه على كره قال صلاح الدين امرني نور الدين بالمسير مع عمي شيركوه وكان قد قال شيركوه بحضرته لي تجهز يايوسف للمسير فقلت والله لو اعطيت ملك مصر ماسرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية مالاأنساه ابدا فقال لنور الدين لابد من مسيره

رحــل الفرنج من ديار مصر على اعقابهم الى بلادهم فكان هذا المصر فتحــا
جديدا ووصــل اسدالدين شــير كوه الى القــاهرة فى رابع ربيع الآخر واجتمع
بالعــاضد وخلع عليه وعاد الى خيــامه بالخلعة العــاضدية واجرى عليه وعلى
عسكره الاقامات الوافرة وشرع شاور يمــاطل شيركوه فيمــا بذله لنور الدين
من تقرير المــال وافراد ثلث البلاد له ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى
اسدالدين شيركوه ويعده ويمنيه * وما يعدهم الشيطان الاغرورا * ثم ان شاور
عزم على ان يعمــل دعوة لشيركوه وامرائه ويقبض عليهم فمنعه ابنه الكامــل
ابن شاور من ذلك ولمــا رأى عسكر نورالدين من شاور ذلك عزموا على الفتك
بشــاور واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف وعزالدين جرديك وغيرهمــا
وعرفوا شــير كوه بذلك فنهاهم عنه واتفق ان شــاور قصد شيركوه على عادته
فــلم يجــده فى المخيم وكان قد مضى لزيارة قبر الشافعى رضى الله عنه فلقى
صلاح الدين وجرديك شاور واعلمــاه برواح شيركوه الى زيارة الشافعى فساروا
جميعا الى شيركوه فوثب صلاح الدين وجرديك ومن معهما على شــاور والقوه
الى الارض عن فرسه وامسكوه فى سابع ربيع الآخر من هذه السنة اعنى سنة اربع
وستين وخمس مائة فهرب اصحابه عنه وارسلوا اعلموا شيركوه بما فعلوه فحضر
ولم يمكنه الاتمــام ذلك وسمع العــاضد الخبر فارســل الى شيركوه يطلب منه
انفاذ راس شاور فقتله وارسل راسه الى العاضد ودخل بعد ذلك شيركوه الى القصر
عند العاضد فخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور اميرالجيوش
وسار بالخلع الى دار الوزارة وهى التى كان فيهــا شاور واستقر فى الامر وكتب
له منشور بالانشــاء الفــاضــلى اوله بعد البسملة من عبد الله ووليه ابى محمد
الامام العــاضد لدين الله امير المؤمنين الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان
الجيوش ولى الائمــة مجير الامة اسدالدين أبي الحــارث شيركوه العــاضدى
عضدالله به الــدين وامتع بطول بقــائه امير المؤمنين وادام قدرته واعلى كلمته
سلام عليك فانا نحمد اليك الله الــذى لااله الاهو ونســأله ان يصلى على محمد
خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطــاهرين والائمة المهديين وسلم تسليمــا
ثم ذكر تفويض امور الخلافة اليه ووصايا أضربنا عنهــا للاختصار وكتب
العــاضد بخطه على طرة المنشور هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله فتقلد امانة
رآك امير المؤمنين أهلا لحملها فخذ كتاب امير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار
بان اعتزت خدمتك الى بنوة البنوة ومدحت الشعراء اسدالــدين ووصــل اليه
من الشام مديح لعماد الكاتب قصيدة اولهــا

قراقوش الاسدي وكان خصيا أبيض وبقي لا يجري في القصر صغيرة ولا كبيرة الا بامر صلاح الدين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة كان بين ايناج صاحب الري وبين الدكز حرب انتصر فيها الدكز وملك الري وهرب ايناج وانحصر في بعض القلاع فارسل الدكز ورغب غلمان ايناج في الاقطاعات ان قتلوا ايناج استاذهم فقتلوه ولحقوا بالدكز فلم يف لهم وقال مثل هؤلاء لا ينبغي الابقاء عليهم فهربوا الى البلاد ولحق بعضهم وهو الذي قتل استاذه بخوارزم شاه فصلبه لخيانته استاذه (وفيها) توفي الشيخ ابو محمد الفارقي وكان أحد الزهاد وله كرامات كثيرة كان يتكلم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور (وفيها) توفي ياروق ارسلان التركماني وكان مقدما كبيرا واليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة يسكن بظاهر حلب وبنى على شاطئ قويق هو واتباعه عمائر كثيرة وتعرف الآن بالياروقية وهي مشهورة هنالك (ثم دخلت سنة خمس وستين وخمس مائة) (فيها) سارت الفرنج الى دمياط وحصروها وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر واخرج على ذلك اموالا عظيمة فحصروها خمسين يوما وخرج نور الدين فأغار على بلادهم بالشام فرحلوا عائدين على اعقابهم ولم يظفروا بشيء منها قال صلاح الدين ما رايت اكرم من العاضد ارسل الي مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها (وفيها) سار نور الدين وحاصر الكرك مدة ثم رحل عنه (وفيها) كانت زلزلة عظيمة خربت الشام فقام نور الدين في عمارة الاسوار وحفظ البلاد اتم قيام وكذلك خربت بلاد الفرنج فخافوا من نور الدين واشتغل كل منهم عن قصد الآخر بعمارة ما خرب من بلاده (وفيها) في ذي الحجة مات قطب الدين مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه حمى حادة ولما مات صرف ارباب الدولة الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكي ابن مودود الى أخيه الذي هو اصغر منه وهو سيف الدين غازي بن مودود فسار عماد الدين زنكي الى عمه نور الدين مستنصرا به وتوفي قطب الدين وعمره اربعون سنة تقريبا وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان من احسن الملوك سيرة (وفي هذه السنة)توفي الملك طغريل بك ابن قاورت بك صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر واستنجد كل منهما وطلب الملك فاتفق في تلك المدة ان ارسلان شاه الاكبر مات فاستقر بهرام شاه في ملك كرمان (وفيها) توفي مجد الدين

معى فأمرنى نورالدين وانا استقيل فقال نور الدين لابد من مسيرك مع عمك فشكوت الضايقة فاعطانى ماتجهزت به فكانما اساق الى الموت فلما مات شيركوه طلب جماعة من الامراءالنورية التقدم على العسكر وولاية الوزارة العاضدية منهم عين الدولة الياروقى وقطب الدين ينال المنبجى وسيف الدين على بن احمد المشطوب الهكارى وشهاب الدين محمود الحارمى وهو خال صلاح الدين فارسل العاضد احضر صلاح الدين وولاه الوزارة ولقبه بالملك الناصر فلم تطعه الامراءالمذكورون وكان مع صلاح الدين الفقيه عيسى الهكارى فسعى مع المشطوب حتى اماله الى صلاح الدين ثم قصد الحارمى وقال هذا ابن اختك وعزه وملكه لك فمال اليه ايضا ثم فعل بالباقين كذلك فكلهم اطاع غير عين الدولة الياروقى فانه قال انا لاأخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام وثبت قدم صلاح الدين على انه نائب لنور الدين وكان نورالدين يكاتب صلاح الدين بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما عن ان يكتب اسمه وكان لايفرده بكتاب بل الى الامير صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نورالدين اباه أيوب وأهله فارسلهم اليه نورالدين فاعطاهم صلاح الدين الاقطاعات بمصر وتمكن من البلاد وضعف امر العاضد ولما فوض الامر الى صلاح الدين تاب عن شرب الخمر واعرض عن اسباب اللهو وتقمص لباس الجد ودام على ذلك الى ان توفاه الله تعالى قال ابن الاثير مؤلف الكامل رايت كثيرا من ابتدى بالملك ينقل الى غير عقبه فان معاوية تغلب وملك فانتقل الملك الى بنى مروان بعده ثم ملك السفاح من بنى العباس فانتقل الملك الى ١ اخيه المنصور وعقبه ثم السامانية اول من ابتدى بالملك منهم نصر بن احمد فانتقل الملك الى أخيه اسمعيل وعقبه ثم عماد الدولة بن بويه ملك فانتقل الملك الى عقب أخيه ركن الدولة ثم ملك طغرلبك السلجوقى فانتقل الملك الى عقب أخيه داود ثم شيركوه ملك فانتقل الملك الى ابن أخيه ولما قام صلاح الدين بالملك لم يبق الملك فى عقبه بل انتقل الى اخيه العادل وعقبه ولم يبق لاولاد صلاح الدين غير حلب وكان سبب ذلك كثرة قتل من يتولى ذلك اولا واخذه الملك وعيون أهله وقلوبهم متعلقة به فيحرم عقبه ذلك ولما استقر قدم صلاح الدين فى الوزارة قتل مؤتمن الخلافة وكان مقدم السودان فاجتمعت السودان وهم حفاظ القصر فى عدد كثير وجرى بينهم وبين صلاح الدين وعسكره وقعة عظيمة بين القصرين انهزم فيها السودان وقتل منهم خلق كثير وتبعهم صلاح الدين فاجلاهم قتلا وتهجيجا وحكم صلاح الدين على القصر وأقام فيه بهاءالدين

فغزا بلاد الفرنج قرب عسقلان والرملة وعاد الى مصر ثم خرج الى ايلة وحصرها وهى للفرنج على ساحل البحر الشرقى ونقل اليها المراكب وحصرها برا وبحرا وفتحها فى العشر الاول من ربيع الآخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر ولما استقر صلاح الدين بمصر كان بمصر دار للشحنه تسمى دار المعونة يحبس فيها فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وكذلك بنا دار الغزل مدرسة للشافعية وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ورتب قضاة شافعية وذلك فى العشرين من جمادى الآخرة وكذلك اشترى تقى الدين عمر بن أخيه صلاح الدين منازل العز وبناها مدرسة للشافعية (وفى هذه السنة) توفى القاضى ابن الخلال من اعيان الكتاب المصريين وفضلائهم وكان صاحب ديوان الانشاء بها (ثم دخلت سنة سبع وستين وخمس مائة)

(ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية)

فى هذه السنة ثانى جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله ابى محمد عبدالله ابن الامير يوسف ابن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد ابن أبى القاسم محمد ولم يل الخلافة ابن المستنصر بالله ابى تميم معد ابن الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على ابن الحاكم بأمر الله أبى على المنصور ابن العزيز بالله أبى منصور ابن المعز لدين الله ابى تميم معد ابن المنصور بالله ابى الطاهر اسمعيل ابن القايم بأمر الله أبى القاسم محمد ابن المهدى بالله أبى محمد عبيدالله اول الخلفاء العلويين من هذا البيت وقدمر ذكر نسبه فى ابتداء دولتهم وكان سبب الخطبة العباسية بمصر انه لما تمكن صلاح الدين من مصر وحكم على القصر واقام فيه قراقوش الاسدى وكان خصيا أبيض وبلغ نورالدين ذلك ارسل الى صلاح الدين يأمره حتما جزما بقطع الخطبة العلوية واقامة الخطبة العباسية فراجعه صلاح الدين فى ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت نورالدين الى ذلك وأصر عليه وكان العاضد قدمرض فأمر صلاح الدين الخطباء ان يخطبوا للمستضئ ويقطعوا خطبة العاضد فامتثلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكان العاضد قداشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أهله بقطع خطبته فتوفى العاضد يوم عاشورا ولم يعلم بقطع خطبته ولما توفى العاضد جلس صلاح الدين للعزا واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع مافيه وكان كثرته تخرج عن الاحصاء وكان فيه اشياء نفيسة من الاعلاق الثمينة والكتب والتحف فمن ذلك الجبل الياقوت وكان وزنه سبعة عشر درهما اوسبعة عشر مثقالا قال ابن الاثير مؤلف الكامل أنا رأيته ووزنته ومما حكى انه كان بالقصر طبل للقولنج اذا ضرب

ابو بكر ابن الداية رضيع نور الدين وكانت حلب وحارم وقلعة جعبر اقطاعه فأقر نور الدين أخاه عليا ابن الداية على اقطاعه (وفيها) توفى محمد ابن محمد بن ظفر صاحب كتاب سلوان المطاع صنفه لبعض القواد بصقلية سنة اربع وخمسين وخمس مائة وله ايضا كتاب نجباء الابناء وشرح مقامات الحريري ومولده بصقلية وتنقل بالبلاد وأقام بمكة شرفها الله تعالى وسكن آخر وقت مدينة حماة وتوفى بها ولم يزل يكابد الفقر حتى مات رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ست وستين وخمس مائة)

(ذكر وفاة المستنجد وخلافة المستضيء وهو ثالث ثلاثينهم)

فى هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفى المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفى لامر الله أبي عبدالله محمد بن المستظهر بالله ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمس مائة وكان اسمر تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد خاف منه استاذ داره عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤسا وقطب الدين قيماز المقتفوى وهو حينئذ أكبر امراء بغداد فاتفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له مايهلكه فوصف له دخول الحمام فامتنع منه لضعفه ثم انه دخلها وغلق عليه الباب فمات ولما مات المستنجد احضر عضد الدين وقطب الدين المستضيء بأمر الله ابن المستنجد واشترطا عليه شروطا أن يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذ داره وقطب الدين أمير العسكر فأجابهم الى ذلك واسم المستضيء الحسن وكنيته ابو محمد ولم يل الخلافة من اسمه حسن غير الحسن بن على المستضيء فبايعوه بالخلافة يوم مات ابوه بيعة خاصة وفى غده بيعة عامة وكان المستنجد حسن السيرة أطلق كثيرا من المكوس وكان شديدا على اهل العبث والفساد

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكى الى الموصل وهى بيد ابن أخيه غازى بن مودود ابن عماد الدين زنكى بن اقسنقر فاستولى عليها نور الدين وملكها ولما ملك نور الدين الموصل قرر امرها وأطلق المكوس منها ثم وهبها لابن أخيه سيف الدين غازى المذكور واعطى سنجار لعماد الدين زنكى ابن مودود وهو اكبر من أخيه سيف الدين غازى فقال كمال الدين الشهرزورى فى هذا طريق الى اذى يحصل للبيت الاتابكى لان عماد الدين كبير لايرى طاعة أخيه سيف الدين وسيف الدين هو الملك لايرى الاغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف وتطمع الاعداء (وفى هذه السنة) سار صلاح الدين عن مصر

وكان ذلك بحضرة أبيهم نجم الدين أيوب فانكر على تقي الدين ذلك وقال انا والدكم لو رايت نور الدين نزلت وقبلت الارض بين يديه بل اكتب وقل لنور الدين انه لو جاء لي من عندك انسان واحد وربط المنديل في عنقي وجرني اليك سارعت الى ذلك وانفضوا على ذلك ثم اجتمع ايوب بابنه صلاح الدين بن خلوة وقال له لو قصدنا نور الدين انا كنت اول من يمنعه ويقاتله ولكن اذا اظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندري ما يكون من ذلك واذا اظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية من عند الله فكان كما قال (وفي هذه السنة) توفي الامير محمد بن مردنيش صاحب شرقي بلاد الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما فقصد اولاده ابا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب وسلموا اليه بلادهم فسر يوسف بذلك وتسلمها منهم وتزوج باختهم واكرمهم ووصلهم بالاموال الجزيلة وكان قد قصدهم يوسف المذكور في مائة الف مقاتل فأجابوا بدون قتال كما ذكرنا (وفي هذه السنة) عبر الخطا نهر جيحون فجمع خوارزم شاه ارسلان بن اطسز بن محمد بن انوش تكين عساكره وسار الى لقائهم فمرض خوارزم شاه ورجع مريضا وارسل عسكرا مع بعض المقدمين فاقتتلوا مع الخطا وانهزم عسكر خوارزم شاه واسر مقدمهم ورجع الخطا الى بلادهم بعد ذلك (وفي هذه السنة) اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وتسمى المناسيب لنقل البطائق والاخبار (وفيها) عزل المستضيء وزيره عضد الدين ابن رئيس الرؤساء مكرها لان قطب الدين قيماز الزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته (وفيها) مات يحيى ابن سعدون بن تمام الازدي الاندلسي القرطبي وكان اماما في القرأة والنحو وغيره من العلوم توفي بالموصل (وفيها) توفي ابو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن احمد المعروف بابن الخشاب البغدادي العالم المشهور في الادب والنحو والتفسير والحديث وكان متضلعا من العلوم وكان قليل الاكتراث بالمأكل والملبس (وفيها) توفي نصر الله بن عبد الله ابن مخلوف بن علي بن عبد النور بن ٣قلاقس الشاعر المشهور الاسكندري مدح القاضي الفاضل وكان كثير الاسفار سار الى صقلية في سنة ثلث وخمسين ثم عاد وسار الى اليمن في سنة خمس وستين وخمس مائة وفي كثرة اسفاره يقول

الناس كثر ولكن لا يقدلي * الا مرافقة الملاح والحادي

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمس مائة) في هذه السنة توفي خوارزم شاه ارسلان بن اطسز بن محمد بن انوش تكين وكان قد عاد من قتال الخطا مريضا ولما مات ملك بعده ابنه الصغير سلطان شاه محمود ودبرت والدته المملكة وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكين مقيما في جند قد أقطعه أبوه اياها

الانسان به ضرط فكسر ولم يعلموا به الا بعد ذلك ونقل صلاح الدين أهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم وأخرج جميع من فيه من عبد وامة فباع البعض وعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كان لم يغن بالامس ولما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفى علم صدقه فندم لتخلفه عنه وجميع من خطب له منهم بالخلافة اربع عشرة خليفة المهدى والقايم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر والفايز والعاضد وجميع مدة خلافتهم من حين ظهر المهدى بسجلماسة في ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائتين الى ان توفى العاضد في هذه السنة اعنى سنة سبع وستين وخمس مائة مائتان واثنتان وسبعون سنة تقريبا وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واسترت ولم تحل الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت لها البشاير عدة ايام وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المنفوية الى نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الاعلام السود وكان العاضد المذكور قد رأى في منامه ان عقربا خرجت من مسجد بمصر معروف ذلك المسجد للعاضد ولدغته فاستيقظ العاضد مرعوبا واستدعى من يعبر الرؤيا وقص ما رآه عليه فعبره له بوصول اذى اليه من شخص بذلك المسجد فتقدم العاضد الى والى مصر باحضار من بذلك المسجد فاحضر اليه شخصا صوفيا يقال له نجم الدين ٣ الخويشانى فاستخبره العاضد عن مقدمه وسبب مقامه بالمسجد المذكور فاخبره بالصحيح في ذلك فرآه العاضد اضعف من ان يناله بمكروه فوصله بمال وقال له ادع لنا يا شيخ وامره بالانصراف فلما اراد السلطان صلاح الدين ازالة الدولة العلوية والقبض عليهم استفتى في ذلك فافتاه بذلك جماعة من الفقهاء وكان نجم الدين الخويشانى المذكور من جملتهم فبالغ في الفتيا وصرح في خطه بتعديد مساويهم وسلب عنهم الايمان واطال الكلام في ذلك فصح بذلك رؤيا العاضد

(ذكر غير ذلك)

وفى هذه السنة جرى بين نور الدين وصلاح الدين الوحشة في الباطن فان صلاح الدين سار ونازل الشوبك وهى للفرنج ثم رحل عنه خوفا ان يأخذه فلم يبق ما يعوق نور الدين عن قصد مصر فتركه ولم يفتحه لذلك وبلغ نور الدين ذلك فكتمه وتوحش باطنه لصلاح الدين ولما استقر صلاح الدين بمصر جمع اقاربه وكبراء دولته وقال بلغنى ان نور الدين يقصدنا فما الرأى فقال تقى الدين عمر ابن أخيه نقاتله ونصده

قصره وبقي اياما ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة وكان ايوب خيرا عاقلا حسن السيرة كريما كثير الاحسان (وفيها) توفي ابو نزار حسن بن ابي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار النحوي وقد ناهز الثمانين وهو المعروف بملك النحاة وبرع في النحو حتى فاق فيه اهل طبقته وكان معجبا بنفسه ولقب نفسه بملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك وقرأ الفقه على مذهب الشافعي وكذلك قرأ الاصولين والخلاف وسافر الى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل الى الشام واستوطن دمشق (ثم دخلت سنة تسع وستين وخمس مائة)

(ذكر ملك شمس الدولة توران شاه بن ايوب اليمن)

كان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر بحيث ان قصدهم نور الدين قاتلوه فان هزمهم التجؤا الى تلك المملكة فجهز صلاح الدين أخاه توران شاه الى النوبة فلم تعجبهم بلادها ثم سيره في هذه السنة بعسكر الى اليمن وكان صاحب اليمن حينئذ انسانا يسمى عبد النبي المقدم الذكر في سنة اربع وخمسين وخمس مائة فجهز توران شاه ووصل الى اليمن وجرى بينه وبين عبد النبي قتال فانتصر توران شاه وهزم عبد النبي وهجم زبيد وملكها واسر عبد النبي ثم قصد عدن وكان صاحبها انسانا اسمه ياسر فخرج لقتال توران شاه فهزمه توران شاه وهجم عدن وملكها واسر ياسر أيضا واستولى توران شاه على بلاد اليمن واستقرت في ملك صلاح الدين واستولى على اموال عظيمة لعبد النبي وكذلك من عدن

(ذكر قتل جماعة من المصريين وعمارة اليمني)

في هذه السنة في رمضان صلب صلاح الدين جماعة من اعيان المصريين فانهم قصدوا الوثوب عليه واعادة الدولة العلوية فعلم بهم وصلبهم عن آخرهم فمنهم عبد الصمد الكاتب والقاضي العويرس وداعي الدعاة وعمارة بن علي اليمني الشاعر الفقيه وله اشعار حسنة فمنها مايتعلق بأحوال العلويين وانقراض دولتهم قوله قصيدة منها

رميت يادهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحلي بالعطل
جدعت مارنك الاقنى فانفك لا * ينفك ما بين ٣أمر الشين والخجل
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة * على فجيعتها في أكرم الدول
ياعاذلي في هوى ابناء فاطمة * لك الملامة ان اقصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وابك معي * عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهلهما والله لا التحمت * فيكم جروحي ولا قرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * في نسل آل امير المؤمنين علي

فلما بلغه موت أبيه وولاية أخيه الصغير انف من ذلك واستنجد بالخطا وسار الى أخيه سلطان شاه وطرده ثم ان سلطان شاه قصد ملوك الاطراف واستنجد هم على أخيه تكش وطرده وكانت الحرب بينهم سجالا حتى مات سلطان شاه فى سنة تسع وثمانين وخمس مائة واستقر فى ملك خوارزم أخوه تكش بن ارسلان وفى تلك الحروب بين الاخوين قتل المؤيداى به قتله تكش صبرا وملك بعده ابنه طغانشاه ابن المؤيداى به (وفى هذه السنة) سار شمس الدولة توران شاه ابن أيوب أخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى النوبة للتغلب عليها فلم تعجبه تلك البلاد فغنم وعاد الى مصر (وفى هذه السنة) توفى شمس الدين الدكز بهمدان وملك بعده ابنه محمد البهلوان ولم يختلف عليه أحد وكان الدكز هذا مملوكا للكمال السميرمى وزير السلطان محمود ثم صار للسلطان محمود فلما ولى السلطان مسعود ولاه وكبره حتى صار ملك اذربيجان وغيرها من بلاد الجبل واصفهان والرى وكان عسكره خمسين ألف فارس وكان يخطب فى بلاده بالسلطنة للسلطان ارسلان بن طغريل ولم يكن لارسلان معه حكم وكان الدكز حسن السيرة (وفى هذه السنة) سار طايفة من الترك من ديار مصر مع مملوك لتقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب اسمه قراقوش الى افريقية ونزلوا على طرابلس الغرب فحاصرها مدة ثم فتحها واستولى عليها قراقوش المذكور وملك كثيرا من بلاد افريقية (وفيها) غزا ابو يعقوب ابن عبد المؤمن بلاد الفرنج بالاندلس (وفيها) سار نور الدين محمود ابن زنكى الى بلاد قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان واستولى على مرعش وبهنسا ومرزبان وسيواس فارسل اليه قليج ارسلان يستعطفه ويطلب الصلح فقال نور الدين لا ارضى الا بان ترد ملطية على ذى النون ابن الدانشمند وكان قليج ارسلان قد اخذها منه فبذل له سيواس واصطلح معه نور الدين فلما مات نور الدين عاد قليج ارسلان واستولى على سيواس وطرد ابن الدانشمند (وفيها) سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين فرحل صلاح الدين عن الكرك عايدا الى مصر وارسل تحفا الى نور الدين واعتذر ان اباه ايوب مريض ويخشى ان يموت فتذهب مصر فقبل نور الدين عذره فى الظاهر وعلم المقصود ولما وصل صلاح الدين الى مصر وجد اباه ايوب قد مات وكان سبب موت نجم الدين ايوب بن شاذى المذكور انه ركب بمصر فنفرت به فرسه فوقع وحمل الى قصره

بدمشق واقام بها وأطاعه صلاح الدين بمصر وخطب له بها وضربت السكة باسمه وكان المتولى لتدبير الملك الصالح وتدبير دولته الامير شمس الدين محمد ابن عبد الملك المعروف بابن المقدم ولما مات نور الدين وملك ابنه الملك الصالح سار من الموصل سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى وملك جميع البلاد الجزرية (ثم دخلت سنة سبعين وخمس مائة)

(ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر)

فى اول هذه السنة اجتمع على رجل من اهل الصعيد يقال له الكنز جمع كثير واظهر الخلاف على صلاح الدين فارسل صلاح الدين اليه عسكرا فاقتتلوا وقتل الكنز وجماعة معه وانهزم الباقون

(ذكر ملك صلاح الدين دمشق وغيرها)

فى هذه السنة سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن ايوب مدينة دمشق وحمص وحماة وسببه ان شمس الدين ابن الداية المقيم بحلب ارسل سعد الدين كمشتكين يستدعى الملك الصالح بن نور الدين من دمشق الى حلب ليكون مقامه بها فسار الملك الصالح الى حلب مع سعد الدين كمشتكين ولما استقر بحلب وتمكن كمشتكين قبض على شمس الدين ابن الداية واخوته وقبض على الرئيس ابن الخشاب واخوته وهو رئيس حلب واستبد سعد الدين بتدبير الملك الصالح فخافه ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وكاتبوا صلاح الدين ابن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم فسار صلاح الدين جريدة فى سبع مائة فارس ولم يلبث ووصل الى دمشق فخرج كل من كان بها من العسكر والتقوه وخدموه ونزل بدار والده أيوب المعروفة بدار العقيقى وعصت عليه القلعة وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم اسمه ريحان فراسله صلاح الدين واستماله فسلم القلعة اليه فصعد اليها صلاح الدين واخذ ما فيها من الاموال ولما ثبت قدمه وقرر أمر دمشق استخلف بها اخاه سيف الاسلام طغتكين بن ايوب وسار الى حمص مستهل جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة فى اقطاع فخر الدين مسعود بن الزعفرانى فلما مات نور الدين لم يمكن فخر الدين مسعود المقام بحمص وحماه لسوء سيرته مع الناس وكانت هذه البلاد له بغير قلاعها فان قلاعها كان فيها ولاة لنور الدين وليس لفخر الدين معهم فى القلاع حكم الا بارين فان قلعتها كانت له ايضا ونزل صلاح الدين على حمص فى حادى عشر جمادى الاولى وملك المدينة وعصت عليه القلعة

ومنها

وقد حصلتم عليها واسم جدكم * محمد وأبوكم خير منتعل
مررت بالقصر والاركان خالية * من الوفود وكانت قبلة القبل

ومنها

والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم * ولانجا من عذاب الله غير ولى
أئتي وهداتي والذخيرة لى * اذا ارتهنت بما قدمت من عمل
والله لا حلت عن حبي لهم ابدا * ما أخر الله لى فى مدة الاجل

وأيضاله فيهم

غصبت امية ارث آل محمد * سفهاً وشنت غارة الشنآن
وغدت تخالف فى الخلافة أهلها * وتقابل البرهان بالبهتان
لم تقتنع حكامهم بركوبهم * ظهر النفاق وغارب العدوان
وقعودهم فى رتبة نبوية * لم يبنها لهم أبو سفيان
حتى أضافوا بعد ذلك انهم * أخذوا بثار الكفر فى الايمان
فأتى زياد فى القبيح زيادة * تركت يزيد يزيد فى النقصان

(ذكر وفاة نورالدين محمود)

فى هذه السنة توفى الملك العادل نورالدين محمود بن عمادالدين زنكى بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الاربعا حادى عشر شوال بعلة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة وكان نورالدين قدشرع بتجهيز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين وكان يريد ان يخلى ابن أخيه سيف الدين غازى بن مودود فى الشام قبالة الفرنج ويسير هو بنفسه الى مصر فأتاه امر الله الذى لامرد له وكان نورالدين اسمر طويل القامة ليس له لحية الا فى حنكه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين واليمن لما ملكها توران شاه بن ايوب وكذلك كان يخطب له بمصر وكان مولد نورالدين سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وكان من الزهد والعبادة على قدم عظيم وكان يصلى كثيرا من الليل فكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما أحسن المحراب فى المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب أبى حنيفة وليس عنده فيه تعصب وهو الذى بنى اسوار مدن الشام مثل دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها لما تهدمت بالزلازل وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية ولايحتمل هذا المختصر ذكر فضايله ولما توفى نورالدين قام ابنه الملك الصالح اسماعيل ابن نورالدين محمود بالملك بعده وعمره احدى عشرة سنة وحلف له العسكر

فخر الدين مسعود بن الزعفرانى وكان فخر الدين المذكور من اكابر الامراء النورية

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة ملك البهلوان بن الدكز مدينة تبريز واخذها من ابن اقسنقر الاحمديلى (وفيها) مات شملة التركمانى صاحب خورستان وملك ابنه بعده (وفيها) وقع بين الخليفة وبين قطب الدين قيماز مقدم عسكر بغداد فتنة فنهبت دار قيماز وهرب الى الحلة ثم الى الموصل فلحق قيماز فى الطريق عطش شديد فهلك اكثر اصحابه ومات قطب الدين قيماز قبل ان يصل الى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب العمادى ولما هرب قيماز خلع الخليفة على عضد الدولة الوزير واعاده الى الوزارة (ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمس مائة)

(ذكر انهزام سيف الدين غازى صاحب الموصل من السلطان صلاح الدين)

فى هذه السنة عاشر شوال كان المصاف بين السلطان صلاح الدين وبين سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى بتل السلطان فهرب سيف الدين غازى والعساكر التى كانت معه فانه كان قد استنجد بصاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما وتمت على سيف الدين غازى الهزيمة حتى وصل الموصل مرعوبا وقصد الهروب منها الى بعض القلاع فثبته وزيره واقام بالموصل واستولى السلطان صلاح الدين على اثقال عسكر الموصل وغيرهم وغنم مافيها ثم سار السلطان صلاح الدين الى بزاعة فحصرها وتسلمها ثم سار الى منبج فحصرها فى آخر شوال وصاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى وكان شديد البغض لصلاح الدين وفتحها عنوة واسر ينال وأخذ جميع موجوده ثم اطلقه فسار ينال الى الموصل فاقطعه سيف الدين غازى مدينة الرقة ثم سار السلطان صلاح الدين الى اعزاز ونازلها ثالث ذى القعدة وتسلمها حادى عشر ذى الحجة فوثب اسماعيلى على صلاح الدين فى حصاره اعزاز فضربه بسكين فى رأسه فجرحه فامسك صلاح الدين يدى الاسماعيلى وبقى يضرب بالسكين فلا يؤثر حتى قتل الاسماعيلى على تلك الحال ووثب آخر عليه فقتل أيضا وجاء السلطان الى خيمته مذعورا واعرض جنده وابعد من أنكره منهم ولما ملك السلطان اعزاز رحل عنها ونازل حلب فى منتصف ذى الحجة وحصرها وبها الملك الصالح بن نور الدين وانقضت هذه السنة وهو محاصر لحلب فسألوا صلاح الدين فى الصلح فاجابهم اليه وأخرجوا اليه بنتا صغيرة لنور الدين محمود فأكرمها السلطان صلاح الدين واعطاها شيئا كثيرا وقال لها ماتريدين

فترك عليها من يضيق عليها ورحل الى حماة فملك مدينتها مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة وكان بقلعتها الامير عز الدين جرديك احد المماليك النورية فامتنع في القلعة فذكر له صلاح الدين انه ليس له غرض سوى حفظ البلاد للملك الصالح اسمعيل وانما هو نائبه وقصده من جرديك المسير الى حلب في رسالة فاستحلفه جرديك على ذلك وسار جرديك الى حلب برسالة صلاح الدين واستخلف في قلعة حماة اخاه فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه فلما علم اخوه بذلك سلم قلعة حماة الى صلاح الدين فملكها ثم سار صلاح الدين الى حلب وحصرها وبها الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين فجمع أهل حلب وقاتلوا صلاح الدين وصدوه عن حلب وارسل سعد الدين كمشتكين الى سنان مقدم الاسماعيلية اموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فارسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا دونه واستمر صلاح الدين محاصرا لحلب الى مستهل رجب ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حمص ووصل صلاح الدين الى حماة ثامن رجب وسار الى حمص فرحل الفرنج عنها ووصل صلاح الدين الى حمص وحصر قلعتها وملكها في الحادي والعشرين من شعبان من هذه السنة ثم سار الى بعلبك فملكها ولما استقر ملك صلاح الدين لهذه البلاد ارسل الملك الصالح الى ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين فجهز جيشه صحبة اخيه عز الدين مسعود بن مودود ابن زنكى وجعل مقدم الجيش اكبر امرائه وهو عز الدين محمود ولقبه سلقندار وطلب اخاه الاكبر عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار ليسير في النجدة ايضا فامتنع مصانعة لصلاح الدين فسار سيف الدين غازى وحصره بسنجار ووصل عسكر الموصل صحبة مسعود بن مودود وسلقندار الى حلب وانضم اليهم عسكر حلب وساروا الى صلاح الدين فارسل صلاح الدين يبذل حمص وحماة وان تقر بيده دمشق وان يكون فيها نائبا للملك الصالح فلم يجيبوا الى ذلك وساروا الى قتاله واقتتلوا عند قرون حماة فانهزم عسكر الموصل وحلب وغنم صلاح الدين وعسكره اموالهم وتبعهم صلاح الدين حتى حصرهم في حلب وقطع صلاح الدين حينئذ خطبة الملك الصالح ابن نور الدين وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة فراسلوا صلاح الدين في الصلح على ان يكون له مابيده من الشام وللملك الصالح مابقى بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال من هذه السنة اعنى سنة سبعين وخمس مائة (وفى العشر الاخير) من شوال من هذه السنة ملك السلطان صلاح الدين قلعة بارين واخذها من صاحبها

محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري قاضي دمشق وجميع الشام (ثم دخلت سنة ثلث وسبعين وخمس مائة) في هذه السنة في جمادى الاولى سار السلطان صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان في الرابع والعشرين من الشهر فنهب وتفرق عسكره في الاغارات وبقي السلطان في بعض العسكر فلم يشعر الا بالفرنج قد طلعت عليه فقاتلهم اشد قتال وكان لتقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولد اسمه احمد وهو من احسن الشباب اول ما قد تكاملت لحيته فامره ابوه تقي الدين بالحملة على الفرنج فحمل عليهم وقاتلهم فاثر فيهم اثرا كثيرا وعاد سالما فامره ابوه بالعود اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل شهيدا وتمت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطان فمضى منهزما الى مصر على البرية ومعه من سلم فلقوا في طريقهم مشقة وعطشا شديدا وهلك كثير من الدواب واخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرقون في الاغارات اسرى واسر الفقيه عيسى وكان من اكبر اصحاب السلطان صلاح الدين فافتداه السلطان من الاسر بعد سنتين بستين الف دينار ووصل السلطان الى القاهرة نصف جمادى الآخرة قال الشيخ عز الدين علي بن الاثير مؤلف الكامل ورأيت كتابا بخط يد صلاح الدين الى اخيه توران شاه نائبه بدمشق يذكر له الوقعة وفي اوله

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه لقد اشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله منه الا لامر يريده سبحانه وتعالى * وما ثبتت الا وفي نفسها أمر * (وفي هذه السنة) سار الفرنج وحصروا مدينة حماة في جمادى الاولى وطمع الفرنج بسبب بعد السلطان بمصر وهزيمته من الفرنج ولم يكن غير توران شاه بدمشق ينوب عن أخيه صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان توران شاه ايضا كثير الانهماك في اللذات مائلا الى الراحات ولما حصروا حماة كان بها صاحبها شهاب الدين الحارمي خال صلاح الدين وهو مريض واشتد حصار الفرنج لحماة وطال زحفهم عليها حتى انهم هجموا بعض اطراف المدينة وكادوا يملكون البلد قهرا ثم جد المسلمون في القتال واخرجوا الفرنج الى ظاهر السور واقام الفرنج كذلك على حماة اربعة ايام ثم رحلوا عنها الى حارم وعقيب رحيلهم عنها مات صاحبها شهاب الدين الحارمي وكان له ابن من أحسن الناس شبابا مات قبله بثلاثة ايام (وفي هذه السنة) قبض الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين صاحب حلب على سعد الدين كمشتكين وكان قد تغلب على الامر وكانت حارم لكمشتكين فارسل الملك الصالح اليهم فلم يسلموها اليه فأمر كمشتكين

فقـال اريد قلعة اعزاز وكانوا قدعلموها ذلك فسلمهـا اليهم واستقر الصلح ورحـل السلطـان صـلاح الـدين عن حلب فى العشرين من المحرم سـنة اثنين وسبعين وخمسمائة

(ذكر غير ذلك)

فى هذه السنة سار امير الحاج العراقى طاشتكين وأمره الخليفة بعزل صـاحب مكة مكثر بن عيسى فجرى بين الحجـاج وبينه قتال فانهزم مكثر فى البرية وأقام اخاه داود مكانه بمكة (وفيها) فى رمضان قدم شمس الدولة توران شاه بن ايوب من اليمن الى الشـام وارسل الى أخيه صلاح الدين يعلمه بوصوله وكتب اليه ابيا تا من شعر ابن المجم المصرى

والى صلاح الـدين أشكو اننى * من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعا لبعد الدار عنه ولم أكن * لولا هواه لبـعد دار أجزع
ولا ركـبن اليـه متن عزايمى * ويخب بى ركب الغرام ويوسع
ولا سرين اليـل لايسرى به * طيف الخيال ولا البروق اللمع
واقد من اليـه قلـبى مخـبرا * انى بجسمى عن قريب اتبع
حتى اشاهد منـه اسـعدطلعة * من افقها صبح السعادة يطلع

(وفيها) توفى الحافظ ابوالقاسم على بن الحسن بن هبة الله المعروف با بن عسـاكر الدمشقى الملقب نور الدين كان اماما فى الحديث ومن اعيـان الفقهاء الشافعية صنف تاريخ دمشق فى ثمانين مجلدة على وضع تاريخ بغـداد اتى فيه بالغرايب ومولد المـذكور فى اول سنة ٣ تسع وتسعين واربع مائة (ثم دخلت سـنة اثنين وسبعين وخمس مائة) فيهـا قصد السلطـا ن صلا ح الدين بلد الاسماعيلية فى المحرم فنهب بلدهم وحربه واحرقه وحصر قلعة مصياف فارسل سنـان مقدم الاسماعيلـية الى خال صلاح الدين وهو شهـاب الدين الحارمى صاحب حماة يسأله ان يسعى فى الصلح فسـأل الحارمى الصفح عنهم فاجابه صـلاح الدين الى ذلك وصـالحهم ورحل عنهم واتم السلطـان صلاح الدين مسيره ووصل الى مصر فانه كان قدبعد عهده بها بعدان استقرله ملك الشام ولما وصل الى مصر فى هذه السنة امر ببناء السور الدا ير على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطم ودور ذلك تسعة وعشرون الف ذراع وثلاث مائة ذراع بالذراع الهاشمى ٤ ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين (وفى هذه السنة) امر صلاح الدين ببنـاء المدرسة التى على ٥ الشـافعى بالقرافة بمصر وعمل بالقاهرة مرستان (وفيها) توفى القاضى جمال الدين

ـع
ـمى
ـارة
كامل
ل المدرسة المجاورة لضريح الامام الشـافعى كما قال ابن خلكان

عنــد مخــا ضة الاحران ٢ بالقرب من بانيــاس عند بيت يعقوب وفى ذلك يقول علي بن محمد الساعاتي الدمشقي

اتسكن او طان النبيين عصبة * تمين لدى ايمانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح للدين واجب * ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

٢ نسخة الاجراد

وفيها كان حرب بين عسكر السلطان صلاح الدين ومقدمهم ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب وبين عسكر قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وسببها ان حصن رعبان كان بيد شمس الدين ابن المقدم فطمع فيه قليج ارسلان وارسل اليه عسكرا كثيرا ليحصروه وكانوا قريب عشرين الفا فسار اليهم تقي الدين في الف فارس فهزمهم وكان تقي الدين يفتخر ويقول هزمت بالف عشرين الفا

(ذكر وفاة المستضيء وخلافة الامام الناصر وهو رابع ثلاثينهم)

في هذه السنة ثاني القعدة توفي المستضيء بامر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد وامه ام ولد ارمنية وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان مولده سنة ست وثلثين وخمس مائة وكان عادلا حسن السيرة وكان قد حكم في دولة ظهير الدين ابوبكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار بعد قتل عضد الدين الوزير فلما مات المستضيء قام ظهير الدين بن العطار وأخذ البيعة لولده الامام الناصر لدين الله ولما استقرت البيعة للامام الناصر حكم استاذ الدار مجد الدين ابو الفضل وقبض في سابع القعدة على ظهير الدين ابن العطار ونقل الى التاج واخرج ظهير الدين المذكور ميتا على رأس حمال ليلة الاربعاء ثاني عشر ذي القعدة فثارت به العامة والقوه عن رأس الحمال وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا يضعون في يده مغرفة يعني انها قلم وقد غمس تلك المغرفة في العذرة ويقولون وقع لنا يامولانا هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن أموالهم ثم خلص منهم ودفن (وفي هذه السنة) في ذي القعدة نزل توران شاه أخو السلطان عن بعلبك وطلب عوضها الاسكندرية فأجابه السلطان صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب فسار اليها فرخشاه وسار شمس الدولة توران شاه الى الاسكندرية واقام بها الى ان مات بها (ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمس مائة)

(ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل)

في هذه السنة ثالث صفر توفي سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل والديار الجزرية وكان مرضه السل وطال وكان عمره نحو

أن يسلمها فأمرهم بذلك فلم يقبلوا منه فأمر بتعذيب كمشتكين ليسلموا القلعة فعذب وأصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات في العذاب وأصر أصحابه على الامتناع ووصل الفرنج الى حارم بعد رحيلهم عن حماة وحصروا حارم مدة اربعة أشهر فارسل الملك الصالح مالا للفرنج وصالحهم فرحلوا عن حارم وقد بلغ بأهلها الجهد وبعد ان رحل الفرنج عنهما ارسل اليها الملك الصالح عسكرا وحصروها فلم يبق بأهلها ممانعة فسلموها الى الملك الصالح فاستناب بقلعة حارم مملوكا كان لابيه اسمه سرخك (وفي هذه السنة) في المحرم خطب للسلطان طغريل ابن ارسلان بن طغرايل ابن السلطان محمد ابن السلطان ملكشاه المقيم ببلاد الدكز وكان ابوه ارسلان الذي تقدم خبره قد توفي ولم يذكر ابن الاثير وفاة ارسلان ابن طغريل الا في هذا الموضع وكان ينبغي ان يذكره قبل هذه السنة (وفيها) في ذي الحجة قتل عضد الدين محمد بن عبدالله بن هبةالله وزير الخليفة وكان قد عبر دجلة عازما على الحج فقتله الاسماعيلية وحمل مجروحا الى منزله فمات به وكان مولده في جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمس مائة (وفيها) توفي صدقة بن الحسين الحداد الذي ذيل تاريخ ابن الزعفراني ببغداد (ثم دخلت سنة اربع وسبعين وخمس مائة) في هذه السنة طلب توران شاه من اخيه السلطان صلاح الدين بعلبك وكان السلطان اعطاها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم لما سلم دمشق الى صلاح الدين فلم يمكن صلاح الدين منع أخيه عن ذلك فارسل الى ابن المقدم ليسلم بعلبك فعصى بها ولم يسلمها فارسل السلطان وحصره ببعلبك وطال حصارها فأجاب ابن المقدم الى تسليمها على عوض فعوض عنها وتسلمها السلطان واقطعها اخاه توران شاه (وفيها) كان بالبلاد غلاء عام وتبعه وباء شديد (وفيها) سير السلطان صلاح الدين ابن أخيه تقي الدين عمر الى حماة وابن عمه محمد بن شيركوه الى حمص وأمرهما بحفظ بلادهما فاستقر كل منهما ببلده (وفيها) توفي الحيص بيص الشاعر واسمه سعد بن محمد بن سعد وشعره مشهور فمنه

لا تلمني في ٢ سفاهي بالعلى * رغد العيش لربات الحجال ... قافى

سيف عز زانه رونقه * فهو بالطبع غني عن صقال

(وفيها) ماتت شهدة بنت أحمد بن عمر الابري سمعت الحديث من السراج وطراد وغيرهما وعمرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كثير لعلو اسنادها (ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمس مائة) فيها سار السلطان صلاح الدين وفتح حصنا كان بناه الفرنج

ومجاهد الدين قيماز من الموصل الى حلب واستقر في مملكتها ولما استقر مسعود ابن مودود في ملك حلب كاتبه اخوه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار في ان يعطيه حلب ويأخذ منه سنجار فاشار قيماز بذلك فلم يمكن مسعود الا موافقته فأجاب الى ذلك فسار عماد الدين الى حلب وتسلمها وسلم سنجار الى أخيه مسعود وعاد مسعود الى الموصل (وفي هذه السنة) في شعبان توفي ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد النحوي المعروف بابن الانباري ببغداد وله تصانيف حسنة في النحو وكان فقيها (ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمس مائة)

(ذكر مسير السلطان صلاح الدين الى الشام)

في هذه السنة خامس المحرم سار السلطان صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب الاتفاق انه لما برز من القاهرة وخرجت اعيان الناس لوداعه أخذ كل منهم يقول شيئا في الوداع وفراقه وفي الحاضرين معلم لبعض أولاد السلطان فأخرج رأسه من بين الحاضرين وأنشد

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فتطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد صلاح الدين بعدها الى مصر مع طول المدة وسار السلطان صلاح الدين واغار في طريقه على بلاد الفرنج وغنم ووصل الى دمشق في حادي عشر صفر من السنة ولما سار السلطان الى الشام اجتمعت الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه فانتهز فرخشاه ابن أخي السلطان صلاح الدين ونائبه بدمشق الفرصة وسار الى الشقيف بعساكر الشام وفتحه واغار على ما يجاوره من بلاد الفرنج وأرسل الى السلطان وبشره بذلك

(ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن)

في هذه السنة سير السلطان اخاه سيف الاسلام طغتكين الى بلاد اليمن ليملكها ويقطع الفتن منها وكان نائبها حطان بن منقذ الكناني وعز الدين عثمان الزنجيلي وقد عادا الى ولايتهما فان الامير الذي كان سيره السلطان نائبا الى اليمن تولى وعزلهما ثم توفي فعاد بينهما حطان وعثمان والفتن قائمة فوصل سيف الاسلام الى زبيد فتحصن حطان في بعض القلاع فلم يزل سيف الاسلام يتلطف به حتى نزل اليه فأحسن صحبته ثم ان حطان طلب دستورا ليسير الى الشام فلم يجبه الا بعد جهد فجهز حطان اثقاله قدامه ودخل حطان ليودع سيف الاسلام فقبض عليه وارسل استرجع اثقاله واخذ جميع امواله وكان في جملة

ثاني سنة وكانت ولايته عشر سنين ونحو ثلثة اشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة ابيض اللون عاقلا عادلا عفيفا شديد الغيرة لا يدخل بيته غير الخدم اذا كانوا صغارا فاذا كبر احدهم منعه وكان عفيفا عن اموال الرعية مع شح كان فيه وحين حضره الموت اوصى بالمملكة بعده الى اخيه عز الدين مسعود ابن مودود واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه بن غازى فاستقر ذلك بعد موته حسبما قرره وكان مدبر الدولة والحاكم فيها مجاهد الدين قيماز (وفي هذه السنة) سار السلطان صلاح الدين الى جهة قليج ارسلان ابن مسعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم ووصل الى رعبان ثم اصطلحوا فقصد صلاح الدين بلاد ابن ليون الارمني وشن فيها الغارات فصالحه ابن ليون على مال حمله واسرى اطلقهم (وفيها) توفى شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية وكان له معها اكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وغيرهما وكان اجود الناس واسخاهم كفا يخرج كل ما يحمل اليه من اموال اليمن ودخل الاسكندرية ومع هذا فلما مات كان عليه نحو مائتي الف دينار مصرية دينا عليه فوفاها اخوه صلاح الدين عنه لما وصل الى مصر ووصل السلطان صلاح الدين الى مصر في هذه السنة في شعبان واستخلف بالشام ابن اخيه عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك (ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمس مائة) في هذه السنة عزم البرنس صاحب الكرك على المسير الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على تلك النواحي الشريفة وسمع ذلك عز الدين فرخشاه نائب عمه السلطان صلاح الدين بدمشق فجمع وقصد بلاد الكرك واغار عليها واقام في مقابلة البرنس ففرق البرنس جموعه وانقطع عزمه عن الحركة (وفيها) وقع بين نواب توران شاه باليمن بعد موته اختلاف فخشي السلطان صلاح الدين على اليمن فجهز اليه عسكرا مع جماعة من امرائه فوصلوا الى اليمن واستولوا عليه وكان نواب توران شاه على عدن عز الدين عثمان بن الزنجيلي وعلى زبيد حطان بن كامل بن منقذ الكناني من بيت صاحب شيزر

(ذكر وفاة الملك الصالح صاحب حلب)

في هذه السنة في رجب توفى الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بن زنكي ابن اقسنقر صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة ولما اشتد به مرض القولنج وصف له الاطبا الخمر فمات ولم يستعمله وكان حليما عفيف اليد والفرج واللسان ملازما لامور الدين لا يعرف له شيء مما يتعاطاه الشباب واوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل فلما مات سار مسعود

فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب يفسدون فى السواحل وبغتوا المسلمين فى تلك النواحى فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيا قط وكان بمصر الملك العادل ابو بكر نائبا عن أخيه السلطان صلاح الدين فعمر اسطولا فى بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين الحاجب اولو وهو متولى الاسطول بديار مصر وكان مظفرا فيه شجاعا فسار اولو مجدا فى طلبهم واوقع بالذين يحاصرون ايلة فقتلهم واسرهم ثم سار فى طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وسار اولو يقفوا اثرهم فبلغ رابغ فادركهم بساحل الحورا وتقاتلوا أشد قتال فظفر الله تعالى بهم وقتل اولو أكثرهم واخذ الباقين أسرى وارسل بعضهم الى منى لينحروا بها وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا عن آخرهم (وفى هذه السنة) توفى عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وكان ينوب عن صلاح الدين بدمشق وهو ثقته من بين أهله وكان فرخشاه شجاعا كريما فاضلا وله شعر جيد ووصل خبر موته الى صلاح الدين وهو فى البلاد الجزرية فأرسل الى دمشق شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم ليكون بها واقر بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور (وفيها) توفى ابو العباس أحمد بن على بن الرفاعى من سواد واسط وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة مالا يحصى (وفيها) توفى بقرطبة خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجى الانصارى وكان من علماء الاندلس وله التصانيف المفيدة ومولده فى سنة أربع وتسعين واربع مائة (وفيها) توفى بدمشق مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى الفقيه الشافعى ولد سنة خمس وخمس مائة وهو الملقب قطب الدين وكان اماما فاضلا فى العلوم الدينية قدم الى دمشق وصنف عقيدة للسلطان صلاح الدين وكان السلطان يقربها اولاده الصغار (ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمس مائة)

(ذكر ماملكه السلطان صلاح الدين من البلاد)

فى هذه السنة ملك السلطان صلاح الدين حصن آمد بعد حصار وقتال فى العشر الاول من المحرم وسلمها الى نور الدين محمد بن قرا ارسلان ابن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا ثم سار الى الشام وقصد تل خالد من اعمال حلب وملكها ثم سار الى عينتاب وحصرها وبها ناصر الدين محمد اخو الشيخ اسمعيل الذى كان خازن نور الدين محمود بن زنكى وكان قد سلم نور الدين عينتاب الى اسمعيل المذكور فبقيت معه الى الآن فحاصرها السلطان

ما أخذه سيف الاسلام من حطان سبعين غلاف زردية مملوة ذهبا عينا ثم سجن حطان فى بعض قلاع اليمن فكان آخر العهد به واما عثمان الزنجيلى فانه لما جرى لحطان ذلك خاف وسار نحو الشام وسير امواله فى البحر فصادفهم مراكب فيها اصحاب سيف الاسلام فأخذوا كل ما لعثمان الزنجيلى وصفت بلاد اليمن لسيف الاسلام

(ذكر غارات السلطان الملك صلاح الدين وما استولى عليه من البلاد)

فى هذه السنة سار السلطان صلاح الدين من دمشق فى ربيع الاول ونزل قرب طبرية وشن الاغارة على بلاد الفرنج مثل بانياس وجينين والغور فغنم وقتل وعاد الى دمشق ثم سار منها الى بيروت وحصرها واغار على بلادها ثم عاد الى دمشق ثم سار من دمشق الى البلاد الجزرية وعبر الفرات من البيرة فصار معه مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على بن بكتكين وكان حينئذ صاحب حران وكاتب السلطان صلاح الدين ملوك تلك الاطراف واستمالهم فاجابه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وسار معه ونازل السلطان الرها وحاصرها وملكها وسلمها الى مظفر الدين كوكبورى صاحب حران ثم سار السلطان الى الرقة وأخذها من صاحبها قطب الدين ينال ابن حسان المنبجى فسار ينال الى عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم سار صلاح الدين الى الخابور وملك قرقيسيا وماكسين وعربان والخابور واستولى على الخابور جميعه ثم سار الى نصيبين وحاصرها وملك المدينة ثم ملك القلعة ثم اقطع نصيبين اميرا كان معه يقال له أبو الهيجا السمين ثم سار عن نصيبين وقصد الموصل وقد استعد صاحبها عز الدين مسعود ومجاهد الدين قيماز للحصار وشحنوها بالرجال والسلاح فحصر الموصل وأقام عليها منجنيقا فأقاموا عليه من داخل المدينة تسعة منا جنيق وضايق الموصل فنزل السلطان صلاح الدين محاذاة باب كندة ونزل صاحب حصن كيفا على باب الجسر ونزل تاج الملوك بورى أخو صلاح الدين على باب العمادى وجرى القتال بينهم وكان ذلك فى شهر رجب من هذه السنة فلما راى ان حصارها يطول رحل عن الموصل الى سنجار وحاصرها وملكها واستناب بها سعد الدين بن معين الدين انز وكان من اكابر الامراء واحسنهم صورة ومعنى ثم سار السلطان صلاح الدين الى حران وعزل فى طريقه عن نصيبين ابا الهيجا السمين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة عمل البرنس صاحب الكرك اسطولا فى بحر ايلة وساروا فى البحر

تاسع جمادى الآخرة من هذه السنة فأغار على بيسان وحرقها وشن الغارات على تلك النواحي ثم تجهز السلطان الى الكرك وارسل الى نائبه بمصر وهو أخوه الملك العادل ان يلاقيه الى الكرك فسارا واجتمعا عليها وحصر الكرك وضيق عليها ثم رحل عنها في منتصف شعبان وسار معه اخوه العادل وارسل السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر الى مصر نائبا عنه موضع الملك العادل ووصل السلطان الى دمشق واعطى أخاه ابابكر العادل مدينة حلب وقلعتها واعمالها وسيره اليها في شهر رمضان من هذه السنة وأحضر ولده الظاهر منها الى دمشق (وفي هذه السنة) في جمادى الآخرة توفي محمد بن بختيار بن عبدالله الشاعر المعروف بالابله (وفي هذه السنة) اعني سنة تسع وسبعين وخمس مائة في اواخرها توفي شاه ارمن سكمان ابن ظهير الدين ابراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط وقد تقدم ذكر ملك شاه ارمن المذكور في سنة احدى وعشرين وخمس مائة وكان عمر سكمان لما توفي اربعا وستين سنة ولما مات سكمان كان بكتمر ٣ مملوكه بميافارقين فلما سمع بكتمر بموته سار من ميافارقين ووصل الى خلاط وكان اكثر اهلها يريدونه وكان مماليك شاه ارمن متفقين معه فأول وصوله استولى على خلاط وتملكها وجلس على كرسي شاه ارمن واستقر في مملكة خلاط حتى قتل في سنة تسع وثمانين وخمسمائة حسبما نذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة ثمانين وخمس مائة)

٣ نسخه مملوك ابيه

(ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن)

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب الى بلاد الاندلس وعبر البحر في جمع عظيم من عساكره وقصد بلاد الفرنج فحصر شنترين من غرب الاندلس واصابه مرض فمات منه في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية وكانت مدة مملكته اثنين وعشرين سنة وشهورا وكان حسن السيرة واستقامت له المملكة لحسن تدبيره ولما مات بايع الناس ولده يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكنيته ابو يوسف وملكوه عليهم في الوقت الذي مات فيه ابوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقرب العدو فقام يعقوب بالملك احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة

(ذكر غزوة السلطان الكرك)

في هذه السنة في ربيع الآخر سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربض الكرك وبقيت القلعة وليس بينها وبين الربض غير خندق حشب وقصد السلطان صلاح الدين طمه فلم يقدر لكثرة المقاتلة فجمعت الفرنج

وملكها بتسليم صاحبها اليه فاقره السلطان عليها و بقى فى خدمة السلطان ومن جملة امرائه ثم سار السلطان الى حلب وحصرها و بها صاحبها عماد الدين زنكى بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر وطال الحصار عليه وكان قد كثر اقتراحات امراء حلب وعسكرها عليه وقد ضجر من ذلك وكره حلب لذلك فاجاب السلطان صلاح الدين الى تسليم حلب على ان يعوض عنها بسنجار و نصيبين والخابور والرقة وسروج واتفقوا على ذلك وسلم حلب الى السلطان فى صفر من هذه السنة فكان ينادون اهل حلب على عماد الدين المذكور يا حمار بعت حلب بسنجار وشرط السلطان على عماد الدين المذكور الحضور الى خدمته بنفسه وعسكره اذا استدعاه ولا يحتج بحجة عن ذلك ومن الاتفاقات العجيبة ان محى الدين بن الزكى قاضى دمشق مدح السلطان بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فوافق فتح القدس فى رجب سنة ثلث وثمانين وخمس مائة وكان فى جملة من قتل على حلب تاج الملوك بورى بن ايوب اخو السلطان الاصغر وكان كريما شجاعا طعن فى ركبته فانفكت فمات منها ولما استقر الصلح عمل عماد الدين زنكى المذكور دعوة للسلطان واحتفل لها فبينا هم فى سرور هم اذ جاء انسان فاسر الى السلطان بموت أخيه بورى فوجد عليه فى قلبه وجدا عظيما وامر بتجهيزه سرا و لم يعلم السلطان فى ذلك الوقت احدا ممن كان فى الدعوة بذلك لئلا يتنكد عليهم ما هم فيه وكان يقول السلطان ما وقعت حلب علينا رخيصة بموت بورى وكان هذا من السلطان من الصبر العظيم ولما ملك السلطان حلب ارسل الى حارم و بها سرخك الذى ولاه الملك الصالح ابن نور الدين فى تسليم حارم وجرت بينهما مراسلات فلم ينتظم بينهما حال وكان سرخك الفرنج فوثب عليه اهل القلعة وقبضوا عليه وسلموا حارم الى السلطان فتسلمها وقرر امر حلب و بلادها واقطع اعزاز اميرا يقال له سليمان بن جندر

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على نايبه مجاهد الدين قيماز (وفيها) لما فرغ السلطان من تقرير امر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازى وسار الى دمشق وتجهز منها للغزو فعبر نهر الاردن

(ذكر حصار السلطان صلاح الدين الموصل)

في هذه السنة حصر السلطان صلاح الدين الموصل وهو حصاره الثاني فارسل اليه عز الدين مسعود صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين محمود ابن زنكي وغيرهما من النساء وجماعة يطلبون منه ترك الموصل وما بايديهم فردهم واستقبح الناس ذلك من صلاح الدين لاسيما وفيهن بنت نور الدين محمود وحاصر الموصل وضايقها وبلغه وفاة شاهرمن صاحب اخلاط في ربيع الآخر من هذه السنة فسار عن الموصل الى جهة اخلاط فاستدعى اهلها ليملكها

(ذكر وفاة صاحب حصن كيفا)

في هذه السنة توفي نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن وآمد وملك بعده ولده سقمان ولقبه قطب الدين وكان صغيرا فقام بتدبيره القوام بن سماقا الاشعردي وحضر سقمان الى السلطان صلاح الدين وهو نازل على ميا فارقين فأقره على ماكان بيد والده نور الدين محمد وأقام معه امرا من اصحاب أبي سقمان المذكور

(ذكر ملك السلطان صلاح الدين ميا فارقين)

لما سار السلطان عن الموصل الى اخلاط جعل طريقه على ميا فارقين وكانت لصاحب ماردين الذي توفي وفيها من حفظها من جهة شاهرمن صاحب اخلاط المتوفى فحاصرها السلطان وملكها في سلخ جمادى الاولى ثم ان السلطان رجع عن قصد اخلاط الى الموصل فجاءته رسل عز الدين مسعود يسأل في الصلح واتفق حينئذ ان السلطان صلاح الدين مرض وسار من كفر زمار عايدا الى حران فلحقته رسل صاحب الموصل بالاجابة الى ماطلب وهو ان يسلم صاحب الموصل الى السلطان صلاح الدين شهر زور واعمالها وولاية القرابلي وجميع ماوراء الزاب وان يخطب للسلطان صلاح الدين على جميع منابر الموصل ومابيده وان يضرب اسمه على الدراهم والدنانير وتسلم السلطان ذلك واستقر الصلح وامنت البلاد ووصل السلطان الى حران وأقام بها مريضا واشتد به المرض حتى ايسوا منه ثم انه توفي وعاد الى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة ولما اشتد مرض السلطان سار ابن عمه محمد بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص الى حمص وكاتب بعض اكابر دمشق في أن يسلموا اليه دمشق اذا مات السلطان

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة ليلة عيد الاضحى شرب بحمص صاحبها ناصر الدين محمد

فارسها وراجلها وقصدوه فلم يمكن السلطان الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقاموا فى اماكن وعرة واقام السلطان قبالتهم وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فعلم بامتناعه عليه فسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بتلك النواحى وقتل واسر وسبى فاكثر ثم سار الى صبصطية وبها مشهد زكريا فاستنقذ ما بها من اسرى المسلمين ثم سار الى جنين ثم عاد الى دمشق

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

فى هذه السنة مات قطب الدين ايلغازى بن نجم الدين البى بن تمرتاش ابن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين اقول انه قد تقدم فى سنة سبع واربعين وخمس مائة ذكر ملك البى والد ايلغازى المذكور وبقى البى فى ملك ماردين حتى مات وملك بعده ابنه ايلغازى المذكور ولم يقع لى وفاة البى وملك ايلغازى المذكورين متى كان لاثبته ولما مات ايلغازى المذكور كان له اولاد اطفال فاقيم فى الملك بعده ولده حسام الدين بولق ارسلان وقام بتدبير المملكة وتربيتهما مملوك والده نظام الدين البقش حتى كبر بولق ارسلان وكان به هوج وخبط فمات بولق ارسلان واقام البقش بعده اخاه الاصغر ناصر الدين ارتق ارسلان بن قطب الدين ايلغازى ولم يكن له حكم بل الحكم الى البقش والى مملوك لالبقش اسمه اولو وكان قد تغلب على استاذه البقش بحيث كان لا يخرج البقش عن رأى اولو المذكور ولم يكن لناصر الدين ارتق ارسلان صاحب ماردين من الحكم شئ وبقى الامر كذلك الى سنة احدى وست مائة فمرض النظام البقش واتاه ناصر الدين صاحب ماردين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه اولو فضربه ناصر الدين بسكين فقتله ثم عاد الى البقش فقتله وهو مريض واستقل ارتق ارسلان بملك ماردين من غير منازع (وفى هذه السنة) توفى شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسمعيل بن ابى سعيد أحمد وكان قد سار من عند الخليفة الى السلطان صلاح الدين فى رسالة ومعه شهاب الدين بشير الخادم ليصلحا بين السلطان صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل فلم ينتظم حال واتفق انهما مرضا بدمشق وطلبا المسير الى العراق وسارا فى الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين شيخ الشيوخ بالرحبة ودفن بمشهد البوق وكان اوحد زمانه قد جمع بين رياسة الدين والدنيا (وفيها) فى المحرم اطلق عز الدين مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قيماز من الحبس وأحسن اليه (ثم دخلت سنة احدى وثمانين وخمس مائة)

ابن ارسلان بن طغريل بن محمد بن ملكشاه السلجوقي مع البهلوان وله الخطبة
في بلاده وليس له من الامر شيء فلما مات البهلوان خرج طغريل عن حكم
قزل وكثر جمعه واستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب

(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة غدر البرنس صاحب الكرك وأخذ قافلة عظيمة من المسلمين
واسرهم فأرسل السلطان يطلب منه اطلاقهم بحكم الهدنة التي كانت بينهم
على ذلك فلم يفعل فنذر السلطان انه ان ظفره الله به قتله بيده (وفيها)
توفي ابو محمد عبد الله بن ابي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري المصري الامام
في علم النحو واللغة اشتغل عليه جماعة وانتفعوا به ومن جملتهم ابو موسى
الجزولي صاحب المقدمة الجزولية في النحو وكانت وفاته بمصر وولادته بها
في سنة تسع وتسعين واربع مائة (ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة)

(ذكر غزوات السلطان الملك الناصر صلاح الدين وفتوحاته)

في هذه السنة جمع السلطان العساكر وسار بفرقة من العسكر وضايق الكرك
خوفا على الحجاج من صاحب الكرك وارسل فرقة اخرى مع ولده الملك
الافضل فاغاروا على بلد عكا وتلك الناحية وغنموا شيئا كثيرا ثم سار السلطان
ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف وتأخرت القلعة
وكانت طبرية للقومص صاحب طرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في
طاعته فارسلت الفرنج الى القومص المذكور القسوس والبطرك ينهونه عن موافقة
السلطان ويوبخونه فصار معهم واجتمع الفرنج للقاء السلطان

(ذكر وقعة حطين وهي الوقعة العظيمة)

(التي فتح الله بها الساحل وبيت المقدس)

لما فتح السلطان مدينة طبرية اجتمعت الفرنج في ملوكهم بفارسهم وراجلهم
وساروا الى السلطان فركب السلطان من عند طبرية وسار اليهم يوم السبت
لخمس بقين من ربيع الآخر والتقى الجمعان واشتد بينهم القتال ولما راى
القومص شدة الامر حمل على من قدامه من المسلمين وكان هناك تقي الدين صاحب
حماه فافرج له وعطف عليهم فنجا القومص ووصل الى طرابلس وبقي مدة
يسيرة ومات غما ونصر الله المسلمين واحدقوا بالفرنج من كل ناحية وابادوهم
قتلا واسرا وكان في جملة من اسر ملك الفرنج الكبير والبرنس ارناط صاحب
الكرك وصاحب جبيل وابن الهنفري ومقدم الداوية وجماعة من الاسبتارية
وما اصيبت الفرنج من حين خرجوا الى الشام وهي سنة احدى وتسعين واربع

ابن شيركوه بن شاذى وأصبح ميتا قيل ان السلطان صلاح الدين دس عليه من سقاه سما لما بلغه مكاتبته أهل دمشق فى مرضه ولما مات اقر السلطان حمص وما كان بيد محمد على ولده شيركوه بن محمد وعمره اثنتاعشرة سنة وخلف صاحب حمص شيئا كثيرا من الدواب والآلات وغيرها فاستعرضها السلطان عند نزوله بحمص فى عودته من حران واخذ أكثرها ولم يترك الا مالا خير فيه (وفيها) توفى الحافظ محمد بن عمر بن أحمد الاصفهانى المدينى المشهور وكان امام عصره فى الحفظ والمعرفة وله فى الحديث وعلومه تواليف مفيدة وله كتاب المغيث فى مجلد كمل به كتاب الغريبين للهروى واستدرك فيه عليه مواضع وهو كتاب نافع وكان مولده سنة احدى وخمس مائة (ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة)

(ذكر نقل الملك العادل اخى السلطان من حلب)
(واخراج الملك الافضل ابن السلطان من مصر الى دمشق)

فى هذه السنة أحضر السلطان ولده الملك الافضل من مصر واقطعه دمشق وسببه ان الملك المظفر تقى الدين عمر بن أخى السلطان كان نايب عمه بمصر وكان معه الملك الافضل فأرسل تقى الدين يشتكى من الافضل انى لا اتمكن من استخراج الخراج فانى اذا احضرت من عليه الخراج واردت عقوبته يطلقه الملك الافضل فارسل السلطان اخرج ابنه الملك الافضل من مصر واقطعه دمشق وتغير السلطان على تقى الدين عمر فى الباطن فانه ظن انه انما أخرج ولده من مصر ليتملك مصر اذا مات السلطان ثم احضر أخاه العادل من حلب وجعل معه ولده العزيز عثمان ابن السلطان نايبا عنه بمصر واستدعى تقى الدين عمر من مصر فقيل انه توقف عن الحضور وقصد اللحوق بمملوكه قراقوش المستولى على بعض بلاد افريقية وبرقة من المغرب وبلغ السلطان ذلك فساءه وارسل يستدعى تقى الدين عمر وبلاطفه فحضر اليه ولما حضر تقى الدين عند السلطان زاده على حماة منبج والمعرة وكفر طاب وميا فارقين وجبل جور بجميع اعمالها واستقر العادل والعزيز عثمان فى مصر ولما أخذ السلطان حلب من اخيه العادل اقطعه عوضها حران والرها

(ذكر وفاة البهلوان وملك أخيه قزل)

فى هذه السنة فى اولها توفى البهلوان محمد بن الدكز صاحب بلد الجبل همدان والرى واصفهان واذربيجان وارانية وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة وملك البلاد بعده أخوه قزل ارسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغريل

كل من بها عشرة الدنانير عشرة الدنانير من الرجال ويؤدى النساء خمسة خمسة ويؤدوا عن كل طفل دينارين واى من عجز عن الاداء كان اسيرا فاجيب الى ذلك وسلمت اليه المدينة يوم الجمعة فى السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفعت الاعلام الاسلامية على اسوار المدينة ورتب السلطان على ابواب البلد من يقبض منهم المال المذكور فخان المرتبون فى ذلك ولم يحملوا منه الا القليل وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب وتسلق المسلمون وقلعوه فسمع لذلك ضجة لم يعهد مثلها من المسلمين للفرح والسرور ومن الكفار بالتفجع والتوجع وكان الفرنج قد عملوا فى غربى الجامع الاقصى هريا ومستراحا فامر السلطان بازالة ذلك واعادة الجامع الى ما كان عليه وكان نور الدين محمود بن زنكى قد عمل منبرا بحلب قد تعب عليه مدة وقال هذا لاجل القدس فارسل السلطان صلاح الدين احضر المنبر من حلب وجعله فى الجامع الاقصى واقام السلطان بعد فتوح القدس بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب امور البلد واحواله وامر بعمل الربط والمدارس الشفعوية ثم رحل السلطان الى عكا ورحل منها الى صور وصاحبها المركيس وقد حصنها بالرجال وحفر خندقها ونزل السلطان على صور تاسع شهر رمضان وحاصرها وضايقها وطلب الاسطول فوصل اليه فى عشرة شوان فاتفق ان الفرنج كبسوهم فى الشوانى واخذوا خمسة شوان ولم يسلم من المسلمين الا من سبح ونجا واخذ الباقون وطال الحصار عليها فرحل السلطان عنها فى آخر شوال وكان اول كانون الاول واقام بعكا واعطا العساكر الدستور فسار كل واحد الى بلده وبقى السلطان بعكا فى حلقته وارسل الى هوبين ففتحها بالامان

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة سار شمس الدين محمد بن عبد الملك عرف بابن المقدم بعد فتح القدس حاجا وكان هو امير الحاج الشامى ليجمع بين الغزوة وزيارة القدس والخليل عليه السلام والحج فى عام واحد فسار ووقف بعرفات ولما افاض ارسل اليه طاشتكين امير الحاج العراقى يمنعه من الافاضة قبله فلم يلتفت اليه فسار العراقيون واتقعوا مع الشاميين فقتل بينهم جماعة وابن المقدم يمنع اصحابه من القتال ولو امكنهم لانتصفوا من العراقيين فجرح ابن المقدم ومات شهيدا ودفن بمقبرة المعلى (وفيها) قوى امر السلطان طغريل بن ارسلان شاه بن طغريل بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وملك كثيرا من البلاد وارسل قزل بن الدكز الى الخليفة يستنجده ويخوفه عاقبة امر طغريل (وفيها) سار شهاب الدين الغورى وغزا بلاد الهند (وفيها) قتل الخليفة الناصر

مائة الى الآن بمصيبة مثل هذه الوقعة ولما انقضى المصاف جلس السلطان
فى خيمته واحضر ملك الفرنج واجلسه الى جانبه وكان الحر والعطش به شديدا فسقاه
السلطان ماء مثلوجا وسقى ملك الفرنج منه البرنس ارناط صاحب الكرك فقال
له السلطان ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذنى فيكون امانا له ثم كلم السلطان
البرنس ووبخه وقرعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين وقام السلطان
بنفسه فضرب عنقه فارتعدت فرايص ملك الفرنج فسكن جاشه ثم عاد السلطان
الى طبرية وفتح قلعتها بالامان ثم سار الى عكا وحاصرها وفتحها بالامان ثم ارسل
اخاه الملك العادل فنازل مجدليابا وفتحه عنوة بالسيف ثم فرق السلطان عسكره
ففتحوا الناصرة وقيسارية وهيفا وصفورية ومعلثيا والفولة وغيرها من البلاد
المجاورة لعكا بالسيف وغنموا وقتلوا واسروا اهل هذه الاماكن وارسل فرقة الى
نابلس فملكوا قلعتها بالامان ثم سار الملك العادل بعد فتح مجدليابا الى يافا
وفتحها عنوة بالسيف ثم سار السلطان الى تبنين ففتحها بالامان ثم سار الى صيدا
فاخلاها صاحبها وتسلمها السلطان ساعة وصوله لتسع بقين من جمادى الاولى
من هذه السنة ثم سار الى بيروت فحصرها وتسلمها فى ٢ التاسع والعشرين من
جمادى الاولى بالامان وكان حصرها مدة ثمانية ايام وكان صاحب جبيل من
جملة الاسرى فبذل جبيل فى ان يسلمها ويطلق سراحه فاجيب الى ذلك وكان
صاحب جبيل من اعظم الفرنج واشدهم عداوة للمسلمين ولم تك عاقبة اطلاقه
حميدة وارسل السلطان فتسلم جبيل واطلقه (وفيها) حضر المركيس
فى سفينة الى عكا وهى للمسلمين ولم يعلم المركيس بذلك واتفق هجوم الهوا
فراسل المركيس الملك الافضل وهو بعكا يقترح امرا بعد آخر والملك الافضل
يجيب المركيس الى ذلك الى ان هب الهوا فاقلع المركيس الى صور واجتمع عليه
الفرنج الذين بها وملك صورا وكان وصول المركيس الى صور واطلاق الفرنج
الذين يأخذ السلطان بلادهم بالامان ويحملهم الى صور من اعظم اسباب
الضرر التى حصلت حتى راحت عكا وقوى الفرنج بذلك ثم سار السلطان
الى عسقلان وحاصرها اربعة عشر يوما وتسلمها بالامان سلخ جمادى الآخرة ثم بث
السلطان عسكره ففتحوا الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبيت جبريل
والنطرون وغير ذلك ثم سار السلطان ونازل القدس وبه من النصارى عدد يفوت
الحصر وضايق السلطان السور بالنقابين واشتد القتال وعلقوا السور فطلب
الفرنج الامان فلم يجبهم السلطان الى ذلك وقال لا اخذها الا بالسيف مثلما
اخذها الفرنج من المسلمين فعاودوه فى الامان وعرفوه ماهم عليه من الكثرة وانهم
ان ايسوا منه من الامان قاتلوا خلاف ذلك فاجابهم السلطان اليه بشرط ان يؤدى

نسخه
اسابع

اهلهـا وتحصنوا بقلعة الشغر فحصرها ووجدها منيعة وضـا يقها فارمى الله
في قلوب اهلها الرعب وطلبوا الامان وتسلمها يوم الجمعة سادس جمادى الآخرة
بالامان وأرسل السلطـان ولده الملك الظـاهر غازى صـاحب حلب فحصر
سرمينية وضايقها وملكها واستنزل أهلها على قطيعة قررها عليهم وهدم
الحصن وعفى اثره وكان فى هـذا الحصن وفى الحصون المذكورة من اسرى
المسلمين الجم الغفير فاطلقوا واعطوا الكسوة والنفقة ثم سـار السلطان من الشغر
الى برزية ورتب عسكره ثلاثة اقسام وداومها بالزحف وملكها بالسيف فى السابع
والعشرين من جمادى الآخرة وسبى واسر وقتل أهلهـا قال مؤلف الكامل
ابن الاثير كنت مع السلطان فى مسيره وفتحه هذه البلاد طلبـا للغزوة فنحكى
ذلك عن مشاهدة ثم سار السلطان فنزل على جسر الحديد وهو على العاصى
بالقرب من انطاكية فاقام عليه اياما حتى تلاحق به من تأخر من العسكر ثم سار
الى دربسـاك ونزل عليهـا ثامن رجب من هذه السنة وحاصرها وضـايقها
وتسلمهـا بالامان على شرط ان لا يخرج أحد منها الا بثيابه فقط وتسلمها تاسع
عشر رجب ثم سـار من دربساك الى بغراس وحصرها وتسلمها بالامان على
حكم أمان دربساك وارسل بيمند صاحب انطاكية الى السلطان يطلب منه
الهـدنة والصلح وبذل اطـلاق كل اسـير عنده فأجابه السلطـان الى ذلك
واصطلحوا ثمانية اشهر وكان صـاحب انطـاكية حينئذ اعظم ملوك الفرنج
فى هذه البـلاد فان اهـل طرابلس سلموا اليـه طرابلس بعد موت القومص
صاحبها على ماذكرناه فجعل بيمند صاحب انطاكية ابنه فى طرابلس ولما فرغ
السلطان من أمر هذه البلاد والهدنة سـار الى حلب فدخلها ثالث شعبـان
وسـار منها الى دمشق واعطى عمـاد الدين زنكى بن مودود دستورا وكذلك
اعطى غيره من العساكر الشرقية وجعل طريقه لما رحل من حلب على قبر عمر
رضى الله عنه ابن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصـالح ابا زكريا المغربى وكان
مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع السلطان
ابو فليتة الامير قاسم بن مهنا الحسينى صـاحب مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم وشهد معه مشاهده وفتوحاته وكان السلطان يتبرك برؤيته ويتيمن بصحبته
ويرجع الى قوله ودخل السلطان دمشق فى شهر رمضان المعظم فاشير عليه بتفريق
العساكر ليريحوا ويستريحوا فقال السلطان ان العمر قصير والاجل غير مأمون
وكان السلطـان لمـا سـار الى البـلاد الشمـالية قد جعل على الكرك وغيرها
من يحصرها وخلا أخاه الملك العادل فى تلك الجهات يباشر ذلك فارسل اهل
الكرك يطلبون الامان فأمر الملك العادل المباشرين لحصارها بتسلمها فتسلموا

استاذ داره مجدالدين اباالفضل بن الصاحب ولم يكن للخليفة معه حكم وظهر له اموال عظيمة فاخذت جميعها (وفيها) استوزر الخليفة الناصر لدين الله ابا المظفر عبيدالله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى ارباب الدولة فى ركابه حتى قاضى القضاة وكان ابن يونس من خملة الناس فكان يمشى و يقول لعن الله طول العمر (وفيها) توفى قاضى القضاة الدامغانى وكان قدولى القضاء المقتفى

(ثم دخلت سنة اربع وثمانين وخمس مائة)

(ذكر فتوحات السلطان صلاح الدين وغزواته)

شتى السلطان هذه السنة فى عكا ثم سار بن معه وقصد كوكب وجعل على حصارها اميرا يقال له قيماز النجمى وسار منها فى ربيع الاول ودخل دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى الاطراف باجتماع العساكر واقام فى دمشق تقدير خمسة ايام وسار من دمشق فى منتصف ربيع الاول من هذه السنة ونزل على بحيرة مقدس غربى حمص واتته العساكر بها فاولهم عماد الدين زنكى ابن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين ولما تكاملت عساكره رحل ونزل تحت حصن الاكراد وشن الغارات على بلاد الفرنج وسار من حصن الاكراد فنزل على انطرطوس سادس جمادى الاولى فوجد الفرنج قد اخلوا انطرطوس فسار الى مرقية فوجدهم قد أخلوها ايضا فسار الى تحت المرقب وهو لاستبتار فوجده لا يرام ولالاحد فيه مطمع فسار الى جبله ووصل اليها ثامن جمادى الاولى وتسلمها حالة وصوله فجعل فيها لحفظها الامير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر ثم سار السلطان الى اللاذقية ووصل اليها فى الرابع والعشرين من جمادى الاولى ولها قلعتان فحصر القلعتين وزحف اليهما فطلب اهلهما الامان فامنهم وتسلم القلعتين ولما ملك السلطان اللاذقية سلمها الى ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب فعمرها وحصن قلعتها وكان تقى الدين عظيم الهمة فى تحصين القلاع والغرامة عليها كما فعل بقلعة حماة ثم رحل السلطان عن اللاذقية فى ٢ السابع والعشرين من جمادى الاولى الى صهيون وحاصرها وضايقها فطلب اهلها الامان فلم يجبهم الا على امان اهل القدس فيما يودونه فاجابوه الى ذلك وتسلم السلطان قلعة صهيون وسلمها الى امير من اصحابه يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة أبى قبيس ثم فرق عسكره فى تلك الجبال فملكوا حصن بلاطنوس ٣ وكان الفرنج الذين به قد هربوا منه واخلوه وملكوا حصن العيدو وحصن ٤ الجماهديين ثم سار السلطان من صهيون ثالث جمادى الآخرة ووصل الى قلعة بكاس فاخلاها

في التسليم فقال لا يوافقني عليه اهلي واهل الحصن فامسكه السلطان و بعثه الى دمشق فحبس

(ذكر حصار الفرنج عكا)

كان قد اجتمع بصور اهل البلاد التي اخذها السلطان بالامان فكثر جمعهم حتى صاروا في عالم لا يحصى كثرتهم وارسلوا الى البحر يبكون ويستنجدون وصوروا صورة المسيح وصورة عربي يضرب المسيح وقد ادماه وقالوا هذا نبي العرب يضرب المسيح فخرجت النساء من بيوتهن ووصل من الفرنج في البحر عالم لا يحصون كثرة وساروا الى عكا من صور ونازلوها في منتصف رجب من هذه السنة وضايقوا عكا واحاطوا بسورها من البحر الى البحر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فسار اليهم السلطان ونزل قريب الفرنج وقاتلهم في مستهل شعبان وباتوا على ذلك واصبحوا فحمل تقي الدين عمر صاحب حماة من ميمنة السلطان على الفرنج فازالهم عن موقفهم والتزق بالسور وانفتح الطريق الى المدينة يدخل المسلمون و يخرجون وادخل السلطان الى عكا عسكرا نجدة فكان من جملتهم ابو الهيجاء السمين و بقي المسلمون يغدون القتال ويراوحونه الى العشرين من شعبان ثم كان بين المسلمين و بينهم وقعة عظيمة فان الفرنج اجتمعوا وضربوا مع السلطان مصافا وحملوا على القلب فازالوه واخذوا يقتلون في المسلمين الى ان بلغوا الى خيمة السلطان فانحاز السلطان الى جانب وانضاف اليه جماعة وانقطع مدد الفرنج واشتغلوا بقتال الميمنة فحمل السلطان على الفرنج الذين خرقوا القلب وانعطف عليهم العسكر وافنوهم قتلا فكانت قتلى الفرنج نحو عشرة آلاف نفس ووصل المنهزمون من المسلمين بعضهم الى طبرية و بعضهم وصل الى دمشق وجافت الارض بعد هذه الوقعة ولحق السلطان مرض وحدث له قولنج فاشار عليه الامراء بالانتقال من ذلك الموضع فوافقهم ورحل عن عكا رابع عشر رمضان من هذه السنة الى الخروبة فلما رحل تمكن الفرنج من حصار عكا وانبسطوا في تلك الارض وفي تلك الحال وصل اسطول المسلمين في البحر مع حسام الدين لولو وكان شهما فظفر ببطشة للفرنج فاخذها ودخل بها الى عكا فسرى قلوب المسلمين وكذلك وصل الملك العادل بعسكر مصر وبالسلاح الى اخيه السلطان فقويت قلوب المسلمين بوصوله

(ذكر غير ذلك)

فيها توفي بالخروبة الفقيه عيسى وكان مع السلطان وهو من اعيان عسكره وكان جنديا فقيها شجاعا وكان من اصحاب الشيخ ابي القاسم البرزي (وفيها) توفي

الكرك والشوبك وما يلك الجهات من البلاد ثم سار السلطان من دمشق في منتصف رمضان وسار الى صفد فحصرها وضايقها وتسلمها بالامان ثم سار الى كوكب وعليها قيماز النجمي يحاصرها فضايقها السلطان وتسلمها بالامان في منتصف ذي القعدة وسير اهلها الى صور وكان اجتماع اهل هذه القلاع في صور من أعظم اسباب الضرر على المسلمين ظهر ذلك فيما بعد ثم سار السلطان الى القدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار الى عكا وأقام بها حتى انسلخت السنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة ارسل قزل بن الدكز يستنجد بالخليفة الامام الناصر على طغريل ابن ارسلان بن طغريل السلجوقي ويحذره عاقبة أمره فأرسل الخليفة عسكرا الى طغريل والتقوا ثامن ربيع الاول من هذه السنة قرب همدان فانهزم عسكر الخليفة وغنم طغريل أموالهم وأسر مقدم العسكر جلال الدين عبيدالله وزير الخليفة (وفيها) توفي محمد بن عبدالله الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور وقصايده في الغزل والنسيب مشهورة وله في غير ذلك اشياء حسنة ايضا فنها وقد صودر ببغداد جماعة من الدواوين من جملة قصيدة

ياقاصدا بغداد جز عن بلدة * الجور فيها زجرة وعتاب
ان كنت طالب حاجة فارجع فقد * سدت على الراجي بها الابواب
والناس قد قامت قيامتهم فلا * أنساب بينهم ولا اسباب
والمرء يسلمه ابوه وعرسه * ويخونه القرباء والاحباب
لا شافع تغني شفاعته ولا * جان له مما جناه متاب
شهدوا معادهم فعاد مصدقا * من كان قبل بمثله يرتاب
(٣)جسر وميزان وعرض جرايد * وصحايف منشورة وحساب
ما فاتهم من يوم ما وعدوا به * في الحشر الا راحم وهاب

حشر

ومولد ابن التعاويذي المذكور في سنة تسع عشرة وخمس مائة (ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمس مائة) في هذه السنة سار السلطان صلاح الدين ونزل بمرج عيون وحضر اليه صاحب شقيف ارنون وبذل اليه تسليم الشقيف بعد مدة ظهر بها خديعة منه فلما بقي للمدة ثلثة ايام استحضره السلطان وكان اسم صاحب الشقيف ارنلط فقال له السلطان

ولم يصل مع ابن ملك الالمان الى الفرنج الذين على عكا غير تقدير الف مقاتل وكفى الله المسلمين شرهم وبقى السلطان والفرنج على عكا يتناوشون القتال الى العشرين من جمادى الآخرة فخرجت الفرنج من خنادقهم بالفارس والراجل وازالوا الملك العادل عن موضعه وكان معه عسكر مصر فعطفت عليهم المسلمون وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فعادوا الى خنادقهم وحصل للسلطان مغس فانقطع فى خيمة صغيرة ولولا ذلك لكانت الفيصلة ولكن اذا اراد الله امرا فلا مرد له

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة لما قوى الشتا واشتدت الرياح ارسل الفرنج المحاصرون عكا مراكبهم الى صور خوفا عليها ان تنكسر فانفتحت الطريق الى عكا فى البحر وارسل البدل اليها فكان العسكر الذين خرجوا منها اضعاف الواصلين اليها فحصل التفريط بذلك لضعف البدل (وفيها) فى ثامن شوال توفى زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك صاحب اربل وكان مع السلطان فى عسكره ولما توفى اقطع السلطان صلاح الدين اربل اخاه مظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين على كوجك واضاف اليه شهرزور واعمالها وارتجع ماكان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسار مظفر الدين الى اربل وملكها (وفيها) استولى الخليفة الناصر لدين الله على حديثة عانة بعد حصرها مدة (وفيها) اقطع السلطان ماكان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسمساط ٣ والموزر الملك المظفر تقى الدين عمر زيادة على ما بيده وهو ميافارقين ومن الشام حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطنس ٤ وبكراس (ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمس مائة)

٣ نسخة شميساط ٤ نسخة وبكراس

(ذكر استيلاء الفرنج على عكا)

واستمر حصار الفرنج لعكا الى هذه السنة وكانوا قد احاطوا بها من البحر الى البحر وحفروا عليهم خندقا فلم يتمكن السلطان من الوصول اليهم وكانوا محاصرين لعكا وهم كالمحصورين من خارجهم من السلطان واشتد حصارهم لعكا وطال وضعف من بها عن حفظ البلد وعجز السلطان صلاح الدين عن دفع العدو عنهم فخرج الامير سيف الدين على بن احمد المشطوب من عكا وطلب الامان من الفرنج على مال واسرى يقومون به للفرنج فاجابوهم الى ذلك وصعدت اعلام الفرنج على عكا ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من هذه السنة واستولوا على البلد بما فيه وحبسوا المسلمين فى اماكن من البلد وقالوا انما نحبسهم ليقوموا بالمال والاسرى

محمد بن يوسف بن محمد بن قايد الملقب موفق الدين الاربلي الشاعر المشهور وكان اماما مقدما في علم العربية وكان اعلم الناس بالعروض واحذقهم بنقد الشعر واعرفهم بجيده من رديه واشتغل بعلوم الاوايل وحل كتاب اقليدس وهو شيخ ابي البركات ابن المستوفي صاحب تاريخ اربل ورحل ابن القايد المذكور الى شهرزور وقام بها مدة ثم رحل الى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين يوسف ومن شعره قصيدة مدح بها زين الدين يوسف صاحب اربل منها

رب دار بالحمى طال بلاها * عكف الركب عليها فبكاها
كان لي فيها زمان وانقضى * فسقى الله زماني وسقاها
قل لجيران مواثيقهم * كلما احكمتها رثت قواها
كنت مذ غو فابكم اذ كنتم * شجرا لا يبلغ الطير ذراها
واذا ما طمع اغرى بكم * عرض الياس لنفسي فثناها
فصبابات الهوى اولها * طمع النفس وهذا منتهاها
لا تظنوا لي اليكم رجعة * كشف التجريب عن عيني عماها
ان زين الدين اولاني يدا * لم تدع لي رغبة فيما سواها

وهي طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وكان ابوه محمد تاجرا يتردد الى البحرين لتحصيل اللآلي من المغاصات (وفيها) توفي محمود بن علي ابن ابي طالب بن عبدالله الاصبهاني المعروف بالقاضي صاحب الطريقة في الخلاف وصنف فيه التعليقة وهي عمدة المدرسين في القاء الدروس ومن لم يذكرها فانما هو لقصور فهمه عن ادراك دقايقها وكان متفننا في العلوم وله في الوعظ اليد الطولى (ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمس مائة) في هذه السنة بعد دخول صفر رحل السلطان صلاح الدين عن الخروبة وعاد الى قتال الفرنج على عكا وكان الفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلثة ابرجة طول البرج ستون ذراعا جاؤا بخشبها من جزاير البحر وعملوها طبقات وشحنوها بالسلاح والمقاتلة ولبسوها جلود البقر والطين بالخل لئلا يعمل فيها النار فتحيل المسلمون واحرقوا البرج الاول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح ثم احرقوا الثاني والثالث وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكآبة ووصل الى السلطان العساكر من البلاد وبلغ المسلمون وصول ملك الالمان وكان قد سار من بلاد وراء القسطنطينية بمائة الف مقاتل واهتم المسلمون لذلك وايسوا من الشام بالكلية فسلط الله تعالى على الالمان الغلا والوبا فهلك اكثرهم في الطريق ولما وصل ملكهم الى بلاد الارمن نزل في نهر هناك يغتسل فغرق واقاموا ابنه مقامه فرجع من عسكره طايفة الى بلادهم وطائفة خامرت ابن الملك المذكور فرجعوا ايضا

المنصور وفاته ورحل عن ملاز كرد ووصل به الى حماة ودفنه بظاهرها وبنى الى جانب التربة مدرسة وذلك مشهور هناك وكان الملك المظفر شجاعا شديد الباس ركنا عظيما من اركان البيت الايوبى وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن واتفق ان فى ليلة الجمعة التى توفى فيها الملك المظفر توفى فيها حسام الدين محمد ابن عمر بن لاجين وامه ست الشام بنت ايوب اخت السلطان فاصيب السلطان فى تاريخ واحد بابن أخيه وابن اخته ولما مات الملك المظفر راسل ابنه الملك المنصور السلطان صلاح الدين واشترط شروطا نسبه السلطان فيها الى العصيان وكاد أمره يضطرب بالكلية فراسل الملك المنصور عمه الملك العادل فى استعطاف خاطر السلطان فابرح الملك العادل بأخيه السلطان يراجعه ويشفع فى الملك المنصور حتى أجابه السلطان وقرر الملك المنصور حماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم وارتجع السلطان البلاد الشرقية وما معها واقطعها أخاه الملك العادل بعد ان شرط السلطان ان الملك العادل ينزل عن كل ماله من الاقطاع بالشام خلا الكرك والشوبك والصلت والبلقاء ونصف خاصه بمصر وان يكون عليه فى كل سنة ستة آلاف غرارة تحمل من الصلت والبلقاء الى القدس ولما استقر ذلك سار الملك العادل الى البلاد الشرقية لتقرير امورها فقررها وعاد الى خدمة السلطان فى آخر جمادى الآخرة من السنة القابلة اعنى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولما قدم الملك العادل على السلطان كان الملك المنصور صاحب حماة صحبته فلما رأى السلطان الملك المنصور بن تقى الدين نهض واعتنقه وغشيه البكا واكرمه وأنزله فى مقدمة عسكره

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة فى شعبان قتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن الدكز وهو الذى ملك اذربيجان وهمدان واصفهان والرى بعد أخيه محمد البهلوان وكان قد قوى عليه السلطان طغريل السلجوقى وهزم عسكر بغداد كما تقدم ذكره ثم ان قزل ارسلان تغلب واعتقل السلطان طغريل بن ارسلان بن طغريل فى بعض البلاد وسار قزل ارسلان بعد ذلك الى اصفهان وتعصب على الشفعوية وأخذ جماعة من اعيانهم فصلبهم وعاد الى همدان وخطب لنفسه بالسلطنة ودخل لينام على فراشه وتفرق عنه اصحابه فدخل عليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله (وفيها) قدم معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم الى السلطان صلاح الدين وسببه ان والده فرق مملكته على اولاده واعطى ولده هذا ملطية ثم تغلب بعض اخوته على والده والزمه باخذ ملطية من أخيه المذكور فخاف من ذلك فسار الى السلطان ملتجيا اليه

وصليب الصلبوت وكتبوا الى السلطان صلاح الدين بذلك فحصل ماامكن تحصيله من ذلك وطلب منهم اطلاق المسلمين فلم يجيبوا الى ذلك فعلم منهم الغدر واستمر اسرى المسلمين بها ثم قتل الفرنج من المسلمين جماعة كثيرة واستمروا بالباقين فى الاسر وبعد استيلاء الفرنج على عكا وتقرير امرها رحلوا عنها مستهل شعبان نحو قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتخطفون منهم ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف ووقع بينهم وبين المسلمين مصاف ازالوا المسلمين عن موقفهم ووصلوا الى سوق المسلمين فقتلوا من السوقية وغيرهم خلقا كثيرا ثم سار الفرنج الى يافا وقد اخلاها المسلمون فملكوها ثم رأى السلطان تخريب عسقلان مصلحة لئلا يحصل لها ما حصل لعكا فسار اليها واخلاها وخربها ورتب الحجارين فى تقايق اسوارها وتخريبها فدكها الى الارض فلما فرغ السلطان من تخريب عسقلان رحل عنها ثانى شهر رمضان الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد ثم سار الى القدس وقرر اموره وعاد الى مخيمه بالنطرون ثامن شهر رمضان ثم تراسل الفرنج والسلطان فى الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك الانكتار ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القسيسون وانكروا عليها ذلك الا ان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال ثم رحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ٣ ذى القعدة وبقى فى كل يوم يقع بين المسلمين وبينهم منا وشات فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاوحال بينهم ولما رأى السلطان ذلك وقد ضجرت العساكر أعطاهم الدستور وسار الى القدس لسبع بقين من ذى القعدة ونزل داخل البلد واستراحوا مما كانوا فيه واخذ السلطان فى تعمير القدس وتحصينه وامر العسكر بنقل الحجارة وكان السلطان ينقل الحجارة بنفسه على فرسه ليقتدى به العسكر فكان يجتمع عند العمالين فى اليوم الواحد مايكفيهم لعدة ايام

سلخ شوال

(ذكر وفاة الملك المظفر تقى الدين عمر)

كان الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب قد سار الى البلاد المرتجعة من كوكبورى التى زاده اياها عمه السلطان من وراء الفرات وهى حران وغيرها فامتدت عين الملك المظفر الى بلاد مجاوريه واستولى على السويدا وحانى واتقع مع بكتمر صاحب خلاط وكسره وحصره فى خلاط وتملك على معظم البلاد ثم رحل عنها ونازل ملازكرد وهى لبكتمر وضايقها وكان فى صحبته ولده الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر المذكور فمرض الملك المظفر مرض شديد وتزايد به حتى توفى يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان من هذه السنة اعنى سنة سبع وثمانين وخمس مائة فاخفى ولده الملك

يسأله الدخول على السلطان فى الصلح فلم يجبهم السلطان الى ذلك ثم اتفق رأى الامراء على ذلك لطول البيكار وضجر العسكر ونفاد نفقاتهم فأجاب السلطان الى ذلك واستقر امر الهدنة فى يوم السبت ثامن عشر شعبان وتحالفوا على ذلك فى يوم الاربعا الثانى والعشرين من شعبان ولم يحلف ملك الانكتار بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك وحلف الكند هرى ابن أخيه وخليفته فى الساحل وكذلك حلف غيره من عظماء الفرنج ووصل ابن الهنفرى وباليسان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابنى السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد ابن تقى الدين عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين ايلدرم الياروقى صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر والامير سيف الدين على بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار وعقدت هدنة عامة فى البحر والبر وجعلت مدتها ثلث سنين وثلثة اشهر اولها ايلول الموافق لحادى وعشرين من شعبان وكانت الهدنة على ان يستقر بيد الفرنج يافا وعملها وقيسارية وعملها وارسوف وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها وان تكون عسقلان خرابا واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية فى عقد هدنته واشترط الفرنج دخول صاحب انطاكية وطرابلس فى عقد هدنتهم وان يكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين فاستقرت القاعدة على ذلك ثم رحل السلطان الى القدس فى رابع شهر رمضان وتفقد احواله وامر بتشييد اسوار وزاد فى وقف المدرسة التى عملها بالقدس وهذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصندحنة يذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم ثم صارت فى الاسلام دار علم قبل ان تملك الفرنج بالقدس ثم لما ملك الفرنج القدس فى سنة اثنين وتسعين واربع مائة اعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام فلما فتح السلطان القدس اعادها مدرسة وفوض تدريسها ووقفها الى القاضى بهاء الدين بن شداد ولما استقر امر الهدنة ارسل السلطان مائة حجار لتخريب عسقلان وان يخرج من بها من الفرنج وعزم على الحج والاحرام من القدس وكتب الى اخيه سيف الاسلام صاحب اليمن بذلك ثم فنده الامراء وقالوا لا نعتمد على هدنة الفرنج خوفا من غدرهم فانتقض عزمه عن ذلك ثم رحل السلطان عن القدس لخمس مضين من شوال الى نابلس ثم سار الى بيسان ثم الى كوكب فبات بقلعتها ثم رحل الى طبرية ولقيه بها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى وقد خلص من الاسر وكان قد اسر بعكا

فأكرمه السلطان وزوجه بابنة أخيه الملك العادل وعاد معز الدين الى ملطية في ذى القعدة وقد انقطعت اطماع أخيه منه قال ابن الاثير لما ركب السلطان صلاح الدين ليودع معز الدين قيصر شاه المذكور ترجل معز الدين له فترجل السلطان صلاح الدين ولما ركب السلطان صلاح الدين عضده قيصر شاه وركبه وكان علاء الدين بن عز الدين مسعود صاحب الموصل مع السلطان اذ ذاك فسوى ثياب السلطان ايضا فقال بعض الحاضرين في نفسه ما بقيت تبالي يا ابن ايوب بأي موتة تموت يركبك ملك سلجوقي ويسوى قماشك ابن اتابك زنكي (وفيها) قتل ابو الفتح يحيى بن حنش بن اميرك الملقب شهاب الدين السهروردي الحكيم الفيلسوف بقلعة حلب محبوسا امر بخنقه الملك الظاهر غازي بأمر والده السلطان صلاح الدين قرا المذكور الاصولين والحكمة بمراغة على مجد الدين الجيلي شيخ الامام فخر الدين ثم سافر السهروردي المذكور الى حلب وكان علمه اكثر من عقله فنسب الى انحلال العقيدة وانه يعتقد مذهب الفلاسفة فافتى الفقهاء باباحة دمه لما ظهر من سوء مذهبه واشتهر عنه وكان أشد هم عليه في ذلك زين الدين ومجد الدين ابنا جهبل ؟ حكى الشيخ سيف الدين الآمدي قال اجتمعت بالسهروردي في حلب فقال لى لابد ان املك الارض فقلت له من اين لك هذا قال رأيت في المنام كانى شربت ماء البحر فقلت لعل يكون اشتهار علمك وما يناسب هذا فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ووجدته كثير العلم قليل العقل وكان عمره لما قتل ثمانيا وثلاثين سنة وله عدة مصنفات في الحكمة منها التلويحات والتنقيحات والمشارع والمطارحات وكتاب الهياكل وحكمة الاشراق وكان ينتسب الى انه يعرف السيميا وله نظم حسن فمنه

أبدا تحن اليكم الارواح * ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم * والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا * ستر المحبة والهوى فضاح
واذا هم كتموا يحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السحاح
لا ذنب للعشاق ان غلب الهوى * كتمانهم فنمى الغرام وباحوا

وهى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر (ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمس مائة) فيها سار الفرنج الى عسقلان وشرعوا في عمارتها في المحرم والسلطان بالقدس (وفيها) قتل المركيس صاحب صور لعنه الله تعالى قتله بعض الباطنية وكان قد دخلوا في زى الرهبان الى صور

(ذكر عقد الهدنة مع الفرنج وعود السلطان الى دمشق)

وسبب ذلك ان ملك الانكتار مرض وطال عليه البيكار فكاتب الملك العادل

نخه ل

قليج ارسلان يتردد فى بلاده بين اولاده كلما ضجر منه واحد منهم ينتقل الى الآخر حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان صاحب برغلو ففوى أباه قليج ارسلان واعطاه وجمع له وحشد وسار معه الى قونية فملكهما وأخذها من ابنه ملكشاه ثم سار الى اقصرا فاتفق ان عز الدين قليج ارسلان مرض ومات فى التاريخ المذكور فاخذه ولده كيخسرو وعاد به الى قونية فدفنه بها واتفق موت ملكشاه بعد موت أبيه قليج ارسلان بقليل فاستقر كيخسرو فى ملك قونية واثبت انه ولى عهد أبيه قليج ارسلان ثم ان ركن الدين سليمان أخا غياث الدين كيخسرو قوى على أخيه كيخسرو وأخذ منه قونية فهرب كيخسرو الى الشام مستجيرا بالملك الظاهر صاحب حلب ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة وملك بعده ولده قليج ارسلان بن سليمان فرجع غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان الى بلاد الروم وازال ملك قليج ارسلان بن سليمان وملك بلاد الروم جميعها واستقرت له السلطنة ببلاد الروم وبقى كذلك الى ان قتل وملك بعده ابنه عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ثم توفى كيكاوس وملك بعده اخوه السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو وتوفى علاء الدين كيقباذ سنة اربع وثلثين وستمائة وملك بعده ولده غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ ابن كيخسرو وكسره التتر سنة احدى واربعين وستمائة وتضعضع حينئذ ملك السلاطين السلجوقية ببلاد الروم ثم مات غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ ابن كيخسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان ابن قطلومش بن ارسلان بن سلجوق وانقضى بموت كيخسرو المذكور سلاطين بلاد الروم فى الحقيقة لان من صار بعده لم يكن له من السلطنة غير مجرد الاسم وخلف كيخسرو المذكور صبيين هما ركن الدين وعز الدين فملكا معا مدة مديدة ثم انفرد ركن الدين بالسلطنة وهرب اخوه عز الدين الى قسطنطينية وتغلب على ركن الدين معين الدين البرواناه والبلاد فى الحقيقة للتتر ثم ان البرواناه قتل ركن الدين واقام ابنا لركن الدين يخطب له بالسلطنة والحكم للبرواناه وهو نائب التتر على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة غزا شهاب الدين الغورى الهند فغنم وقتل مالا يحصى (وفيها) خرج السلطان طغريل بن ارسلان بن طغريل من الحبس بعد قتل قزل ارسلان بن الدكز وكان قزل قد اعتقله حسبما تقدم ذكره فى سنة سبع وثمانين وخمس مائة (وفيها) توفى راشد الدين سنان بن سليمان بن محمد وكنيته

لما أخذها الفرنج مع من اسر فسار قراقوش مع السلطان الى دمشق ثم سار منهما قراقوش الى مصر ثم سار السلطان الى بيروت ووصل الى خدمته بيمند صاحب انطاكية يوم السبت حادى وعشرين شوال فاكرمه السلطان وفارقه غد ذلك اليوم وسار السلطان الى دمشق ودخلها يوم الاربعاء لخمس بقين من شوال وفرح الناس به لان غيبته كانت عنهم مدة اربع سنين واقام العدل والاحسان بدمشق واعطى السلطان العساكر الدستور فودعه ولده الملك الظاهر وداعا لالقاء بعده وسار الى حلب وبقى عند السلطان بدمشق ولده الملك الافضل والقاضى الفاضل وكان الملك العادل قد استأذن السلطان وسار من القدس الى الكرك لينظر فى مصالحه ثم عاد الملك العادل الى دمشق طالبا البلاد الشرقية التى صارت له بعد تقى الدين فوصل الى دمشق فى الحادى والعشرين من ذى القعدة وخرج السلطان الى لقائه (وفى يوم الخميس) السادس والعشرين من شوال من هذه السنة توفى الامير سيف الدين على بن احمد المشطوب بنابلس وكانت اقطاعه فوقف السلطان ثلث نابلس على مصالح القدس واقطع الباقى للامير عماد الدين احمد بن سيف الدين على بن المشطوب وامير بن معه

(ذكر وفاة السلطان عز الدين قليج ارسلان)
(صاحب بلاد الروم واخبار الذين تولوا بعده)

فى هذه السنة اعنى سنة ثمان وثمانين وخمس مائة) فى منتصف شعبان توفى السلطان عز الدين قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان ابن سليمان بن قطلومش بن ارسلان بيغو بن سلجوق وكان ملكه فى سنة احدى وخمسين وخمس مائة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة وكان له عشرة بنين قد ولى كل واحد منهم قطرا من بلاد الروم واكبرهم قطب الدين ملكشاه بن قليج ارسلان المذكور وكان قد اعطاه ابوه سيواس فسولت له نفسه القبض على ابيه واخوته والانفراد بالسلطنة وساعده على ذلك صاحب ارزنكان فسار قطب الدين ملكشاه وهجم على والده قليج ارسلان بمدينة قونية وقبض عليه وقال لوالده وهو فى قبضته انا بين يديك انفذ اوامرك ثم انه اشهد على والده بانه قد جعله ولى عهده ثم مضى ملكشاه المذكور الى حرب اخيه نور الدين سلطان شاه صاحب قيسارية ووالده فى القبضة معه وهو يظهران مايفعله انما هو بامر والده فخرج عسكر قيسارية لحربه فوجد ابوه عز الدين قليج ارسلان عند اشتغال العسكر بالقتال فرصة فهرب الى ولده سلطان شاه صاحب قيسارية فاكرمه وعظمه كما يجب عليه فرجع قطب الدين ملكشاه الى قونية وخطب لنفسه بالسلطنة وبقى ابوه

بوفاة والده الى أخيه العزيز عثمان بمصر والى أخيه الظاهر غازي بحلب والى عمه الملك العادل أبي بكر بالكرك ثم ان الملك الافضل عمل لوالده تربة قرب الجامع وكانت دارا لرجل صالح ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة ومشى الملك الافضل بين يدي تابوته واخرج من باب القلعة على دار الحديث الى باب البريد وادخل الجامع ووضع قدام النسر وصلى عليه القاضي محيي الدين بن القاضي زكي الدين ثم دفن وجلس ابنه الملك الافضل في الجامع ثلثة ايام للعزا وانفقت ست الشام بنت ايوب اخت السلطان في هذه النوبة اموالا عظيمة وكان مولد السلطان صلاح الدين بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلثين وخمس مائة فكان عمره قريبا من سبع وخمسين سنة وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو اربع وعشرين سنة وملكه الشام قريبا من تسع عشرة سنة وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وبنتا واحدة وكان أكبر أولاده الملك الافضل نور الدين علي بن يوسف ولد بمصر سنة خمس وستين وخمس مائة وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين وكان الظاهر صاحب حلب اصغر منهما وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر ولم يخلف السلطان صلاح الدين في خزانته غير سبعة واربعين درهما وجرم واحد صوري وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن دليل قاطع على فرط كرمه ولم يخلف دارا ولا عقارا قال العماد الكاتب حسبت ما اطلقه السلطان في مدة مقامه على عكا من خيل عراب واكاديش فكان اثني عشر الف رأس وذلك غير ما اطلقه من اثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعود به ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى الا في جماعة وكان اذا عزم على أمر توكل على الله ولا يفضل يوما على يوم وكان كثير سماع الحديث النبوي وقرأ مختصرا في الفقه تصنيف سليم الرازي وكان حسن الخلق صبورا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان يوما جالسا فرمى بعض المماليك بعضا بسرموزة فاخطأته ووصلت الى السلطان فاخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى ليتغافل عنها وكان طاهر المجلس فلا يذكر احد في مجلسه احدا الا بالخير وطاهر اللسان فما ولع بشتم قط قال العماد الكاتب مات بموت السلطان الرجال وفات بفوته الافضال وغاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت الآفاق وفجع الزمان بواحده وسلطانه ورزئ الاسلام بمشيد اركانه

ابو الحسن صاحب دعوة الاسماعيلية بقلاع الشام واصله من البصرة

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمس مائة)

(ذكر وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين)
ابى المظفر يوسف بن ايوب بن شادى وشئ من اخباره

دخلت هذه السنة والسلطان بدمشق على أكمل ما يكون من المسرة وخرج الى شرقى دمشق متصيدا وغاب خمسة عشر يوما وصحبته اخوه الملك العادل ثم عاد الى دمشق وودعه اخوه الملك العادل وداعا لالقاء بعده فمضى الى الكرك وأقام فيه حتى بلغه وفاة السلطان وأقام السلطان بدمشق وركب فى يوم الجمعة خامس عشر صفر ولقى الحجاج وكان عادته الا يركب الا وهو لابس كزاغند فركب ذلك اليوم وقد اجتمع بسبب ملتقى الحجاج وركوبه عالم عظيم ولم يلبس الكزاغند ثم ذكره وهو راكب فطلب الكزاغند فلم يجده وقد حملوه معه ولما التقى الحجاج استعبرت عيناه كيف فاته الحج ووصل اليه مع الحجاج ولد أخيه سيف الاسلام صاحب اليمن ثم عاد السلطان بين البساتين الى جهة المنيبع ودخل الى القلعة على الجسر اليها وكانت هذه آخر ركباته فلحقه ليلة السبت سادس عشر صفر كسل عظيم وغشيه نصف الليل حمى صفراوية وأخذ المرض فى التزايد وقصده الاطباء فى الرابع فاشتد مرضه وحدث به فى التاسع رعشة وغاب ذهنه وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف فى البلد وغشى الناس من الحزن والبكاء عليه ما لا يمكن حكايته وحقن فى العاشر حقنتين فحصل له راحة وتناول من ماء الشعير مقدارا صالحا ثم لحقه عرق كثير حتى نفذ من الفراش واشتد المرض ليلة الثانى عشر من مرضه وهى ليلة السابع والعشرين من صفر وحضر عنده الشيخ ابو جعفر امام الكلاسة ليبيت عنده فى القلعة بحيث ان احتضر بالليل ذكره الشهادة وتوفى السلطان فى الليلة المذكورة اعنى فى الليلة المسفرة عن نهار الاربعا السابع والعشرين من صفر بعد صلاة الصبح من هذه السنة اعنى سنة تسع وثمانين وخمس مائة وبادر القاضى الفاضل بعد صلوة الصبح فحضر وفاته ووصل القاضى بهاء الدين بن شداد بعد موته وانتقاله الى رحمة الله وكرامته وغسله الفقيه الدولعى خطيب دمشق واخرج بعد صلوة الظهر من نهار الاربعا المذكور فى تابوت مسجى بثوب وجميع ما احتاجوا من الثياب فى تكفينه احضره القاضى الفاضل من جهة حل عرفه وصلى عليه الناس ودفن فى قلعة دمشق فى الدار التى كان مريضا فيها وكان نزوله الى جدثه وقت صلاة العصر من النهار المذكور وكان الملك الافضل ابنه قد حلف الناس له قبل وفاة والده عند ما اشتد مرضه وجلس للعزاء فى القلعة وارسل الملك الافضل على الكتب

وضعف فترك العسكر مع أخيه عماد الدين وعاد الى الموصل وصحبته مجاهد الدين
قيماز فخلف العسكر عز الدين لابنه ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي
ابن اقسنقر وقوى بعز الدين مسعود المرض وتوفى فى السابع والعشرين من شعبان
فى هذه السنة فكانت مدة ما بين وفاته ووفاة السلطان صلاح الدين نصف سنة
وكانت مدة ملك عز الدين مسعود للموصل ثلث عشرة سنة وستة أشهر وكان
دينا خيرا كثير الاحسان وكان اسمر مليح الوجه خفيف العارضين يشبه جده
عماد الدين زنكي واستقر فى ملك الموصل بعده ولده ارسلان شاه وكان القيم
بأمره مجاهد الدين قيماز

(ذكر قتل بكتمر صاحب اخلاط)

فى هذه السنة فى اول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب اخلاط
وكان بين قتله وبين موت السلطان صلاح الدين شهران ولما بلغ بكتمر موت
السلطان صلاح الدين اسرف فى اظهار الشماتة بموت السلطان وضرب
البشائر ببلاده وفرح فرحا كثيرا وعمل تختا يجلس عليه ولقب نفسه السلطان
المعظم صلاح الدين وكان اسمه بكتمر فسمى نفسه الملك العزيز فلم يمهله الله تعالى
وكان هذا بكتمر من مماليك ظهير الدين شاهرمن وكان له خشداش اسمه
هزار ديناري وكان قد قوى وتزوج ابنة بكتمر وطمع فى الملك فوضع على بكتمر
من قتله ولما قتل ملك بعده هزار ديناري خلاط واعمالها واسم هزار ديناري المذكور
اقسنقر ولقبه بدر الدين جلبه تاجر جرجاني اسمه على الى خلاط فاشتراه منه
شاهرمن سكمان بن ابراهيم واعجب به شاهرمن فجعله ساقيا له ولقبه هزار
ديناري وبقى على ذلك برهة من الزمان فلما تولى بكتمر على مملكة خلاط
بقى المذكور من اكبر الامراء وتزوج بنت بكتمر فما جاءت فلما قتل بكتمر خلف
ولدا واحد هزار ديناري المذكور وولد بكتمر وامه واعتقلهما بقلعة
٣ نسخة بلوس ارزاس موس ٣ وكان عمر ابن بكتمر اذ ذاك نحو عشرين واستمر بدر الدين اقسنقر
هزار ديناري فى مملكة خلاط حتى توفى فى سنة اربع وتسعين وخمسمائة حسبما
سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

٣ نسخة شاور فى هذه السنة شتا شهاب الدين الغوري فى برشاوور ٣ وجهز مملوكه ايبك
فى عساكر كثيرة الى بلاد الهند ففتح وغنم وعاد منصورا مؤيدا (وفيها)
توفى سلطان شاه بن ارسلان بن اطسز بن محمد بن انوشتكين وكان

(ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة السلطان)

لما توفى السلطان الملك الناصر صلاح الدين استقر فى الملك (بدمشق) وبلادها المنسوبة اليها ولده الملك الافضل نور الدين على (وبالديار المصرية) الملك العزيز عماد الدين عثمان (وبحلب) الملك الظاهر غياث الدين غازى (وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية) الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن أيوب (وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم) الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر (وببعلبك) الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب (وبحمص والرحبة وتدمر) شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذى وبيد الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين بصرى وهو فى خدمة أخيه الملك الافضل وبيد جماعة من امراء الدولة بلاد وحصون منهم سابق الدين عثمان بن الداية بيده (شيزر) وابو قبيس وناصر الدين بن كورس بن خمار دكين بيده (صهيون وحصن برزية) وبدر الدين دلدرم ابن بهاء الدين ياروق بيده (تل باشر) وعز الدين اسامة بيده كوكب وعجلون) وعز الدين ابراهيم بن شمس الدين ابن المقدم بيده (بعرين وكفر طاب وفامية) والملك الافضل هو الاكبر من اولاد السلطان والمعهود اليه بالسلطنة واستوزر الملك الافضل ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الاثير مصنف المثل السائر وهو أخو عز الدين ابن الاثير مؤلف التاريخ المسمى بالكامل فحسن للملك الافضل طرد امراء ابيه ففارقوه الى أخويه العزيز والظاهر قال العماد الكاتب وتفرد الوزير فى توزره ومد الجزرى فى جزره ولما اجتمعت اكابر الامراء بمصر حسنوا للملك العزيز الانفراد بالسلطنة ووقعوا فى اخيه الافضل فمال الى ذلك وحصلت الوحشة بين الاخوين الافضل والعزيز (وفى هذه السنة) بعد موت السلطان قدم الملك العادل من الكرك الى دمشق واقام فيها وظيفة العزاء على أخيه ثم توجه الى بلاده التى وراء الفرات

(ذكر حركة عز الدين مسعود صاحب الموصل)
(الى البلاد الشرقية التى بيد الملك العادل وعوده وموته)

فى هذه السنة لما مات السلطان صلاح الدين كاتب عز الدين مسعود بن مودود ابن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل ملوك البلاد المجاورين للموصل يستنجدهم ولذلك اتفق مع أخيه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وسار الى جهة حران وغيرها فلحق عز الدين مسعود اسهال قوى

(وضعف)

العساكر وقام من بنى سلجوق ثلثة أحدهم ملكشاه بن محمود اخو محمد المذكور والثانى سليمان شاه بن محمد ابن السلطان ملكشاه وهو عم محمد المذكور والثالث ارسلان شاه بن طغريل ابن محمد ابن السلطان ملكشاه وكان الدكز مزوجا بام ارسلان شاه المذكور فقوى عليها سليمان شاه واستقر فى همدان فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ثم قبض سليمان شاه وقتل وكذلك سم ملكشاه بن محمود المذكور ومات باصفهان فى السنة المذكورة اعنى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وانفرد بالسلطنة ارسلان شاه بن طغريل ربيب الدكز ثم ملك بعده ابنه طغريل ابن ارسلان شاه بن طغريل المذكور فى سنة ثلث وسبعين وخمسمائة وجرى له ماذكرناه حتى قتله تكش فى هذه السنة اعنى سنة تسعين وخمسمائة وانقرضت به الدولة السلجوقية من تلك البلاد

(ذكر غير ذلك)

فى هذه السنة ارسل الخليفة الامام الناصر عسكرا مع وزيره مؤيد الدين محمد بن على المعروف بابن القصاب الى خوزستان وهى بلاد شملة واولاده من بعده وكان قد مات صاحبها ابن شملة فاختلف اولاده فوصل عسكر الخليفة الى خوزستان وملكوا مدينة تستر فى المحرم سنة احدى وتسعين وغيرها من البلاد وكذلك ملكوا قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة لاموج وغيرها من القلاع والحصون فانفذوا بنى شملة اصحاب بلاد خوزستان الى بغداد (وفى هذه السنة) اعنى سنة تسعين استحكمت الوحشة بين الاخوين العزيز والافضل ابنى السلطان صلاح الدين فسار العزيز فى عسكر مصر وحصر اخاه الافضل بدمشق فارسل الافضل الى عمه العادل واخيه الظاهر وابن عمه الملك المنصور صاحب حماة يستنجدهم فساروا الى دمشق واصلحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى مصر ورجع كل ملك الى بلده واقبل الملك الافضل بدمشق على شرب الخمر وسماع الاغانى والاوتار ليلا ونهارا واشاع ندماؤه ان عمه الملك العادل حسن له ذلك وكان يعمله بالخفية فانشده العادل

* ولاخير فى اللذات من دونها ستر * فقبل وصية عمه وتظاهر بذلك

وفوض امر المملكة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير الجزرى يدبرها برايه الفاسد ثم ان الملك الافضل اظهر التوبة عن ذلك وازال المنكرات وواظب على الصلوات وشرع فى نسخ مصحف بيده (ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة) وفيها سار ابن القصاب وزير الخليفة بعد ملك خوزستان الى همدان فملكها وملك غيرها من بلاد العجم واخذ يستولى على سائر البلاد للخليفة فتوفى مؤيد الدين بن القصاب المذكور فى اوائل شعبان سنة اثنين وتسعين

قد ملك مرو وخراسان ولما مات انفرد اخوه تكش بالمملكة وقد تقدم ذكرهما في سنة ثمان وستين وخمسمائة (وفيها) مات الامير داود بن عيسى بن محمد ابن ابي هاشم أمير مكه وما زالت امارة مكة له تارة ولاخيه مكثر تارة حتى مات (ثم دخلت سنة تسعين وخمس مائة)

(ذكر قتل طغريل وملك خوارزم شاه الري)

كان طغريل بن ارسلان بن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكايل السلجوقي قد حبسه قزل ارسلان بن الدكز وخرج طغريل من الحبس في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة وملك همدان وغيرها وجرى حرب بينه وبين مظفر الدين ازبك بن البهلوان محمد بن الدكز وقيل بل هو قطلغ اينانج أخو ازبك المذكور فانهزم ابن البهلوان ثم ان ابن البهلوان بعد هزيمته استنجد بخوارزم شاه علاء الدين تكش فخاف منه فلم يجتمع بخوارزمشاه فسار خوارزمشاه تكش وملك الري وذلك في سنة ثمان وثمانين وبلغ تكش ان اخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فصالح طغريل السلجوقي وعاد تكش الى خوارزم وبقي الامر كذلك حتى مات سلطان شاه في سنة تسع وثمانين وخمس مائة وتسلم تكش مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه وولى ابنه محمد بن تكش نيسابور وولى ابنه الاكبر ملكشاه ابن تكش مرو ولما دخلت سنة تسعين سار تكش الى حرب طغريل السلجوقي فسار طغريل الى لقائه قبل ان يجمع عساكره والتقى العسكران بالقرب من الري وحمل طغريل بنفسه فقتل وكان قتله في الرابع والعشرين من ربيع الاول من هذه السنة وحمل رأس طغريل الى تكش فارسله الى بغداد فنصب بها عدة ايام وسار تكش فملك همدان وملك البلاد جميعها وسلم بعضها الى ابن البهلوان واقطع بعضها لمماليكه ورجع الى خوارزم وهذا طغريل بن ارسلان شاه بن طغريل ابن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود بن ميكايل بن سلجوق هو آخر السلاطين السلجوقية الذين ملكوا بلاد العجم وقد تقدم ذكر ابتداء الدولة السلجوقية في سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة واول من ملك منهم العراق وازال دولة بني بويه طغريلبك ابن ميكايل بن سلجوق ثم ملك بعده ابن اخيه الب ارسلان بن داود بن ميكايل ثم ابنه ملكشاه بن الب ارسلان ثم ابنه محمود ابن ملكشاه وكان طفلا فقامت بتدبير المملكه ام محمود تركان خاتون ومات محمود وهو ابن سبع سنين وملك اخوه بركيارق بن ملكشاه ثم اخوه محمد ابن ملكشاه ثم ابنه محمود بن محمد المذكور ثم ابنه داود بن محمود بن محمد المذكور مدة يسيرة ثم عمه طغريل بن محمد ثم اخوه مسعود بن محمد ثم ابن أخيه ملكشاه ابن محمود بن محمد اياما يسيرة ثم اخوه محمد بن محمود ثم بعد محمد المذكور اختلفت

ثلاث سنين ولزم الملك الافضل الزهد والقناعة واموره مفوضة لى وزيره ضياء الدين ابن الاثير الجزرى وقد اختلفت الاحوال به وكثر شاكوه وقل شاكروه

(ذكر انتزاع دمشق من الملك الافضل)

لما بلغ الملك العادل فى مصر والملك العزيز اضطراب الامور على الملك الافضل اتفق العادل مع العزيز على أن يأخذا دمشق وأن يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة للعزيز بسائر البلاد كما كانت لابيه فخرجا وسارا من مصر فارسل الافضل اليهما فلك الدين وهو واحد امرائه وكان فلك الدين اخا الملك العادل لامه واجتمع فلك الدين بالملك العادل فأكرمه واظهر الاجابة الى ماطلبه واتم العادل والعزيز السير حتى نزلا على دمشق وقد حصنها الملك الافضل فكاتب بعض الامراء من داخل البلد الملك العادل وصاروا معه وانهم يسلمون المدينة اليه فزحف الملك العادل والملك العزيز ضحى يوم الاربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة فدخل الملك العزيز من باب الفرج والملك العادل من باب توما فأجاب الملك الافضل الى تسليم القلعة وانتقل منها بأهله واصحابه واخرج وزيره ضياء الدين بن الاثير مختفيا فى صندوق خوفا عليه من القتل وكان الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين صاحب بصرى مع اخيه الملك الافضل ومعا ضداله فاخذت منه بصرى ايضا فلحق باخيه الملك الظاهر فأقام عنده بحلب واعطى الملك الافضل صرخد فسار اليها باهله واستوطنها ودخل الملك العزيز الى دمشق يوم الاربعاء رابع شعبان ثم سلم دمشق الى عمه الملك العادل على حكم ماكان وقع عليه الاتفاق بينهما وتسلمها الملك العادل ورحل الملك العزيز من دمشق عشية يوم الاثنين تاسع شعبان وكانت مدة ملك الملك الافضل لدمشق ثلث سنين وشهرا وابقى الملك العادل السكة والخطبة بدمشق للملك العزيز ولما استقر الملك الافضل بصرخد كتب الى الخليفة الامام الناصر يشكو من عمه العادل ابى بكر واخيه العزيز عثمان واول الكتاب

مولاى ان ابابكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر ما لاقى من الاول

فكتب الامام الناصر جوابه

وافا كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالصدق يخبران اصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم * وابشر فنا صرك الامام الناصر

(ثم دخلت سنة ثلث وتسعين وخمس مائة) فى هذه السنة

وخمس مائة (وفيها) عزا ملك الغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن
الفرنج بالاندلس وجرى بينهم مصاف عظيم انتصر فيه المسلمون وقتل من
الفرنج مالا يحصى وولوا منهزمين وغنم المسلمون منهم مالا يحصى (وفيها)
جهز الخليفة الامام الناصر عسكرا مع مملوك له يقال له سيف الدين طغريل
فاستولوا على اصفهان (وفيها) قدم مماليك البهلوان عليهم مملوكا من
البهلوانية يقال له كلجا فعظم امر كلجا واستولى على الرى وهمدان (وفيها)
عاود الملك العزيز عثمان صاحب مصر قصد الشام ومنازلة اخيه الملك الافضل
فسار ونزل الغوار من ارض السواد من بلاد دمشق فاضطرب بعض عسكر
العزيز عليه وهم طائفة من الامراء الاسدية وفارقوه فبادر العزيز العود الى مصر
بمن بقى معه من العسكر وكان الملك الافضل قد استنجد بعمه الملك العادل لما قصده
اخوه العزيز فلما رحل العزيز عائدا الى مصر رحل الملك الافضل وعمه العادل ومن
انضم اليهما من الاسدية وساروا فى اثر العزيز طالبين مصر فساروا حتى
نزلوا على بلبيس وقد ترك فيها العزيز جماعة من الصلاحية وقصد الملك الافضل
مناجزتهم بالقتال فمنعه العادل عن ذلك فقصد الافضل المسير الى مصر
والاستيلاء عليها فمنعه عمه العادل ايضا عن ذلك وقال مصر لك متى شئت وكاتب
العادل العزيز فى الباطن وامره بارسال القاضى الفاضل ليصلح بين الاخوين
وكان القاضى الفاضل قد اعتزل عن ملابستهم لما رأى من فساد احوالهم
فدخل عليه الملك العزيز وسأله فتوجه القاضى الفاضل من القاهرة الى عند
الملك العادل واجتمع به واتفقا على ان يصلحا بين الاخوين فاصلحا بينهما
واقام الملك العادل بمصر عند العزيز ابن اخيه ليقرر امور مملكته وعاد الافضل الى
دمشق (وفيها) كان بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب وبين
الفرنج بالاندلس شمالى قرطبة حروب عظيمة انتصر فيها يعقوب وانهزم الفرنج
(ثم دخلت سنة اثنين وتسعين وخمس مائة) فيها سار شهاب
الدين الغورى صاحب غزنة الى بلاد الهند وفتح قلعة عظيمة تسمى بهنكر
بالامان ثم سار الى قلعة كوكير وبينهما نحو خمسة ايام فصالحه اهلها على مال
حملوه اليه ثم سار فى بلاد الهند فغنم واسر وعاد الى غزنة (وفيها) قتل
صدر الدين محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندى رئيس الشافعية باصفهان
وهو الذى سلم اصفهان الى عسكر الخليفة قتله سنقر الطويل شحنة للخليفة
بسبب منافرة جرت بينهما (وفيها) نقل الملك الافضل أباه السلطان
صلاح الدين من قلعة دمشق الى التربة بالمدينة فى صفر فكان مدة لبثه بالقلعة

من عساكر مصر واجتمع بعمه الملك العادل على تبنين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور خائبين ثم عاد الملك العزيز الى مصر وترك غالب العسكر مع عمه العادل وجعل اليه امر الحرب والصلح ومات فى هذه المدة سنقر الكبير فجعل الملك العزيز امر القدس الى صارم الدين قطلق مملوك عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن ايوب ولما عاد الملك العزيز الى مصر فى هذه المدة مدحه القاضى بن سنا الملك بقصيدة منها

قدمت بالسعد ٣ وبالمغنم * كذا قدوم الملك المقدم ٣ نـ بالنصر

قميصك الموروث عن يوسف * ماجاء الا صادقا فى الدم

اخذت تبنين وخلصتها * فريسة من ماضغى ضيغم

شنشنة تعرف من يوسف * فى النصر لا تعرف من اخزم

مقدمه صار جمادى به * كمثل ذى الحجة ذا موسم

ثم طاول الملك العادل الفرنج فطلبوا الهدنة واستقرت بينهم ثلث سنين ورجع الملك العادل الى دمشق ثم سار الملك العادل من دمشق الى ماردين وحصرها وصاحبها حينئذ يولق ارسلان بن ايلغازى بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى ابن ارتق وليس ليولق ارسلان من الحكم شئ وانما الحكم الى مملوك والده البقش

(ذكر اخبار ملوك خلاط)

(وفيها) توفى صاحب خلاط بدر الدين (اقسنقر) هزار دينارى وقد تقدم ذكر ملكه لخلاط فى سنة تسع وثمانين وخمس مائة ولما توفى هزار دينارى استولى على خلاط بعده خشداشه (قتلغ) وكان مملوكا ارمنى الاصل من سناسنة ٣ فملك خلاط نحو سبعة ايام ثم اجتمع عليه الناس وأزالوه من القلعة ٣ نـ ساسنة ثم وثبوا عليه فقتلوه فلما قتل قتلغ اتفق كبراء الدولة فاحضروا (محمد بن بكتمر) من القلعة التى كان معتقلا فيها واسمها ارزاس واقاموه فى مملكة خلاط ولقبوه الملك المنصور وقام بتدبير امره شجاع الدين قتلغ الدوادار وكان قتلغ المذكور قفجاق الجنس دوادار الشاه‌رمن سكمان بن ابراهيم واستقر ابن بكتمر كذلك الى سنة اثنتين وستمائة فقبض على اتابكه قتلغ المذكور وحبسه ثم قتله فخرج عليه مملوك لشاه‌رمن يقال له عز الدين بلبان واتفق العسكر مع بلبان المذكور وقبضوا على محمد بن بكتمر وحبسوه ثم خنقوه ورموه من سور القلعة الى اسفل وقالوا وقع واستقر (بلبان) فى مملكة خلاط دون سنة وقتله بعض اصحاب طغريل بن قليج ارسلانشاه صاحب ارزن وقصد طغريل المذكور ان يتسلم خلاط فلم يجبه أهلها الى ذلك وعصوا عليه فعاد الى ارزن ثم وصل الملك الاوحد ايوب بن الملك العادل ابى بكر بن ايوب وتسلم خلاط وملكها قريب

توفي ملكشاه بن تكش بنيسابور وكان أبوه خوارزم شاه تكش قد جعله فيها وجعل له الحكم على تلك البلاد وجعله ولى عهده وخلف ملك شاه ولدا اسمه هندوخان فلما مات ملكشاه جعل تكش فيها عوضه ولده الآخر قطب الدين محمد وهو الذى ملك بعد ابيه وغير لقبه عن قطب الدين وجعله علاء الدين وكان بين الاخوين ملكشاه وقطب الدين عداوة مستحكمة

(ذكر وفاة سيف الاسلام)

فى هذه السنة فى شوال توفى سيف الاسلام طغتكين بن أيوب صاحب اليمن ولما مات سيف الاسلام كان ولده الملك العزيز اسماعيل بالسرين[٣] فبعث اليه جمال الدولة كافور جماعة من الجند فعرفوه بوفاة والده ومضوا به الى ممالك ابيه فسلموها اليه وكانت وفاة سيف الاسلام بزبيد وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشترى اموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء وجمع من الاموال مالا يحصى حتى انه كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره (ثم دخلت سنة اربع وتسعين وخمس مائة) فى هذه السنة فى المحرم توفى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب سنجار والخابور والرقة وكان حسن السيرة متواضعا يحب أهل العلم الا انه كان بخيلا شديد البخل وملك بعده ولده قطب الدين محمد بن زنكى وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مملوك أبيه (وفيها) فى جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل الى نصيبين فاستولى عليها واخذها من ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى فارسل قطب الدين محمد واستنجد بالملك العادل فسار الملك العادل الى البلاد الجزرية ففارق نور الدين ارسلان شاه نصيبين وعاد الى الموصل فعاد قطب الدين محمد بن زنكى وتسلم نصيبين (وفيها) سار خوارزم شاه تكش الى بخارى وهى للخطا وحاصرها وملكها وكان تكش أعور فاخذ اهل بخارى فى مدة الحصار كلبا اعور والبسوه قباوقالوا للخوارزمية هذا سلطانكم ورموه بالمنجنيق اليهم فلما ملكها خوارزم شاه تكش احسن الى اهل بخارى وفرق فيهم اموالا ولم يؤاخذهم بما فعلوه فى حقه (وفيها) وصل جمع عظيم من الفرنج الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت وسار الملك العادل ونزل بتل العجول واتته النجدة من مصر ووصل اليه سنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصرى صاحب نابلس ثم سار الملك العادل الى يافا وهجمها بالسيف وملكها وقتل الرجال المقاتلة وكان هذا الفتح ثالث فتح لها ونازلت الفرنج تبنين فارسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر فسار الملك العزيز بنفسه بمن بقى عنده

[٣] ...مسرين نسخة

عقبة الكسوة ثم وصل الى الملك الافضل اخوه الظاهر صاحب حلب فعاد الى مضايقة دمشق ودام الحصار عليها وقلت الاقوات عند الملك العادل وعلى اهل البلد واشرف الافضل والظاهر على ملك دمشق وعزم العادل على تسليم البلد لولا ما حصل بين الاخوين الافضل والظاهر من الخلف وخرجت السنة وهم على ذلك وكان منهم ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر استيلاء الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة على بارين)

وفي شهر رمضان من هذه السنة قصد الملك المنصور صاحب حماة بارين وبها نواب عز الدين ابراهيم ابن شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم وحاصرها وكان عز الدين ابراهيم مع الملك العادل محصورا معه بدمشق ونصب الملك المنصور عليها المجانيق وانجرح الملك المنصور حال الزحف ثم فتحها في التاسع والعشرين من ذي القعدة واقام ببارين مدة حتى اصلح امورها

(ذكر وفاة يعقوب ملك الغرب)

في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى توفي ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن مذهب مالك وعمره ثمان واربعون سنة وتلقب يعقوب المذكور بالمنصور ولما مات يعقوب ملك بعده ابنه محمد بن يعقوب وتلقب محمد بالناصر ومولد محمد المذكور سنة ست وسبعين وخمس مائة وعبد المؤمن وبنوه جميعهم كانوا يسمون بامير المؤمنين (وفي هذه السنة) رحل عسكر الملك العادل مع ابنه الملك الكامل عن حصار ماردين

(ذكر الفتنة بفيروز كوه)

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة في عسكر غياث الدين ملك الغورية وهو بفيروز كوه وسببها ان الامام فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي الامام المشهور كان قد قدم الى غياث الدين فبالغ غياث الدين في اكرامه واحترامه وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة ومذهبهم التجسيم والتشبيه وكان الغورية كلهم كرامية وكرهوا فخر الدين لانه شافعي وهو يناقض مذهبهم فاتفق ان فقهاء الكرامية والحنفية والشافعية حضروا بفيروز كوه عند غياث الدين للمناظرة وحضر فخر الدين الرازي والقاضي عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية وله

ثمان سنين حسبما نذكر ذلك فى سنة اربع وستمائة ان شاء الله تعالى

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمس مائة)

(ذكر وفاة العزيز صاحب مصر)

فى هذه السنة فى منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم توفى الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان قد طلع الى الصيد فركض خلف ذيب فتقنطر وحم سابع المحرم فى جهة الفيوم فعاد الى الاهرام وقد اشتدت حماه ثم توجه الى القاهرة فدخلها يوم عاشورا وحدث به يرقان وقرحة فى المعا واحتبس طبعه فمات فى التاريخ المذكور وكانت مدة مملكته ست سنين الا اشهرا وكان عمره سبعا وعشرين سنة واشهرا وكان فى غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعية والاحسان اليهم ففجعت الرعية بموته فجعة عظيمة وكان الغالب على دولة الملك العزيز فخر الدين جهاركس فاقام فى الملك ولد الملك العزيز الملك المنصور محمد واتفقت الامراء على احضار احد من بنى ايوب ليقوم بالملك وعملوا مشورة بحضور القاضى الفاضل فاشار بالملك الافضل وهو حينئذ بصرخد فارسلوا اليه فسار مجدا ووصل الى مصر على انه اتابك الملك المنصور بن الملك العزيز وكان عمر الملك المنصور حينئذ تسع سنين وشهورا وكان مسير الملك الافضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر فى تسعة عشر نفرا متنكرا خوفا من اصحاب عمه الملك العادل فان غالب تلك البلاد كانت له فوصل بلبيس خامس ربيع الاول ثم سار الملك الافضل الى القاهرة فخرج الملك المنصور بن العزيز للقائه فترجل له عمه الملك الافضل ودخل بين يديه الى دار الوزارة وهى كانت مقر السلطنة ولما وصل الملك الافضل الى بلبيس التقاه العسكر فتنكر منه فخر الدين جهاركس وفارقه وتبعه عدة من العسكر وساروا الى الشام وكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردين وارسل الملك الظاهر الى اخيه الملك الافضل يشير عليه بقصد دمشق واخذها من عمه الملك العادل وان ينتهز الفرصة لاشتغال العادل بحصار ماردين فبرز الملك الافضل من مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره الى دمشق فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل وسار العادل وسبق الافضل ودخل دمشق قبل نزول الافضل عليها بيومين ونزل الملك الافضل على دمشق ثالث عشر شعبان من هذه السنة وزحف من الغد على البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض عسكره المدينة حتى وصل الى باب البريد ولم يمدهم العسكر فتكاثر اصحاب الملك العادل واخرجوهم من البلد ثم تخاذل العسكر وتأخر الافضل الى ذيل

في العسكر فتأخر الافضل والظاهر عن دمشق وأقاما بمرج الصفر الى اواخر صفر ثم سارا الى راس الماء ليقيما به الى ان ينسلخ الشتا ثم انثنا عزمهما وسار الافضل الى مصر والظاهر الى حلب على القريتين ولما تفرقا خرج الملك العادل من دمشق وسار في اثر الافضل الى مصر ولما وصل الافضل الى مصر تفرقت عساكره في بلادهم لاجل الربيع فادركه عمه العادل فخرج الافضل بمن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافا بالسايح فانكسر الافضل وانهزم الى القاهرة ونازل العادل القاهرة ثمانية ايام فاجاب الافضل الى تسليمها على ان يعوض عنها ميافارقين وحاني وسميساط فاجابه العادل الى ذلك ولم يف له به وكان دخول العادل الى القاهرة في الحادي والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة وقال ابن الاثير كان دخول العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر فيها وتوفي القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في سابع عشر ربيع الآخر وقيل ان مولد القاضي الفاضل سنة ست وعشرين وخمس مائة فكان عمره نحو سبعين سنة ثم سافر الملك الافضل الى صرخد واقام العادل بمصر على انه اتابك الملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان مدة يسيرة ثم ازال الملك المنصور محمد المذكور واستقل العادل في السلطنة ولما استقرت المملكة للملك العادل ارسل اليه الملك المنصور صاحب حماة يعتذر اليه مما وقع منه بسبب أخذه بعرين من ابن المقدم فقبل الملك العادل عذره وامره برد بعرين الى ابن المقدم فاعتذر الملك المنصور عنها بقربها من حماة ونزل عن منبج وقلعة نجم لابن المقدم عوضا عن بعرين فرضي ابن المقدم بذلك لانهما خير من بعرين بكثير وتسلمهما عز الدين ابراهيم بن محمد ابن عبد الملك بن المقدم وكان له ايضا فامية وكفر طاب وخمس وعشرون ضيعة من المعرة وكذلك كاتب الملك الظاهر صاحب حلب عمه الملك العادل وصالحه وخطب له بحلب و بلادها وضرب السكة باسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب ان يكون خمس مائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج الى البيكار والتزم صاحب حلب بذلك وقصر النيل في هذه السنة تقصيرا عظيما حتى انه لم يبلغ اربعة عشر ذراعا

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

في هذه السنة في العشرين من رمضان توفي خوارزم شاه تكش بن ارسلان ابن اطسز بن محمد بن انوش تكين صاحب خوارزم وبعض خراسان والري وغيرها من البلاد الجبلية بشهرستانه وولي الملك بعده ابنه محمد

عندهم محل كبير لتزهده وعلمه فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال فخر الدين الرازى على ابن القدوة وشتمه وبالغ فى اذاه وابن القدوة لا يزيده على ان يقول لا يفعل ٣ يامولانا الا واخذ الله فصعب على الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته وشكى الى غياث الدين وذم فخر الدين الرازى ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ اليه غياث الدين فلما كان الغد وعظ الناس ابن عم ابن القدوة بالجامع وقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم * ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين * ايها الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما علم ارسطو وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلأى حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه وبكى وبكى الكرامية واستغاثوا وثار الناس من كل جانب وامتلا البلد فتنة فبلغ ذلك السلطان فارسل جماعة سكنوا الناس ووعدهم اخراج فخر الدين الرازى من عندهم وتقدم عليه بالعود الى هراة فعاد اليها (وفى هذه السنة) فى ربيع الاول توفى مجاهد الدين قيماز بقلعة الموصل وهو الحاكم فى دولة نور الدين ارسلان صاحب الموصل وقيماز المذكور هو الذى كان حاكما على مسعود والد ارسلان حتى قبض عليه مسعود ثم اخرجه بعد مدة وكان قيماز عاقلا اديبا فاضلا فى الفقه على مذهب ابى حنيفة وبنى عدة جوامع وربط ومدارس (وفيها) فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية وصار شافعى المذهب (وفيها) توفى محمد بن عبد الملك بن زهر الاندلسى الاشبيلى وكان فاضلا فى الادب وكان طبيبا وكان جده زهر وزيرا وفيلسوفا وتوفى زهر المذكور فى سنة خمس وعشرين وخمس مائة بقرطبة وزهر بضم الزاى المعجمة وسكون الهاء وقد قيل فى ابن زهر

قل للوبا انت وابن زهر * قد جزتما الحد فى النكايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما كفايه

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمس مائة) والملكان الافضل والظاهر محاصران لمدينة دمشق واتفق وقوع الخلف بين الاخوين الافضل والظاهر وسببه انه كان للملك الظاهر مملوك يحبه اسمه ايبك ففقد ووجد عليه الملك الظاهر وجدا عظيما وتوهم انه دخل دمشق فارسل من تكشف خبره واطلع الملك العادل وهو محصور على القضية فارسل الى الظاهر يقول له ان محمود بن الشكرى افسد مملوكك وحمله الى الافضل أخيك فقبض الظاهر على ابن السكرى فظهر المملوك عنده فتغير الظاهر على أخيه الافضل وترك قتال العادل وظهر الفشل

(فى العسكر)

وخرج الملك الظاهر بسهم فى ساقه واستمرت الحرب الى ايام من رمضان فلما لم يحصل على غرض صالح الملك المنصور على مال يحمله اليه قيل انه ثلثون الف دينار صورية ثم رحل الملك الظاهر الى دمشق وبها الملك المعظم ابن الملك العادل فنازلها الملك الظاهر هو واخوه الملك الافضل وانضم اليهما فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس ومن وافقه من الامراء الصلاحية واستقرت القاعدة بين الاخوين الافضل والظاهر انهما متى ملكا دمشق يتسلمها الملك الافضل ثم يسيران ويأخذان مصر من الملك العادل ويتسلمها الملك الافضل وتسلم دمشق حينئذ الى الملك الظاهر صاحب حلب بحيث تبقى مصر للملك الافضل ويصير الشام جميعه للملك الظاهر وكان قد تخلف من اكابر الامراء الصلاحية عنهما فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجا فارسل الملك الافضل وسلم صرخد الى زين الدين قراجا ونقل الملك الافضل والدته واهله الى حمص عند شيركوه وبلغ الملك العادل حصار الاخوين دمشق فخرج بعساكر مصر واقام بنابلس ولم يجسر على قتالهما واشتدت مضايقة الملكين الافضل والظاهر لدمشق وتعلق النقابون بسورها فلما شاهد الملك الظاهر صاحب حلب ذلك حسد أخاه الملك الافضل على دمشق وقال له اريد ان تسلم الى دمشق الآن فقال له الافضل ان حرمى حرمك وهم على الارض وليس لنا موضع نقيم فيه وهب هذه البلد لك فاجعله لى الى حين تملك مصر وأخذه فامتنع الظاهر من قبول ذلك وكان قتال العسكر والامراء الصلاحية انما كان لاجل الافضل فقال لهم الافضل ان كان قتالكم لاجلى فاتركوا القتال وصالحوا الملك العادل وان كان قتالكم لاجل اخى الملك الظاهر فانتم واياه فقالوا انما قتالنا لاجلك وتخلوا عن القتال وارسلوا وصالحوا الملك العادل وخرجت السنة وهم محاصرون دمشق وقد تفرقت العساكر فرحل الملك الظاهر عن دمشق فى اول المحرم سنة ثمان وتسعين وسار الافضل الى حمص (وفى هذه السنة) اعنى سنة سبع وتسعين توفى عماد الدين الكاتب محمد بن عبد الله ابن حامد الاصفهانى وكان فاضلا فى الفقه والادب والخلاف والتاريخ وله النظم البديع والنثر الفايق وكتب لنور الدين ولصلاح الدين وله التصانيف الحسنة منها البرق الشامى وخريدة القصر وكان مولده سنة تسع عشر وخمس مائة وكان عمره نيفا وسبعين سنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة سار الملك غياث الدين ملك الغورية بعساكره وارسل استدعى

ابن تكش وكان لقب محمد قطب الدين فغيره الى علاء الدين وكان تكش عادلا حسن السيرة يعرف الفقه على مذهب ابى حنيفة والاصول ولما بلغ غياث الدين ملك الغورية موت خوارزم شاه ترك ضرب نوبته ثلاثة ايام وجلس للعزاء مع ما كان بينهما من العداوة المستحكمة وهذا خلاف ما فعله بكثير من الشماتة بالسلطان صلاح الدين ولما استقر محمد بن تكش فى المملكة هرب ابن اخيه هندوخان بن ملكشاه بن تكش الى غياث الدين ملك الغورية يستنصره على عمه فاكرمه غياث الدين ووعده النصر (ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمس مائة) لما دخلت هذه السنة كان بالديار المصرية الملك العادل وعنده ابنه الملك الكامل محمد وهو نائبه بها وبحلب الملك الظاهر وهو مجد فى تحصين حلب خوفا من عمه الملك العادل وبدمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل نائب ابيه بها وبالشرق الملك ابراهيم بن الملك العادل وبميا فارقين الملك الاوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل (وفى هذه السنة) توفى عز الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وصارت البلاد بعده وهى منبج وقلعة نجم وفامية وكفرطاب لاخيه شمس الدين عبد الملك ابن محمد بن عبد الملك بن المقدم ولما استقر شمس الدين عبد الملك بمنبج سار اليها الملك الظاهر صاحب حلب وحصرها وملك منبج وعصى عبد الملك ابن المقدم بالقلعة فحصره ونزل عبد الملك بالامان فاعتقله الملك الظاهر وملك قلعة منبج وبعد ان فرغ من منبج سار الى قلعة نجم وبها نائب ابن المقدم فحصرها وملكها فى آخر رجب من هذه السنة وأرسل الملك الظاهر الى الملك المنصور صاحب حماة يبذل له منبج وقلعة نجم على ان يصير معه على الملك العادل فاعتذر صاحب حماة باليمين التى فى عنقه للملك العادل فلما ايس الملك الظاهر منه سار الى المعرة واقطع بلادها واستولى على كفرطاب وكانت لابن المقدم ثم سار الى فامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم وارسل الملك الظاهر احضر عبد الملك بن المقدم من حلب وكان معتقلا بها واحضر معه اصحابه الذين اعتقلهم وضربهم قدام قراقوش ليسلم فامية فامتنع قراقوش وأمر الملك الظاهر بضرب عبد الملك بن المقدم فضرب ضربا شديدا وبقى يستغيث فامر قراقوش فضربت النقارات على قلعة فامية لئلا يسمع أهل البلد صراخه ولم يسلم القلعة فرحل عنها الملك الظاهر وتوجه الى حماة وحاصرها لثلث بقين من شعبان من هذه السنة ونزل شمالى البلد وشعث التربة التقوية وبعض البساتين وزحف من جهة الباب الغربى وقاتل قتالا شديدا ثم زحف فى آخر شعبان من الباب الغربى والباب القبلى وباب العميان وجرى فيه قتال شديد

(وفيها) سار الملك العادل من دمشق ووصل الى حماة ونزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة بجميع وظائفه وكلفه وبلغ الظاهر صاحب حلب وصول عمه العادل الى حماة وقصده ومحاصرته بحلب فاستعد للحصار بحلب وراسل عمه ولاطفه وأهدى اليه ووقعت بينهما مراسلات ووقع الصلح وانتزعت منه معرة المعرة واستقرت للملك المنصور صاحب حماة واخذت من الملك الظاهر ايضا قلعة نجم وسلمت الى الملك الافضل وكانت له سروج وسميساط وسلم الملك العادل حران والرها لولده الملك الاشرف مظفر الدين موسى وسيره الى الشرق وكان بميافارقين الملك الاوحد ابن الملك العادل وبقلعة جعبر الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه ابن الملك العادل ولما استقر الصلح بين الملك العادل والظاهر رجع الملك العادل الى دمشق وأقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه وخطب له على منابرها وضربت السكة فيها باسمه

(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة عاد خوارزم شاه محمد بن تكش واسترجع البلاد التي أخذتها الغورية من خراسان الى ملكه (وفيها) توفي هبة الله بن علي بن مسعود ابن ثابت المنستيري بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ومنستير بلدة بافريقية وكان هبة الله المذكور عالي الاسناد ولم يكن في عصره من هو في درجته سمع ابرهيم بن حاتم الاسدي وسمع جماعة من الاكابر وسمع الناس على هبة الله المذكور وسافروا اليه من البلاد لعلو اسناده وكان جده مسعود قد قدم من منستير الى بوصير فعرف هبة الله المذكور بالبوصيري وكانت ولادته سنة ست وخمس مائة (ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمس مائة) والملك العادل مقيم بدمشق (وفيها) في المحرم توفي فلك الدين سليمان اخو الملك العادل لامه وهو الذي تنسب اليه المدرسة الفلكية بدمشق

(ذكر الحوادث باليمن)

كان قد تملك اليمن الملك المعز اسمعيل بن سيف الاسلام بن طغتكين بن أيوب وكان فيه هوج وخبط فادعى انه قرشي وانا من بني امية وادعى الخلافة وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة في ذلك الزمان وكان طول الكم نحو عشرين شبرا وخرج عن طاعته جماعة من مماليك أبيه وقاتلوه وانتصر عليهم ثم اتفق معهم جماعة من الامراء الاكراد وقتلوا المعز اسمعيل واقاموا في مملكة

اخاه شهاب الدين من غزنة فلحقه بعساكره ايضا وسار غياث الدين
الى خراسان واستولى على ماكان لخوارزم شاه بخراسان ولما ملك غياث الدين
مرو سلمها الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزمشاه تكش الذى كان هرب من عمه
محمد الى غياث الدين ثم استولى غياث الدين على سرخس وطوس ونيسابور
وغيرها ولما استقرت هذه البلاد لغياث الدين عاد الى بلاده وتوجه اخوه
شهاب الدين الى بلاد الهند فغنم وفتح نهر٢والة وهى من اعظم بلاد الهند نسخه
(وفى هذه السنة) فى رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قليج كهر
ارسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصر شاه بن قليج ارسلان ثم
سار ركن الدين الى ارزن الروم وكانت للملك محمد ابن٣ صلبق وهو من بيت نسخه
قديم ملكوا ارزن الروم من مدة طويلة فطلع صاحب ارزن الروم المذكور ليصالح القيق
ركن الدين فقبض عليه واخذ البلد منه وكان هذا محمد آخر الملوك من
اهل بيته (وفيها) توفى سقمان بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان
ابن ارتق صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بحصن كيفا
فمات وكان له اخ اسمه محمود بن محمد وكان سقمان يبغضه فابعده الى حصن
منصور وكان قد جعل سقمان ولى عهده مملوكه اياس وكان يحبه حبا شديدا
واوصى له بالملك بعده فلما مات سقمان استولى اياس على البلاد فلم ينتظم له حال
وكاتبوا اخاه محمودا فحضر وملك بلاد أخيه سقمان (وفيها) كان بمصر
غلاء شديد بسبب نقص النيل (وفيها) كان بالجزيرة والشام والسواحل
زلزلة عظيمة فهدمت مدنا كثيرة (وفيها) فى رمضان توفى ابو الفرج عبد
الرحمن بن على بن الجوزى الحنبلى الواعظ المشهور وتصانيفه مشهورة وكان
كثير الوقيعة فى العلماء وكان مولده سنة عشر وخمس مائة (ثم دخلت
سنة ثمان وتسعين وخمسمائة) فى هذه السنة بعد رحيل الملك الافضل
والظاهر عن دمشق كما ذكرنا قدم اليها الملك العادل وكان قد سار ميمون
القصرى مع الملك الظاهر فاقطعه اعزاز (وفيها) خرب الملك الظاهر
قلعة منبج خوفا من انتزاعها منه واقطع منبج بعد ذلك عماد الدين احمد ابن
سيف الدين على بن احمد المشطوب (وفيها) ارسل قراقوش نائب عبد
الملك بن محمد بن عبد الملك بن مقدم بفامية الى الملك الظاهر يبذل له تسليم فامية
بشرط ان يعطى شمس الدين عبد الملك بن المقدم اقطاعا يرضاه فاقطعه الملك
الظاهر الراوندان وكفرطاب ومفردة المعرة وهو عشرون ضيعة معينة
من بلاد المعرة وتسلم فامية ثم ان عبد الملك بن المقدم عصى بالراوندان فسار اليه
الملك الظاهر واستنزله منها وابعده فلحق ابن المقدم بالملك العادل فاحسن اليه

(وفيها)

ثم خرج من حصن الاكراد والمرقب الاسبتار وانضم اليهم جموع من السواحل والتقوا مع الملك المنصور صاحب حماة وهو نازل ببعرين في الحادي والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة بعد الوقعة الاولى بثمانية عشر يوما فانتصر ثانيا وانهزمت الفرنج هزيمة شنيعة واسر الملك المنصور وقتل منهم عدة كثيرة ومدح الملك المنصور بسبب هذه الوقعة سالم بن سعادة الحمصي بقصيدة منها

امن اللواحظ ان تفوق اسهما * ويريد ناظرنا بحتف ربما
وتد به بالسحر لو ساكنة * ماحار قاصيهن حين تحكما

ومنها

أصبحت فيها مغرما كمحمد * ما عدا بالاريحية مغرما

ومنها

وشدت مقيما ساحل بحرها * حساحكى البحر الخضم عرمرما
اسدا بنى الاوباق من هبواته * الا واطلعت الاسنة انجما

(وفى هذه السنة) ولد الملك المظفر تقى الدين محمود ابن الملك المنصور محمد صاحب حماه من ملكة خاتون بنت السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب وسمى عمر وابعد اسمى محمودا بعد ذلك وكانت ولادته بقلعة حماه ظهر يوم الثلاثا رابع عشر رمضان من هذه السنة (وفى هذه السنة) ارسل الملك العادل وانتزع ماكان بيد الملك الافضل وهى رأس عين وسروج وقلعة نجم ولم يترك بيده غير سميساط فقط فارسل الملك الافضل والدته فدخلت على الملك المنصور صاحب حماه ارسل معها من يشفع فى الملك الافضل عند الملك العادل فى ابقاء ماكان بيده وتوجهت ام الملك الافضل وتوجه معها من حماة القاضى زين الدين ابن الهندى الى الملك العادل فلم يجبها الملك العادل ورجعت خائبة قال عز الدين بن الاثير مؤلف الكامل وقد عوقب البيت الصلاحى بفعل والدهم السلطان صلاح الدين لما جرت الدولة بسبب نساء بيت الاتابك ومن جملتهن بنت نور الدين الشهيد اشفعن فى ابقاء الموصل على عز الدين مسعود فردهن ولم يجب الى سؤالهن ثم ندم رحمه الله تعالى على ردهن فجرى للملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين مع عمه مثل ذلك ولما جرى ذلك اقام الملك الافضل بسميساط وقطع خطبة عمه الملك العادل وخطب للسلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان بن مسعود السلجوقى صاحب بلاد الروم

(ذكر وفاة غياث الدين ملك الغورية)

اليمن اخا له صغيرا وسموه الناصر وبقي مدة واقام باتابكيته مملوك والده وهو سيف الدين سنقر ثم مات سنقر بعد اربع سنين وتزوج ام الناصر امير من امراء الدولة يقال له غازي بن جبريل وقام باتابكية الناصر ثم سم الناصر في كوز فقاع على ماقيل وبقي غازي متملكا للبلاد ثم قتله جماعة من العرب بسبب قتله للناصر ابن طغتكين وبقيت اليمن خالية بغير سلطان فتغلبت ام الناصر المذكور على زبيد واحرزت عندها الاموال وكانت تنتظر وصول احد من بني ايوب لتتزوج به وتملكه البلاد وكان للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولد اسمه سعد الدين شاهنشاه وكان له ابن اسمه سليمان فخرج سليمان ابن شاهنشاه بن عمر فقيرا يحمل الركوة على كتفه ويتنقل مع الفقراء من مكان الى مكان وكان قد ارسلت ام الناصر بعض غلمانها الى مكة حرسها الله تعالى في موسم الحاج ليأتيها باخبار مصر والشام فوجد غلمانها سليمان المذكور فاحضروه الى اليمن فاستحضرته ام الناصر وخلعت عليه وملكته اليمن فملا اليمن ظلما وجورا واطرح زوجته التي ملكته البلاد واعرض عنها وكتب الى السلطان الملك العادل وهو عم جده كتابا جعل في اوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فاستقل الملك العادل عقله ثم كان من سليمان المذكور ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) ارسل السلطان الملك العادل الى ولده الملك الاشرف وامره بحصار ماردين فحصرها وضايقها ثم سعى الملك الظاهر الى الملك العادل في الصلح فاجاب الى ان يحمل اليه صاحب ماردين مائة الف وخمسين الف دينار ويخطب له ببلاده ويضرب السكة باسمه ويكون بخدمته متى طلبه فاجيب الى ذلك واستقر الصلح عليه (وفيها) اخرج الملك العادل الملك المنصور محمد بن العزيز من مصر الى الشام فسار بوالدته واخوته واقام بحلب عند عمه الملك الظاهر (وفيها) سار الملك المنصور صاحب حماة الى بعرين مرابطا للفرنج واقام بها وكتب الملك العادل الى صاحب بعلبك والى صاحب حمص بانجاده فانجداه واجتمعت الفرنج من حصن الاكراد وطرابلس وغيرها وقصدوا الملك المنصور ببعرين واتقعوا معه في ثالث شهر رمضان من هذه السنة واقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل واسر من خيالتهم جماعة وكان يوما مشهودا وفي ذلك يقول بهاء الدين اسعد بن يحيى السنجاري قصيدة من جملتها

مالذة العيش الا صوت معمعة * ينال فيها المنى بالبيض والاسل
ياايها الملك المنصور نصح فتى * لم يلوه عن وفاء كثرة العذل
اعزم ولاتترك الدنيا بلا ملك * وجدنا الملك محتاج الى رجل
ياواحد العصر ياخير الملوك ومن * فاق البرية من حاف ومنتعل

بيد الروم من قديم الزمان فلما كانت هذه السنة اجتمعت الفرنج وقصدتها في جموع عظيمة وحاصروها فملكوها وازالوا يد الروم عنها ولم تزل بايدي الفرنج الى سنة ستين وستمائة فقصدتها الروم واستعادوها من الفرنج (وفيها) توفي السلطان ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان ابن سليمان بن قطلومش بن يبغو ارسلان بن سلجوق سلطان بلاد الروم في سادس ذي القعدة حسبما قدمنا ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة وكان مرضه بالقولنج وكان قبل مرضه بخمسة ايام قد غدر باخيه صاحب انكورية وهي انقرة وكان ركن الدين المذكور يميل الى مذهب الفلاسفة ويحسن الى طايفتهم ويقدمهم ولما مات ركن الدين ملك ولده قليج ارسلان ابن سليمان وكان صغيرا فلم يتثبت امره وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) كان بين خوارزم شاه محمد بن تكش و بين شهاب الدين ملك الغورية قتال انتصر فيه ملك الغورية واستنجد خوارزم شاه بالخطا فساروا واتقعوا مع شهاب الدين ملك الغورية فهزموه وشاع ببلاده ان شهاب الدين قتل فاختلفت مملكته وكثر المفسدون ثم انه ظهر ووصل الى غزنة واستقر في ملكه وترا جعت الامور الى ما كانت عليه (وفيها) قتل كلجا مملوك البهلوان وكان قد ملك الري وهمدان و بلاد الجبل قتله خشداشه ايدغمش مملوك البهلوان وملك موضعه واقام ايدغمش ابن استاذه ازبك بن البهلوان في الملك وليس لازبك غير الاسم والحكم لايدغمش (وفيها) استولى انسان اسمه محمود بن محمد الحميري على ظفار ومرباط وغيرهما من حضرموت (وفيها) خرج اسطول للفرنج فاستولوا على مدينة فوه من الديار المصرية فنهبوها خمسة ايام (وفيها) كانت زلزلة عظيمة عمت مصر والشام والجزيرة و بلاد الروم وصقلية وقبرس والعراق وغيرها وخربت سور مدينة صور

(ثم دخلت سنة احدى وستمائة) في هذه السنة كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج وسلم الى الفرنج يافا ونزل عن مناصفات لد والرملة ولما استقرت الهدنة اعطى العساكر دستورا وسار العادل الى مصر واقام بدار الوزارة (وفيها) اغارت الفرنج على حماة ووصلوا الى قرب حماة الى قرية الرقيطا وامتلأت ايديهم من المكاسب واسروا من اهل حماة شهاب الدين بن البلاعي وكان فقيها شجاعا تولى بر حماة مرة وسلمية اخرى وحمل الى طرابلس فهرب وتعلق بجبال بعلبك ووصل الى اهله بحماة سالما ووقعت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة و بين الفرنج (وفيها) بعد الهدنة توجه الملك المنصور صاحب

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام بن الحسين الغورى صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها وكان اخوه شهاب الدين بطوس عازما على قصد خوارزم وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود ولقب غياث الدين بلقب والده ولم يحسن شهاب الدين الخلافة على ابن أخيه ولا على غيره من أهله وكان لغياث الدين زوجة يحبها وكانت مغنية فقبض عليها شهاب الدين بعد موت اخيه غياث الدين وضربها ضربا مبرحا واخذ اموالها وكان غياث الدين مظفرا منصورا لم ينهزم له راية قط وكان له دهاء ومكر وكان حسن الاعتقاد كثير الصدقات وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خط وبلاغة وكان ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها فى المدارس التى بناها وكان على مذهب الكرامية ثم تركه وصار شافعيا

(ذكر غير ذلك)

وفى هذه السنة استولى الكرج على مدينة دوين من اذربيجان ونهبوها وقتلوا اهلها وكانت هى وجميع اذربيجان للامير ابى بكر بن البهلوان وكان مشغولا ليلا ونهارا بشرب الخمر ولا يلتفت الى تدبير مملكته ووبخه امراؤه ونوابه على ذلك فلم يلتفت (وفيها) توفيت زمرد ام الخليفة الامام الناصر وكانت كثيرة المعروف (ثم دخلت سنة ستمائة) والملك العادل بدمشق (وفيها) كانت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الفرنج (وفيها) نازل ابن لاوون ملك الارمن انطاكية فتحرك الملك الظاهر صاحب حلب ووصل الى حارم فرحل ابن لاوون عن انطاكية على عقبه (وفيها) خطب قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار للملك العادل ببلاده وانتمى اليه فصعب على ابن عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود وقصد نصيبين وهى لقطب الدين واستولى على مدينتها فاستنجد قطب الدين بالملك الاشرف بن العادل فسار اليه واجتمع معه اخوه الملك الاوحد صاحب ميافارقين والتقى الفريقان بقرية يقال لها بوشرة فانهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل هزيمة قبيحة ودخل الى الموصل وليس معه غير اربعة انفس وكانت هذه الواقعة اول ماعرفت من سعادة الملك الاشرف بن العادل فانه لم ينهزم له راية بعد ذلك واستقرت بلاد قطب الدين محمد بن زنكى عليه ووقع الصلح بينهم فى اول سنة احدى وستمائة (وفيها) اجتمع الفرنج لقصد بيت المقدس فخرج السلطان الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور فى قبالة الفرنج ودام ذلك الى آخر السنة (وفيها) استولت الفرنج على قسطنطينية وكانت قسطنطينية

غزنة فقاتلهما يلدز فانتصرا عليه وانهزم يلدز الى كرمان واستقر علاء الدين محمد ابن بهاء الدين سام ومعه بعض العسكر فى ملك غزنة وعاد اخوه جلال الدين فى باقى العسكر الى باميان ثم ان يلدز لما بلغه مسير جلال الدين فى باقى العسكر الى باميان وتأخر علاء الدين بغزنة جمع العساكر من كرمان وغيرها وسار الى غزنة وبلغ علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام ذلك فارسل الى اخيه جلال الدين وهو بباميان يستنجده وسار يلدز وحصر علاء الدين بغزنة وسار جلال الدين فلما قارب غزنة رحل يلدز الى طريقه واقتتلا فانهزم عسكر جلال الدين وأخذه يلدز اسيرا فاكرمه يلدز واحترمه وعاد الى غزنة فحصر علاء الدين بها وكان عنده بغزنة هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش فاستنزلهما يلدز بالامان ثم قبض على علاء الدين وعلى هندوخان وتسلم غزنة واما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فانه لما قتل عمه شهاب الدين كان ببست فسار الى فيروزكوه وتملكها وجلس فى دست ابيه غياث الدين وتلقب بالقابه وفرح به اهل فيروزكوه وسلك طريقة ابيه فى الاحسان والعدل ولما استقل يلدز بغزنة واسر جلال الدين وعلاء الدين ابنى سام كتب الى غياث الدين محمود ابن غياث الدين محمد ابن سام ابن الحسين بالفتح وارسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

(ذكر غير ذلك)

فى هذه السنة توفى الامير مجير الدين طاشتكين امير الحاج وكان قد ولاه الخليفة على جميع خوزستان وكان خيرا صالحا وكان يتشيع (وفيها) تزوج ابو بكر بن البهلوان بابنة ملك الكرج وذلك لاشتغاله بالشرب عن تدبير المملكة فمال الى المصاهرة والهدنة وكف الكرج عنه (ثم دخلت سنة ثلث وستمائة) فى هذه السنة سار الملك العادل من مصر الى الشام ونازل فى طريقه عكا فصالحه اهلها على اطلاق جمع من الاسرى ثم وصل الى دمشق ثم سار منها ونزل بظاهر حمص على بحيرة قدس واستدعى بالعساكر فاتته من كل جهة واقام على البحيرة حتى خرج رمضان ثم سار ونازل حصن الاكراد وفتح برج اعناز واخذ منه سلاحا ومالا وخمسمائة رجل ثم سار ونازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاث العسكر فى بلادها وقطع قنيها ثم عاد فى اواخر ذى الحجة الى بحيرة قدس بظاهر حمص

(ذكر غير ذلك)

فى هذه السنة ارسل غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية يستميل يلدز مملوك ابيه المستولى على غزنة فلم يجبه يلدز الى ذلك وطلب يلدز من غياث الدين

نجا الى مصر وكان عنده استشعار من السلطان الملك العادل فلما وصل اليه بالقاهرة أحسن اليه احسانا كثيرا واقام فى خدمته شهورا ثم خلع عليه وعلى اصحابه وعاد الى حماة (وفيها) ملك السلطان غياث الدين كيخسرو ابن قليج ارسلان بلاد الروم وكان لما تغلب اخوه ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان على البلاد قد هرب كيخسرو المذكور الى الملك الظاهر صاحب حلب ثم تركه وسار الى قسطنطينية فاحسن اليه صاحبها واقام بالقسطنطينية الى ان مات اخوه ركن الدين سليمان وتولى ابنه قليج ارسلان فسار كيخسرو من قسطنطينية وازال امر ابن اخيه وملك بلاد الروم واستقر امره (وفيها) كانت الحرب بين الامير قتادة الحسينى امير مكة وبين الامير سالم بن قاسم الحسينى أمير المدينة وكانت الحرب بينهما سجالا (ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة) والملك العادل بالديار المصرية والممالك بحالها

(ذكر قتل ملك الغورية شهاب الدين)

فى هذه السنة اول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغورى ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاور بمنزل يقال له دميل قبل صلاة العشاء وثب عليه جماعة وهو بخركاته وقد تفرق الناس عنه لاماكنهم فقتلوه بالسكاكين قيل انهم من الكوكير وهم طائفة من أهل الجبال مفسدون كان شهاب الدين قد فتك فيهم وقيل انهم من الاسماعيلية فان شهاب الدين ايضا كان كثيرا الفتك فيهم واجتمع حرس شهاب الدين فقتلوا اولئك الذين قتلوا شهاب الدين عن آخرهم وكان شهاب الدين شجاعا كثير الغزو عادلا فى الرعية وكان الامام فخر الدين الرازى يعظه فى داره فحضر يوما ووعظه وقال فى آخر كلامه ياسلطان لاسلطانك يبقى ولاتلبيس الرازى فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس ولما قتل شهاب الدين كان صاحب باميان بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود عم غياث الدين وشهاب الدين المذكور فسار بهاء الدين سام ليملك غزنة ومعه ولداه علاء الدين محمد وجلال الدين ابنا سام بن محمد بن مسعود بن الحسينى فادركت بهاء الدين سام الوفاة قبل ان يصل الى غزنة وعهد بالملك الى ابنه علاء الدين محمد فاتم علاء الدين واخوه جلال الدين السير الى غزنة ودخلاها وتملكها علاء الدين وكان لغياث الدين ملك الغورية مملوك يقال له تاج الدين يلدز وكانت كرمان اقطاعه وهو كبير فى الدولة ومن جمع الاتراك اليه فسار يلدز الى غزنة وهزم عنها علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام واخاه جلال الدين واستولى يلدز على غزنة ثم ان علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين سام سارا الى باميان وجمعا العساكر وعادا الى

وولــداه ووزيره بالخلع ودخل القلعة وكذلك وصل الى الملك العادل مع الخلعة تقليد بالبلاد التى تحت حكمه وخوطب الملك العادل فيه شاهنشاه ملك الملوك خليل امير المؤمنين ثم توجه الشيخ شهاب الدين الى مصر فخلع على الملك الكامل بهـا وجرى فيهـا نظير ماجرى فى دمشق من الاحتفال ثم عاد السهروردى الى بغداد مكرما معظما (وفى هذه السنة) اهتم الملك العادل بعمارة قلعة دمشق والزم كل واحد من ملوك اهل بيته بعمارة برج من ابراجهـا

(ذكر قتال خوارزم شـاه مع الخطا بما وراء النهر)

فى هذه السنة كاتبت ملوك ماوراء النهر مثل ملك سمرقند وملك بخارا خوارزم شاه يشكون مايلقونه من الخطا ويبذلون له الطاعة والخطبة والسكة ببلادهم ان دفع الخطا عنهم فعبر علاء الدين محمد خوارزم شاه ابن تكش نهر جيحون واقتتل مع الخطا وكان بينهم عدة وقايع والحرب بينهم سجال واتفق فى بعض الوقعات ان عسكر خوارزم شاه انهزم واخذ خوارزم شاه محمد اسيرا واسر معه شخص من اصحابه يقال له فلان ابن شهاب الدين مسعود ولم يعرفهما الخطاى الذى اسرهما فقال ابن مسعود لخوارزم شاه دع عنك المملكة وادع انك غلامى واخدمنى لعلى احتال فى خلاصك فشرع خوارزم شـاه يخدم ابن مسعود ويقلعه قماشه وخفه ويلبسه ويخدمه فسأل الخطاى ابن مسعود من انت قال انا فلان فقال له الخطاى لولا اخاف من الخطا اطلقتك فقال له ابن مسعود انى اخشى ان ينقطع خبرى عن اهلى فلا يعلمون بحياتى واشتهى ان اعلمهم بحالى لئلا يظنوا موتى ويتقاسموا مالى فاجابه الخطاى الى ذلك فقال ابن مسعود اشتهى ان ابعث بغلامى هذا مع رسولك ليصدقوه فاجابه الى ذلك وراح خوارزم شاه مع ذلك الشخص حتى قرب من خوارزم فرجع الخطـاى واستقر خوارزم شـاه فى ملكه وتراجع اليه عسكره وكان لخوارزم شاه اخ يقال له على شـاه ابن تكش وكان نايب اخيه بخراسان فلما بلغه عدم اخيه فى الوقعة مع الخطـا دعى الى نفسه بالسلطنة واختلفت النـاس بخراسان وجرى فيها فتن كثيرة فلما عاد خوارزم شاه محمد الى ملكه خاف اخوه على شـاه فسار الى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فاكرمه غياث الدين محمود واقام على شاه عنده بفيروزكوه

(ذكر قتل غيـاث الدين محمود وعلى شاه)

ولما استقر خوارزم شاه فى ملكه وبلغه مافعله اخوه على شاه ارسل عسكرا الى قتال غياث الدين محمود الغورى فسار العسكر الى فيروزكوه مع مقدم يقال له

ان يعتقه فاحضر الشهود واعتقه وارسل مع عتاقه هدية عظيمة وكذلك اعتق ايبك المستولى على بلاد الهند وارسل نحو ذلك فقبل كل منهما ذلك وخطب له ايبك ببلاد الهند التى تحت يده واما يلدز فلم يخطب له وخرج بعض العساكر عن طاعة يلدز لعدم طاعته لغياث الدين (وفيها) فى ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم انطالية بالامام وهى مدينة للروم على ساحل البحر (وفيها) قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وكان اتابك قتلغ مملوك شاهرمن فقبض عليه ابن بكتمر فثارت عليه ارباب الدولة وقبضوه وملكوا بلبان مملوك شاهرمن بن سقمان صاحب خلاط حسبما تقدم ذكره فى سنة اربع وتسعين وخمس مائة (ثم دخلت سنة اربع وستمائة) والملك العادل نازل على بحيرة قدس ثم وقع الهدنة بينه و بين صاحب طرابلس وعاد الملك العادل الى دمشق وأقام بها

(ذكر استيلاء الملك الاوحد نجم الدين ايوب ابن الملك العادل على خلاط)

فى هذه السنة ملك الملك الاوحد ايوب ابن الملك العادل خلاط وكان صاحب خلاط بلبان حسبما قدمنا ذكره فى سنة اربع وتسعين وخمس مائة فسار الملك الاوحد من ميا فارقين وملك مدينة موش ثم اقتتل هو وبلبان صاحب خلاط فانهزم بلبان واستنجد بصاحب ارزن الروم وهو مغيث الدين طغريل شاه بن قليج ارسلان السلجوقى فسار طغريل شاه واجتمع به بلبان فهزما الملك الاوحد ثم غدر طغريل شاه ببلبان فقتله غدرا ليملك بلاده وقصد خلاط فلم يسلموها اليه وقصد منازكرد فلم تسلم اليه فرجع طغريل شاه الى بلاده فكاتب اهل خلاط الملك الاوحد فسار اليهم وتسلم خلاط وبلادها بعد اياسه منها واستقر ملكه بها (وفى هذه السنة) لما استقر الملك العادل بدمشق وصل اليه التشريف من الخليفة الامام الناصر صحبة الشيخ شهاب الدين السهروردى فبالغ الملك العادل فى اكرام الشيخ والتقاه الى القصير ووصل من صاحبى حلب وحماة ذهب لينثر على الملك العادل اذا لبس الخلعة فلبسها الملك العادل ونثر ذلك الذهب وكان يوما مشهودا والخلعة جبة اطلس اسود بطراز مذهب وعمامة سودا بطراز مذهب وطوق ذهب مجوهر تطوق به الملك العادل وسيف جميع قرابه ملبس ذهبا تقلد به وحصان اشهب بمركب ذهب ونشر على رأسه علم اسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة ثم خلع رسول الخليفة على كل واحد من الملك الاشرف والملك المعظم ابنى الملك العادل عمامة سودا وثوبا اسود واسع الكم وكذلك على الوزير صفى الدين بن شكر وركب الملك العادل

(وولداه)

بالسروج والجم المكفتة وقطارين من الجمال وخلع على اصحابه مائة وخمسين خلعة وقاد الى اكثرهم بغلات واكاديش ثم سار الملك الاشرف الى بلاده (وفى هذه السنة) امر الملك الظاهر صاحب حلب باجراء القناة من حيلان الى حلب وغرم على ذلك اموالا كثيرة وبقى البلد يجرى الماء فيه (وفى هذه السنة) وصل غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم الى مرعش لقصد بلاد ابن لاوون الارمنى وارسل اليه الملك الظاهر نجدة فدخل كيخسرو الى بلاد ابن لاوون وعاث فيها ونهب وفتح حصنا يعرف بفرقوس

(ذكر مقتل صاحب الجزيرة)

فى هذه السنة قتل معز الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازى بن مودود بن عماد الدين ابن زنكى بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وقد تقدم ذكر ولايته فى سنة ست وسبعين وخمس مائة قتله ابنه غازى وكان سنجر شاه ظالما قبيح السيرة جدا لايمتنع عن قبيح يفعله من القتل وقطع الالسنة والانوف والاذان وحلق اللحى وتعدى ظلمه الى اولاده وحريمه فبعث ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فحبسهما فيها وحبس ابنه المذكور غازى فى دار فى المدينة وضيق عليه وكان بتلك الدار هوام كثيرة فاصطاد غازى المذكور منها حية وارسلها الى ابيه فى منديل لعله يرق عليه فلم يزده ذلك الا قسوة فاعمل غازى الحيلة حتى هرب وكان له واحد يخدمه فقرر معه ان يسافر ويظهر انه غازى بن معز الدين سنجر شاه ليامنه ابوه ففضى ذلك الانسان الى الموصل فاعطى شيئا وسافر منها واتصل ذلك بسنجر شاه فاطمأن وتوصل ابنه غازى حتى دخل الى دار ابيه واختفى عند بعض سرارى ابيه وعلم به جماعة منهم وكتموا ذلك عن سنجر شاه لبغضهم فيه واتفق ان سنجر شاه شرب يوما بظاهر البلد وشرع يقترح على المغنين الاشعار الفراقية وهو يبكى ودخل داره سكران الى عند الحظية التى ابنه مختبى عندها ثم قام معز الدين سنجر شاه ودخل الخلاء فهجم عليه ابنه غازى فضربه اربع عشرة ضربة بالسكين ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل غازى الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو احضر الجند واستحلفهم فى ذلك الوقت اتم له الامر وملك البلاد ولكنه تنكر واطمأن فخرج بعض الخدم واعلم استاذ الدار فجمع الناس وهجم على غازى وقتله وحلف العسكر لاخيه محمود بن سنجر شاه ولقب معز الدين بلقب ابيه ووصل معز الدين محمود بن سنجر شاه بن زنكى واستقر ملكه بالجزيرة وقبض على جوارى ابيه فغرقهن فى دجلة ثم قبض محمود بعد

امير ملك فسار الى فيروز كوه وبلغ ذلك محمودا فارسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فاعطاه امير ملك الامان فخرج غياث الدين محمود من فيروز كوه ومعه على شاه فقبض عليهما امير ملك وارسل يعلم خوارزمشاه بالحال فامر بقتلهما فقتلهما في يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه محمد بن تكش وذلك في سنة خمس وستمائة وهذا غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام ابن الحسين هو آخر الملوك الغورية وكانت دولتهم من احسن الدول وكان هذا محمود كريما عادلا رحمة الله عليه ثم ان خوارزمشاه محمدا لما خلا سره من جهة خراسان عبر النهر وسار الى الخطا وكان وراء الخطا في حدود الصين التتر وكان ملكهم حينئذ يقال له كشلى خان وكان بينه وبين الخطا عداوة مستحكمة فارسل كل من كشلى خان ومن الخطا يسأل خوارزمشاه ان يكون معه على خصمه فاجابهما خوارزمشاه بالمغالطة وانتظر ما يكون منهما فاتقع كشلى خان والخطا فانهزمت الخطا فمال عليهم خوارزمشاه وفتك فيهم وكذلك فعل كشلى خان بهم فانقرضت الخطا ولم يبق منهم الا من اعتصم بالجبال او استسلم وصار في عسكر خوارزمشاه (ثم دخلت سنة خمس وستمائة) والملك العادل بدمشق وعنده ولداه الملك الاشرف والمعظم

(ذكر قدوم الاشرف الى حلب متوجها الى بلاده الشرقية)

وفي هذه السنة توجه الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل من دمشق راجعا الى بلاده الشرقية ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وأنزله بالقلعة وبالغ في اكرامه وقام للاشرف ولجميع عسكره بجميع ما يحتاجون اليه من الطعام والشراب والحلوا والعلوفات وكان يحمل اليه في كل يوم خلعة كاملة وهي غلالة وقباء وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لاصحابه واقام على ذلك خمسة وعشرين يوما وقدم له تقدمة وهي مائة الف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك فمنها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة اثواب اطلس وثوبان خطاي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة منها عشرة أثواب عتابي خوارزمي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة خمسة أثواب عتابي بغدادي وموصلي وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع مرسوسي وديبقي ومنها اربعون في كل واحدة منها خمسة اقبية وخمس كمام وحمل اليه خمس حصن عربية بعدتهما وعشرين اكديشا واربعة قطر بغال وخمس بغلات فايقات

(بالسروج)

وكان كاتبا مفلقا (وفيها) توفى المجد المطرز النحوى الخوار زمى وكان اماما فى النحو وله فيه تصانيف حسنة (ثم دخلت سنة سبع وست مائة) فيهـا عاد السلطان الملك العادل من البلاد الشرقية الى دمشق وفيها قصدت الكرج خلاط وحصروا الملك الاوحد ابن الملك العادل بها واتفق ان ملك الكرج شرب وسكر فحسن له السكر انه تقدم الى خلاط فى عشرين فارسا فخرجت اليه المسلمون فتقنطر واخذ اسيرا وحمل الى الملك الاوحد فرد على الملك الاوحد عدة قلاع وبذل الطلاق خمسة آلاف اسير و مائة الف دينار وعقد الهدنة مع المسلمين ثلاثين سنة وشرط ان يزوج ابنته بالملك الاوحد فتسلم ذلك منه واقام وتحالفا واطلق

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل)

فى هذه السنة توفى نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود ابن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل فى آخر رجب وكان مرضه قد طال وملك الموصل سبع عشرة سنة واحد عشر شهرا ولما اشتد مرضه انحدر الى العين القيارة ليستحم بها وعاد الى الموصل فى سبارة فتوفى فى الطريق ليلا وكان اسمر حسن الوجه قد اسرع اليه الشيب وكان شديد الهيبة على اصحابه وكان عنده قلة صبر فى اموره واستقر فى ملكه بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود وكان عمر القاهر عشر سنين وقام بتدبير مملكته بدر الدين لولو وكان لولو مملوك والده ارسلان شاه واستاذ داره وهذا لولو هو الذى ملك الموصل على ما سنذكره ان شاء الله تعالى وكان لارسلان شاه ولد آخر اصغر من القاهر اسمه عماد الدين زنكى ملكه ابوه قلعتى العقر وشوش وهما بالقرب من الموصل

(ذكر غير ذلك)

وفى هذه السنة وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الاطراف ان يشربوا له كاس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وان ينتسبوا اليه فى رمى البندق ويجعلوه قدوتهم فيه (وفيها) سار الملك العادل بعد وصوله الى دمشق ومقامه الى الديار المصرية واقام بدار الوزارة (وفيها) توفى فخر الدين جهاركس مقدم الصلاحية وكبيرهم

(ذكر وفاة الملك الاوحد صاحب خلاط)

فى هذه السنة توفى الملك الاوحد ايوب ابن الملك العادل فسار اخوه الملك الاشرف وملك خلاط واستقل بملكها مضافا الى ما بيده من البلاد الشرقية فعظم

ذلك اخاه مودودا (ثم دخلت سنة ست وستمائة) في هذه السنة سار الملك العادل من دمشق وقطع الفرات وجمع العساكر والملوك من اولاده ونزل حران ووصل اليه بها الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا ارسلان الارتقي صاحب آمد وحصن كيفا وسار الملك العادل من حران ونازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود ابن عماد الدين زنكي فحاصرها وطال الامر في ذلك ثم خامرت العساكر التي صحبة الملك العادل ونقض الملك الظاهر صاحب حلب الصلح معه فرحل عن سنجار وعاد الى حران واستولى الملك العادل على نصيبين وكانت لقطب الدين محمد المذكور وكذلك استولى على الخابور (وفي هذه السنة) توفي الملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن السلطان صلاح الدين (وفيها) توفي الامام فخر الدين محمد بن عمر خطيب الري بن الحسين ابن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الاصل الرازي المولد الفقيه الشافعي صاحب التصانيف المشهورة قال ابن الاثير وبلغني ان مولده سنة ثلث واربعين وخمس مائة وكان فخر الدين المذكور مع فضائله يعظ وله فيه اليد الطولى وكان يعظ باللسانين العربي والعجمي ويلحقه في الوعظ الوجد والبكا وكان اوحد زمانه في المعقولات والاصول واشتغل في اول زمانه على والده ثم قصد الكمال السمعاني واشتغل عليه ثم عاد الى الري واشتغل على المجد الجيلي وسافر الى خوارزم وما وراء النهر وجرى له بكرد كوه ما تقدم ذكره واخرج منها بسبب الكرامية واتصل بشهاب الدين الغوري صاحب غزنة وحصل له منه مال طايل ثم عاد فخر الدين الى خراسان واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش وحظي عنده ولفخر الدين نظم حسن فمنه

نهاية اقدام العقول عقال * واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة * فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكانت العلماء يقصدونه من البلاد وتشد اليه الرحال وقصده ابن عنين الشاعر ومدحه بقصايد (وفيها) في سلخ الحجة توفي مجد الدين بن السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم ومولده سنة اربع واربعين وخمس مائة المعروف بابن الاثير اخو عز الدين علي المؤرخ مؤلف الكامل في التاريخ وكان مجد الدين المذكور عالما بالفقه والاصولين والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة

نفيسة (وفيها) عمر الملك العادل قلعة الطور وجمع لها الصناع من البلاد والعسكر حتى تمت (وفي هذه السنة) سار طغريل شاه ابن قليج ارسلان صاحب ارزن الروم وحاصر ابن اخيه سلطان الروم كيكاوس بسيواس فاستنجد كيكاوس بالاشرف بن العادل فانجده فرحل طغريل عنه وكان لكيكاوس اخ اسمه كيقباذ فلما جرى ما ذكرناه سار كيقباذ واستولى على انكورية من بلاد اخيه كيكاوس فسار كيكاوس وحصره وفتح انكورية وقبض على اخيه كيقباذ وحبسه وقبض على امرائه وحلق لحاهم ورؤسهم واركب كل واحد منهم فرسا واركب قدامه وخلفه شخصين وبيد كل منهما مخلاق تصفعه به وبين يدي كل واحد منهم مناد ينادي هذا جزاء من خان سلطانهم (ثم دخلت سنة عشر وستمائة) في هذه السنة ظفر عز الدين كيكاوس بن كيخسرو صاحب بلاد الروم بعمه طغريل شاه فاخذ بلاده وقتله وتتبع اكثر امرائه وقصد قتل اخيه علاء الدين كيقباذ فشفع فيه بعض اصحابه فعفا عنه (وفيها) في رمضان توفي مخلص فارس الدين ميمون القصري وهو آخر من بقي من كبراء الامراء الصلاحية وهو منسوب الى قصر الخلفاء بمصر وكان قد اخذه السلطان صلاح الدين من هناك (وفيها) ولد للملك الظاهر من صفية خاتون بنت الملك العادل ولده الملك العزيز غياث الدين محمد (وفي هذه السنة) قتل ايدغمش مملوك البهلوان وكان قد غلب على المملكة وهي همذان والجبال فخرج عليه انسان من البهلوانية اسمه منكلي وكان ايدغمش قد هرب منه والتجأ الى الخليفة في سنة ثمان وستمائة ورجع ايدغمش في هذه السنة الى جهة همذان فقتل واستقل منكلي بالملك (وفي هذه السنة) في شعبان توفي ملك المغرب محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن ابي يوسف بن عبد المؤمن وكانت مدة مملكته نحو ست عشرة سنة وكان اسمر اسيل الخد دائم الاطراق كثير الصمت للثغة كانت في لسانه وقد تقدم ذكر ولايته في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ولما مات محمد الناصر المذكور ملك بعده ولده يوسف ولقب بالمستنصر امير المؤمنين ابن محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف ابن عبد المؤمن وكنيته ابو يعقوب (وفيها) وقيل في السنة التي قبلها توفي علي بن محمد بن علي المعروف بابن خروف النحوي الاندلسي الاشبيلي شرح كتاب سيبويه شرحا جيدا وشرح الجمل للزجاجي (وفيها) توفي عيسى بن عبد العزيز الجزولي بمراكش وكان اماما في النحو صنف المقدمة الجزولية وسماها القانون اتى فيها بالعجائب واعتنى بها جماعة من الفضلاء واكثر النحاة يعترفون بقصور افهامهم عن ادراك مراده فيها فانها كلها

شانه واقبشاهر من (وفي هذه السنة) قتل غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم قتله ملك الاشكري وملك بعده ابنه كيكاووس بن كيخسرو ابن قليج ارسلان حسبما تقدم ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة (ثم دخلت سنة ثمان وست مائة) في هذه السنة قبض الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل على عزالدين اسامة صاحب قلعتى كوكب وعجلون بامر ابيه الملك العادل وحبسه في الكرك الى ان مات بهما وحاصر القلعتين المذكورتين وتسلمهما من غلمان اسامة وامر الملك العادل بتخريب كوكب وتعفية اثرها فخربت وبقيت خرابا وابقى عجلون وانقرضت الصلاحية بهذا اسامة وملك الملك المعظم بلاد جهاركس وهى بانياس وما معهما لاخيه شقيقه الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن الملك العادل واعطى صرخد مملوكه عزالدين ايبك المعظمى (وفي هذه السنة) عاد الملك العادل الى الشام واعطى ولده الملك المظفر غازى الرها مع ميافارقين (وفيها) ارسل الملك الظاهر القاضى بهاء الدين بن شداد الى الملك العادل فاستعطف خاطره وخطب ابنته ضيفة خاتون ابنة الملك العادل فزوجها من الملك الظاهر وزال ماكان بينهما من الاحن (وفيها) اظهر الكيا جلال الدين حسن صاحب الالموت وهو من ولد ابن الصباح شعار الاسلام وكتب به الى جميع قلاع الاسماعيلية بالعجم والشام فاقيمت فيها شعار الاسلام (وفيها توفى) ابو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعي بمدينة الموصل وكان اماما فاضلا وكان حسن الاخلاق (وفيها) توفى القاضى السعيد المعروف بابن سنا الملك وهو هبة الله بن جعفر بن سنا الملك السعدى الشاعر المشهور المصرى احد الفضلا الرؤسا صاحب النظم الفائق وكان كثير التنعم وافر السعادة محظوظا من الدنيا مدح تورانشاه اخا السلطان صلاح الدين بقصيدة مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم

فهجن بعض الفضلا هذا المطلع وعابوه ومن شعره ايضا

لا الغصن يحكيك ولا الجوذر * حسنك مما كثروا اكثر

ياباسما أهدى لثانغره * عقدا ولكن كله جوهر

قال لى اللاحى اما تستمع * فقلت للاحى اما تبصر

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة) في هذه السنة في المحرم عقد الملك الظاهر على ضيفة خاتون بنت الملك العادل وكان المهر خمسين الف دينار وتوجهت من دمشق في المحرم الى حلب فاحتفل الملك الظاهر لملتقاها وقدم لها اشياء كثيرة

في شعبان ملك خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش مدينة غزنة واعمالها
واخذها من يلدز مملوك شهاب الدين الغوري فهرب يلدز الى لهاوور
من الهند واستولى عليها ثم سار يلدز عن لهاوور واستولى على بعض بلاد
الهند الداخلة تحت حكم قطب الدين ايبك خشداش يلدز المذكور فجرى
بينه وبين عسكر قطب الدين ايبك مصاف فقتل فيه يلدز وكان يلدز حسن
السيرة في الرعية كثير الاحسان اليهم (وفيها) توفي الوجيه المبارك ابن ابي
الازهر سعيد بن الدهان النحوي الضرير وكان فاضلا قرأ على ابن الانباري
وغيره وكان حنبليا فصار حنفيا ثم صار شافعيا فقال فيه ابو البركات
زيد التكريتي

الا مبلغ عني الوجيه رسالة * وان كان لا تجدي اليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقته اذ اعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تدينا * ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل انت لا شك صائر * الى مالك فافطن لما انا قائل

(ثم دخلت سنة ثلث عشرة وست مائة)

(ذكر وفاة الملك الظاهر غازي ابن السلطان)
(صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب حلب)

ولما كانت صبيحة يوم السبت وهو الخامس والعشرون من جمادى الاولى
من هذه السنة ابتدأ بالملك الظاهر المذكور حمى حادة ولما اشتد مرضه
احضر القضاة والاكابر وكتب نسخة يمين ان يكون الملك بعده لولده الصغير
الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين احمد بن غازي
وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين
وحلف الامراء والاكابر على ذلك وجعل الحكم في الاموال والقلاع الى
شهاب الدين طغريل الخادم واعتقل به جميع امور الدولة وفي الثالث عشر
من جمادى الآخرة اقطع الملك الظافر خضر المعروف بالمشمر كفر سودا واخرج
من حلب في ليلته بالتوكيل واخرج علم الدين قيصر مملوك الملك الظاهر الى حارم
نائبا وفي خامس عشر جمادى الآخرة اشتد مرض الملك الظاهر ومنع الناس
الدخول اليه وتوفي في ليلة الثلثا العشرين من جمادى الآخرة وكان مولده بمصر
في نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمس مائة فكان عمره اربعا واربعين سنة
وشهورا وكانت مدة ملكه لحلب من حين وهبها له ابوه احدى وثلثين سنة
وكان فيه بطش واقدام على سفك الدماء ثم اقصر عنه وهو الذي جمع شمل

رموز واشارات قدم الجزولي المذكور الى ديار مصر علي ابن بري النحوي ثم عاد الى الغرب والجزولي بضم الجيم منسوب الى جزولة وهي بطن من البربر ويقال لها كزولة ايضا وشرح مقدمته في مجلد كبير اتى فيه بغرائب وفوائد (ثم دخلت سنة احدى عشر وستمائة) في هذه السنة توفي دلدرم بن ياروق صاحب تل باشر وولي تل باشر بعده ابنه فتح الدين (وفيها) توفي الشيخ علي بن ابي بكر الهروي وله التربة المعروفة شمالي حلب وكان عارفا بانواع الحيل والشعبذة والسيماوية تقدم عند الملك الظاهر غازي صاحب حلب وله اشعار كثيرة وتغرب في البلاد ودار غالب المعمور (وفيها) اسرت التركمان الملك الاشكري وهو قاتل غياث الدين كيخسرو فحمل الى ابنه كيكاووس ابن كيخسرو فاراد قتله فبذل له في نفسه اموالا عظيمة وسلم الى كيكاووس قلاعا و بلادا لم يملكها المسلمون قط (وفيها) عاد الملك العادل من الشام الى مصر (وفيها) توفي الركن عبد السلام ابن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي ببغداد ولي عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة اعتقل قبل موته واظهرت كتبه وفيها الكفريات مثل مخاطبة زحل وغيره بالالهية واحرقت ثم شفع فيه ابوه فافرج عنه وعاد الى اعماله (وفيها) توفي في شوال عبد العزيز ابن محمود بن الاخضر وله سبع وثمانون سنة وهو من فضلاء المحدثين (ثم دخلت سنة اثنتي عشر وستمائة)

(ذكر استيلاء الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل على اليمن)

قد تقدم ذكر استيلاء سليمان ابن سعد الدين شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب في سنة تسع وتسعين وخمس مائة على اليمن وانه ملأها ظلما وجورا وانه اطرح زوجته التي ملكته فلما جاءت هذه السنة بعث الملك الكامل ابن الملك العادل ابنه الملك المسعود يوسف المعروف باقسيس الى اليمن ومعه جيش فاستولى الملك المسعود على اليمن وظفر بسليمان المذكور صاحب اليمن و بعث به معتقلا الى مصر فاجرى له الملك الكامل مايقوم به ولم يزل سليمان المذكور مقيما بالقاهرة الى سنة سبع واربعين وستمائة فخرج الى المنصورة غازيا فقتل شهيدا (وفي هذه السنة) توفي الامير علي ابن الامام الناصر ووجد عليه الخليفة وجدا عظيما واكثر الشعراء من المراثي فيه (وفي هذه السنة) تجمعت العساكر من بغداد وغيرها وقصدوا منكلي صاحب همذان واصفهان والري وما بينهما من البلاد فانهزم وقتل في ساوه وتولى موضعه اغلمش احد المماليك البهلوانية ايضا (وفيها)

واستمر الحال كذلك اربعة اشهر وارسل الملك العادل العساكر التي عنده الى عند ابنه الملك الكامل فوصلت اليه اولا فاولا ولما اجتمعت العساكر عند الملك الكامل اخذ في قتال الفرنج ودفعهم عن دمياط

(ذكر وفاة الملك القاهر صاحب الموصل)

في هذه السنة توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وكانت وفاته لثلاث بقين من ربيع الاول وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة اشهر وانقرض بموته ملك البيت الاتابكي وخلف ولدين اكبرهما اسمه ارسلان شاه وكان عمره حينئذ نحو عشر سنين فاوصى بالملك له وان يقوم بتدبير مملكته بدر الدين لولو فنصبه بدر الدين لولو في المملكة وجعل الخطبة والسكة باسمه وقام لولو بتدبير المملكة احسن قيام

(ذكر قصد كيكاوس بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حلب)

ولما مات الملك الظاهر صاحب حلب واجلس ابنه العزيز في المملكة وكان طفلا طمع صاحب بلاد الروم كيكاوس في الاستيلاء على حلب فاستدعى الملك الافضل صاحب سميساط واتفق معه كيكاوس ان يفتح حلب وبلادها ويسلمها الى الملك الافضل ثم يفتح البلاد الشرقية التي بيد الملك الاشرف ابن الملك العادل ويتسلمها كيكاوس وتحالفا على ذلك وسار كيكاوس الى جهة حلب ومعه الملك الافضل ووصلا الى رعبان واستولى عليها كيكاووس وسلمها الى الملك الافضل فمالت اليه قلوب اهل البلاد لذلك ثم سار الى تل باشر وبها ابن دلدرم ففتحها ولم يسلمها الى الملك الافضل واخذها كيكاوس لنفسه فنفر خاطر الملك الافضل وخواطر اهل البلاد بسبب ذلك ووصل الملك الاشرف ابن الملك العادل الى حلب لدفع كيكاووس عن البلاد ووصل اليه بها الامير مانع ابن حديثة امير العرب في جمع عظيم وكان قد سار كيكاوس الى منبج وتسلمها لنفسه ايضا وسار الملك الاشرف بالجموع التي معه ونزل وادي بزاعا واتقع بعض عسكره مع مقدمة عسكر كيكاووس فانهزمت مقدمة عسكر كيكاوس واخذ من عسكر كيكاوس عدة اسرى فارسلوا الى حلب ودقت البشائر بها ولما بلغ ذلك كيكاوس وهو بمنبج ولى منهزما مرعوبا وتبعه الملك الاشرف يتخطف اطراف عسكره ثم حاصر الاشرف تل باشر واسترجعها وكذلك استرجع رعبان وغيرها وتوجه الملك الافضل الى سميساط ولم يتحرك بعدها في طلب ملك الى ان مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى وعاد الملك الاشرف الى

الاتابك الناصري الصلاحي وكان ذكيا فطنا وترتب الملك العزيز في المملكة ورجع الامور كلها الى شهاب الدين طغريل الخادم فدبر الامور واحسن السياسة وكان عمر الملك العزيز لما قرر في المملكة سنتين واشهرا وعمر اخيه الملك الصالح نحو اثنتي عشرة سنة (وفي هذه السنة) توفي تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندي وكان اماما في النحو واللغة وله الاسناد العالي في الحديث وكان ذا فنون كثيرة في انواع العلم وهو بغدادي المولد والمنشأ وانتقل واقام بدمشق (ثم دخلت سنة اربع عشرة وست مائة) والسلطان الملك العادل بالديار المصرية وقد اجتمعت الفرنج من داخل البحر ووصلوا الى عكا في جمع عظيم ولما بلغ الملك العادل ذلك خرج بعساكر مصر وسار حتى نزل على بانياس فسارت الفرنج اليه ولم يكن معه من العساكر ما يقدر به على مقاتلتهم فاندفع قدامهم الى عقبة افيق فاغاروا على بلاد المسلمين ووصلت غارتهم الى نوى من بلد السواد ونهبوا ما بين بيسان وبانياس وبثوا سراياهم فقتلوا وغنموا من المسلمين ما يفوت الحصر وعادوا الى مرج عكا وكان مدة هذا النهب ما بين منتصف رمضان وعيد الفطر من هذه السنة واقام الملك العادل بمرج الصفر وسارت الفرنج وحصروا حصن الطور وهو الذي بناه الملك العادل على ما تقدم ذكره ثم رحلوا عنه وانقضت السنة والفرنج مجموعهم في عكا

(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة سار خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل وغيرها فملكها فمنها ساوه وقزوين وزنجان وابهر وهمذان واصفهان وقم وقاشان ودخل اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران في طاعة خوارزم شاه وخطب له ببلاده ثم عزم خوارزم شاه على المسير الى بغداد للاستيلاء عليها وقدم بعض العسكر بين يديه وسار خوارزم شاه في اثرهم عن همذان يومين او ثلاثة فسقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله فهلكت دوابهم وخاف من حركة التتر على بلاده فولى على البلاد التي استولى عليها وعاد الى خراسان وقطع خطبة الخليفة الامام الناصر من بلاد خراسان في سنة خمس عشرة وست مائة وكذلك قطعت خطبة الخليفة من بلاد ما وراء النهر وبقيت خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة منها فان اهل هذه البلاد كانوا لا يلتزمون بمثل هذا بل يخطبون لمن يختارون ويفعلون نحو ذلك (ثم دخلت سنة خمس عشرة وست مائة) والملك العادل بمرج الصفر وجموع الفرنج بمرج عكا ثم ساروا منها الى الديار المصرية ونزلوا على دمياط وسار الملك الكامل ابن الملك العادل من مصر ونزل قبالتهم

بعض اثقال المسلمين وكان في العسكر عماد الدين احمد بن سيف الدين علي
ابن احمد المشطوب وكان مقدما عظيما في الاكراد الهكارية فعزم على خلع
الملك الكامل من السلطنة وحصل في العسكر اختلاف كثير حتى عزم الملك
الكامل على مفارقة البلاد واللحوق باليمن وبلغ الملك المعظم عيسى بن العادل
ذلك فرحل من الشام ووصل الى اخيه الملك الكامل واخرج عماد الدين ابن
المشطوب ونفاه من العسكر الى الشام فانتظم امر السلطان الملك الكامل وقوي
مضايقة الفرنج لدمياط وضعف اهلها بسبب ما ذكرناه من الفتنة التي
حصلت في عسكر الملك الكامل من ابن المشطوب

(ذكر استيلاء عماد الدين زنكي بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين)
(زنكي ابن اقسنقر على بعض القلاع المضافة الى مملكة الموصل)

وقد تقدم في سنة سبع وستمائة ان ارسلان شاه عند وفاته جعل مملكة الموصل
لولده القاهر مسعود واعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكي المذكور
قلعتي العقر وشوش فلما مات اخوه القاهر واجلس ولده ارسلان شاه
ابن القاهر في المملكة وكان به قروح وامراض تحرك عمه عماد الدين زنكي
ابن ارسلان شاه وقصد العمادية واستولى عليها ثم استولى على قلاع الهكارية
والزوزان فاستنجد بدر الدين لولو المستولي على ملك الموصل وتدبير ارسلان
شاه بالملك الاشرف ابن الملك العادل ودخل في طاعته فانجده الملك الاشرف بعسكر
وساروا الى زنكي ابن ارسلان شاه فهزموه وكان زنكي المذكور متزوج بنت
مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل وام البنت ربيعة خاتون بنت ايوب
اخت السلطان الملك العادل زوجة مظفر الدين فكان مظفر الدين لا يترك ممكنا
في نجدة صهره زنكي المذكور وبالغ في عداوة بدر الدين لولو لاجل صهره
(وفي هذه السنة) توفي علي بن نصر بن هرون النحوي الحلي الملقب
بالحجة قرأ على ابن الخشاب وغيره (وفيها) توفي محمد ويقال احمد بن محمد
ابن محمد العميدي الفقيه الحنفي السمرقندي الملقب ركن الدين كان اماما في فن
الخلاف خصوصا الجدل وله فيه طريقة مشهورة وصنف الارشاد واعتنى
بشرح طريقته جماعة منهم القاضي شمس الدين احمد بن خليل بن سعادة
الشافعي الخويي قاضي دمشق وبدر الدين المراغي المعروف بالطويل واشتغل
على العميدي خلق كثير وانتفعوا به منهم نظام الدين احمد بن محمود بن احمد
الحنفي المعروف بالحصيري ونظام الدين بن الحصيري المذكور قتله التتر بنيسابور
عند اول خروجهم في سنة ست عشرة وستمائة ولم يقع لنا هذه السنة اعني

حلب و قد بلغه وفاة ابيه

(ذكر وفاة السلطان الملك العادل ابي بكر بن ايوب)

كان الملك العادل نازلا بمرج الصفر وقد ارسل العساكر الى ولده الملك الكامل بالديار المصرية ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر الى عالقين وهي عند عقبة افيق فنزل بها ومرض واشتد مرضه ثم توفي هناك الى رحمة الله تعالى سابع جمادي الآخرة من هذه السنة اعني سنة خمس عشرة وستمائة وكان مولده سنة اربعين وخمس مائة وكان عمره خمسا وسبعين سنة وكانت مدة ملكه لدمشق ثلثا وعشرين سنة وكانت مدة ملكه لمصر نحو تسع عشرة سنة وكان الملك العادل رحمه الله تعالى حازما متيقظا غزير العقل سديد الاراء ذامكر وخديعة وصبورا حليما يسمع مايكره ويغضى عنه واتته السعادة واتسع ملكه وكثرت اولاده ورأى فيهم مايحب ولم يراحد من الملوك الذين اشتهرت اخبارهم في اولاده من الملك والظفر مارأه الملك العادل في اولاده ولقد اجاد شرف الدين بن عنين في قصيدته التي مدح بها الملك العادل التي مطلعها

ماذا على طيف الاحبة لوسرى * وعليهم لو سامحوني بالكرى

ومنها

العادل الملك الذي اسماؤه * في كل ناحية تشرف منبرا
ما في ابي بكر لمعتقد الهدى * شك يريب بأنه خير الورى
بين الملوك الغابرين وبينه * في الفضل ما بين الثريا والثرى
نسخت خلائقه الحميدة ماأتى * في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا

ومنها في وصف اولاده

لاتسمعن حديث ملك غيره * يروى فكل الصيد في جوف الفرا
وله الملوك بكل ارض منهم * ملك يجر الى الاعادي عسكرا
من كل وضاح الجبين تخاله * بدرا فان شهد الوغى فغضنفرا

وخلف الملك العادل ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات ولما توفي الملك العادل لم يكن عنده احد من اولاده حاضرا فحضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى وكان بنابلس بعد وفاته وكتم موته واخذه ميتا في محفة وعاد به الى دمشق واحتوى الملك المعظم على جميع ما كان مع ابيه من الجواهر والسلاح والخيول وغيرذلك ولما وصل دمشق حلف جميع الناس له واظهر موت ابيه وجلس للعزاو كتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم بموته وكان في خزانة الملك العادل لما توفي سبع مائة الف دينار عينا ولما بلغ الملك الكامل موت ابيه وهو في قتال الفرنج عظم عليه ذلك جدا واختلفت العساكر عليه فتاخر عن منزلته وطمعت الفرنج ونهبت

(ذكر ظهور التتر)

وفى هذه السنة كان ظهور التتر وقتلهم فى المسلمين ولم تنكب المسلمون باعظم مما نكبوا فى هذه السنة فمن ذلك ماكان من تمكن الفرنج بملكهم دمياط وقتلهم اهلها واسرهم ومنه المصيبة الكبرى وهو ظهور التتر وتملكهم فى المدة القريبة اكثر بلاد الاسلام وسفك دمائهم وسبى حريمهم وذراريهم ولم تفجع المسلمون منذ ظهر دين الاسلام بمثل هذه الفجيعة (وفى هذه السنة) خرجوا على علاء الدين محمد خوارزم شاه ابن تكش وعبروا نهر سيحون ومعهم ملكهم جنكز خان لعنه الله تعالى فاستولوا على بخارا رابع ذى الحجة من هذه السنة بالامان وعصت عليهم القلعة فحاصروها وملكوها وقتلوا كل من بها ثم قتلوا اهل البلد عن آخرهم (من تاريخ ظهور التتر) تاليف محمد بن احمد بن على المنشى النسوى كاتب انشاء جلال الدين قال ان مملكة الصين مملكة متسعة دورها ستة اشهر وقد انقسمت من قديم الزمان ستة اجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى امره خان وهو الملك بلغتهم نيابة عن خانهم الاعظم وكان خانهم الكبير الذى عاصر خوارزم شاه محمد بن تكش يقال له الطون خان وقد توارث الخانية كابرا عن كابر بل كافرا عن كافر ومن عادة خانهم الاعظم الاقامة بطوغاج وهى واسطة الصين وكان من زمرتهم فى عصر المذكور شخص يسمى دوشى خان وهو احد الخانات المتولى احد الاجزاء الستة وكان مزوجا بعمة جنكزخان اللعين وقبيلة جنكزخان اللعين هى المعروفة بقبيلة التمرجى سكان البرارى ومشتاهم موضع يسمى ارغون وهم المشهورون بين التتر بالشر والغدر ولم تزل ملوك الصين ارخاء عنانهم لطغيانهم فاتفق ان دوشى خان زوج عمة جنكزخان مات فحضر جنكزخان الى عمته زائرا ومعزيا وكان الخانان المجاوران لعمل دوشى خان المذكور يقال لاحدهما كشلو خان وللآخر فلان خان فكانا بابان مايتاخم عمل دوشى خان المذكور المتوفى من الجهتين فارسلت امرأة دوشى خان الى كشلى خان والخان الآخر تنعى اليهما زوجها دوشى خان وانه لم يخلف ولدا وانه كان حسن الجوار لهما وان ابن اخيها جنكزخان ان اقيم مقامه يحذو حذو المتوفى فى معاضدتهما فاجابها الخانان المذكوران الى ذلك وتولى جنكزخان ماكان لدوشى خان المتوفى من الامور بمعاضدة الخانين المذكورين فلما انهى الامر الى الخان الاعظم الطون خان انكر تولية جنكزخان واستحقره وانكر على الخانين اللذين فعلا ذلك فلما جرى ذلك خلعوا طاعة الطون خان وانضم اليهم كل من هو من عشائرهم ثم اقتتلوا مع الطون خان فولى منهزما وتمكنوا من بلاده

العميدي الى ماذا (ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة) والملك الاشرف مقيم بظاهر حلب يدبر امر جندها واقطاعاتها والملك الكامل بمصر في مقابلة الفرنج وهم محدقون محاصرون لثغر دمياط وكتب الملك الكامل متواصلة الى اخوته في طلب النجدة

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل)

وفي هذه السنة توفي نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر مسعود بن ارسلان شاه ابن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر وكان لا يزال مريضا فاقام بدر الدين لولو في الملك بعده اخاه ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر وكان عمره يومئذ نحو ثلث سنين وهو آخر من خطب له من بيت اتابك بالسلطنة وكان ابوه القاهر آخر من كان له استقلال بالملك منهم ثم ان هذا الصبي مات بعد مدة واستقل بدر الدين لولو بالملك واتته السعادة وطالت مدة ملكه الى ان توفي بالموصل بعد اخذ التتر بغداد على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة صاحب سنجار)

وقد تقدم ذكر ولايته في سنة اربع وتسعين وخمس مائة) وفي هذه السنة توفي قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار فملك سنجار بعده ولده عماد الدين شاهنشاه بن محمد وكان قطب الدين حسن السيرة في رعيته وبقي عماد الدين شاهنشاه في الملك شهورا ثم وثب عليه اخوه محمود ابن محمد فذبحه وملك سنجار وهذا محمود هو آخر من ملك سنجار من البيت الاتابكي

(ذكر تخريب القدس)

وفي هذه السنة ارسل الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الحجارين والنقابين الى القدس فخرب اسواره وكانت قد حصنت الى الغاية فانتقل منه عالم عظيم وكان سبب ذلك ان الملك المعظم لما رأى قوة الفرنج وتغلبهم على دمياط خشي ان يقصدوا القدس فلا يقدر على منعهم فخربه لذلك

(ذكر استيلاء الفرنج على دمياط)

ولم تزل الفرنج يضايقون دمياط حتى هجموها في هذه السنة عاشر رمضان وقتلوا واسروا من بها وجعلوا الجامع كنيسة واشتد طمع الفرنج في الديار المصرية وحين اخذت دمياط ابتنى الملك الكامل مدينة وسماها المنصورة عند مفترق البحرين الآخذ احدهما الى دمياط والآخر الى اشموم طناح ونزل فيها بعساكره

ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وقد تقدم ذكر ولايته في سنة سبع وست مائة وكان قد تعلق به مرض السل واشتد مرضه ومات فملك بعده اخوه كيقباذ بن كيخسرو وكان كيقباذ محبوسا قد حبسه اخوه كيكاووس فاخرجه الجند وملكوه

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة توفي ابو البقا عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري الضرير النحوي الحاسب اللغوي وكان حنبليا صحب ابن الخشاب النحوي وغيره (وفيها) توفي ابو الحسن علي بن القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي الحافظ بن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فاكثر وعاد الى بغداد وكان قد وقع على القفل الذي هو فيه في الطريق حرامية وجرحوا ابن عساكر المذكور ووصل على تلك الحال الى بغداد وبقي بها حتى توفي في هذه السنة في جمادى الاولى رحمه الله (ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة) والفرنج متملكون على دمياط والسلطان الملك الكامل مستقر في المنصورة مرابط للجهاد والملك الاشرف في حران وكان الملك الاشرف قد اقطع عماد الدين احمد بن سيف الدين علي بن احمد المشطوب رأس عين فخرج على الملك الاشرف وجمع ابن المشطوب المذكور جمعا وحسن لصاحب سنجار محمود بن قطب الدين الخروج عن طاعة الاشرف ايضا فخرج بدر الدين اولو من الموصل وحصر ابن المشطوب بتل اعفر واخذه بالامان ثم قبض عليه واعلم الملك الاشرف بذلك فسر به غاية السرور واستمر عماد الدين احمد بن سيف الدين بن المشطوب في الحبس ثم سار الملك الاشرف من حران واستولى على دنيسر وقصد سنجار فاتته رسل صاحبها محمود بن قطب الدين يسأل ان يعطى الرقة عوض سنجار ليسلم سنجار الى الملك الاشرف فاجابه الملك الاشرف الى ذلك وتسلم سنجار في مستهل جمادى الاولى وسلم اليه الرقة وهذا كان من سعادة الملك الاشرف فان اباه الملك العادل نازل سنجار في جموع عظيمة وطال عليها مقامه فلم يملكها وملكها ابنه الملك الاشرف باهون سعي وبعد ان فرغ الملك الاشرف من سنجار سار الى الموصل ووصل اليها في تاسع عشر جمادى الاولى وكان يوم وصوله اليها يوما مشهودا وكتب الى مظفر الدين صاحب اربل يأمره ان يعيد صهره عماد الدين زنكي ابن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي على بدر الدين اولو القلاع التي استولى عليها فاعادها جميعها وترك في يده منها العمادية واستقر الصلح بين الملك الاشرف وبين مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل وعماد الدين زنكي

ثم ارسل الطون خان وطلب منهم الصلح وان يبقوه على بعض البلاد فأجابوه الى ذلك وبقى جنكزخان والخانان الآخران مشتركين فى الامر فاتفق موت الخان الواحد واستقل بالامر جنكزخان وكشلوخان ثم مات كشلوخان وقام ابنه ولقب بكشلو خان ايضا مقامه فاستضعف جنكزخان جانب كشلوخان بن كشلو خان لصغره وحداثة سنه واخل بالقواعد التى كانت مقررة بينه وبين ابيه فانفرد كشلوخان عن جنكزخان وفارقه لذلك ووقع بينهما الحرب فجرد جنكزخان جيشا مع ولده دوشى خان بن جنكزخان فسار دوشى خان واقتتل مع كشلوخان فانتصر دوشى خان وانهزم كشلو خان وتبعه دوشى خان وقتله وعاد الى جنكزخان برأسه فانفرد جنكزخان بالمملكة ثم ان جنكزخان راسل خوارزم شاه محمد ابن تكش فى الصلح فلم ينتظم فجمع جنكزخان عساكره والتقى مع خوارزم شاه محمد فانهزم خوارزم شاه فاستولى جنكزخان على بلاد ماوراء النهر ثم تبع خوارزم شاه محمدا وهو هارب بين يديه حتى دخل بحر طبرستان ثم استولى جنكزخان على البلاد ثم كان من خوارزم شاه ومن جنكزخان ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر توجه الملك المظفر محمود بن صاحب حماة الى مصر وموت والدته)

فى هذه السنة حلف الملك المنصور صاحب حماة الناس لولده الملك المظفر محمود وجعله ولى عهده وجرد معه عسكرا والطواشى مرشد المنصورى نجدة الى الملك الكامل بديار مصر فسار اليه ولما وصل الى الملك الكامل اكرمه وانزله فى ميمنة عسكره وهى منزلة ابيه وجده فى الايام الناصرية الصلاحية وبعد توجه الملك المظفر ماتت والدته ملكة خاتون بنت الملك العادل قال القاضى جمال الدين مؤلف مفرج الكروب وحضرت العزاء وعمرى اثنتا عشرة سنة ورأيت الملك المنصور وهو لابس الحداد على زوجته المذكورة وهو ثوب ازرق وعمامة زرقا وانشدته الشعراء المراثى فمن ذلك قصيدة قالها حسام الدين خشترين وهو جندى كردى مطلعها

الطرف فى لجة والقلب فى سعر * له دخان زفير طار بالشرر

ومنها فى لبس الملك المنصور الحداد عليها

ماكنت اعلم ان الشمس قد غربت * حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

اوكان من مات يفدى قبلها افدى * ام المظفر آلاف من البشر

(ذكر وفاة كيكاووس وملك اخيه كيقباذ)

فى هذه السنة توفى الملك الغالب عز الدين كيكاووس بن كيخسرو بن قليج

واصعدوه الى القلعة ثم ركب من القلعة بالسناجق السلطانية وكان عمره اذ ذاك سبع عشرة سنة لان مولده سنة ست مائة ولما استقر الملك الناصر فى ملك حماة وبلغ اخاه الملك المظفر ذلك استأذن الملك الكامل فى المضى الى حماة ظنا منه انه اذا وصل اليها يسلمونها اليه بحكم الايمان التى كانت له فى اعناقهم فاعطاه الملك الكامل الدستور وسار الملك المظفر حتى وصل الى الغور فوجد خاله الملك المعظم صاحب دمشق هناك فاخبره ان اخاه الملك الناصر قد ملك حماة ويخشى عليه انه ان وصل اليه يعتقله فسار الملك المظفر الى دمشق واقام بداره المعروفة بالزنجيلى وكتب الملك المعظم والملك المظفر الى اكابر حماة فى تسليمها الى الملك المظفر فلم يحصل منهم اجابة فعاد الملك المظفر الى مصر واقام فى خدمة الملك الكامل واقطعه اقطاعا بمصر الى ان كان ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر استيلاء الملك المظفر شهاب الدين)
(غازى ابن الملك العادل على خلاط وميافارقين)

كان قد استقر بيد الملك المظفر المذكور الرها وسروج وكانت ميافارقين وخلاط بيد الملك الاشرف ولم يكن للملك الاشرف ولد فجعل اخاه الملك المظفر غازى ولى عهده واعطاه ميافارقين وخلاط وبلادها وهى اقليم عظيم يضاهى ديار مصر واخذ الملك الاشرف منه الرها وسروج (وفى هذه السنة) توفى بالموصل الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن حمويه شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان فقيها فاضلا من بيت كبير بخراسان وخلف اربعة بنين عرفوا باولاد الشيخ تقدموا عند السلطان الملك الكامل وسنذكر بعض اخبارهم فى موضعها ان شاء الله تعالى وكان الشيخ صدر الدين المذكور قد توجه رسولا الى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ذات هناك

(ذكر مسير التتر الى خوارزم شاه وانهزامه وموته)

لما ملك التتر سمرقند ارسل جنكزخان لعنه الله عشرين الف فارس فى اثر خوارزم شاه محمد بن تكش وهذه الطايفة يسميها التتر المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان فوصلوا الى موضع يقال له ٣ بنج آو وعبروا هناك نهر جيحون وصاروا مع ٣ نـ بنج اف
خوارزم شاه فى بر واحد فلم يشعر خوارزم شاه وعسكره الا والتتر معه فتفرق عسكره وذهبوا ايدى سبا ورحل خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش لا يلوى على شئ فى نفر من خواصه ووصل الى نيسابور والتتر فى اثره فلما قربوا منه رحل خوارزم شاه الى مازندران والتتر فى اثره لا يلتفتون الى شئ من البلاد ولا الى غير ذلك بل قصدهم ادراك خوارزم شاه وسار من مازندران الى مرسى

ابن ارسلان شاه صاحب العقر وشوش والعمادية وكذلك استقر الصلح بينهم وبين صاحب الموصل بدر الدين لولو ولما استقر ذلك رحل الملك الاشرف عن الموصل ثاني شهر رمضان من هذه السنة وعاد الى سنجار وسلم بدر الدين لولو قلعة تلعفر الى الملك الاشرف ونقل الملك الاشرف ابن المشطوب من حبس الموصل وحطه مقيدا في جب بمدينة حران حتى مات سنة تسع عشرة وستمائة ولقي بغيه وخروجه مرة بعد اخرى

(ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حماة)

وفي هذه السنة توفي الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب صاحب حماة بقلعة حماة في ذي القعدة وكانت مدة مرضه احد وعشرين يوما بحمى حادة وورم دماغه وكان شجاعا عالما يحب العلماء ورد اليه منهم جماعة كثيرة مثل الشيخ سيف الدين علي الآمدي وكان في خدمة الملك المنصور قريب ما ئتي متعمم من النحاة والفقهاء والمشتغلين بغير ذلك وصنف الملك المنصور عدة مصنفات مثل المضمار في التاريخ وطبقات الشعراء وكان معتنيا بعمارة بلده والنظر في مصالحه وهو الذي بنى الجسر الذي هو بظاهر حماة خارج باب حمص واستقر له بعد وفاة والده من البلاد حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم ولما فتح بارين وكانت بيد ابراهيم بن المقدم الزمه عمه السلطان الملك العادل ان يردها عليه فاجاب الى تسليم منبج وقلعة نجم عوضا عنها وهما خير من بارين بكثير اختار ذلك لقرب بارين من بلده وجرت له حروب مع الفرنج وانتصر فيها وكان ينظم الشعر

(ذكر استيلاء الملك الناصر ابن الملك المنصور على حماة)

ولما توفي الملك المنصور كان ولده الملك المظفر المعهود اليه بالسلطنة عند خاله الملك الكامل بديار مصر في مقابلة الفرنج وكان ولده الآخر الملك الناصر صلاح الدين قليج ارسلان عند خاله الآخر الملك المعظم صاحب دمشق وهو في الساحل في الجهاد وقد فتح قيسارية وهدمها وسار الى عثليث ونازلها وكان الوزير بحماة زين الدين ابن فريج فاتفق هو والكبراء على استدعاء الملك الناصر لعلمهم بلين عريكته وشدة بأس الملك المظفر فارسلوا الى الملك الناصر وهو مع الملك المعظم كما ذكرنا فمنعه الملك المعظم من التوجه الا بتقرير مال عليه يحمله الى الملك المعظم في كل سنة قيل ان مبلغه اربع مائة الف درهم فلما اجاب الملك الناصر الى ذلك وحلف عليه اطلقه الملك المعظم فقدم الملك الناصر الى حماة واجتمع بالوزير زين الدين بن فريج والجماعة الذين كاتبوه فاستحلفوه على ما ارادوا

(واصعدوه)

في جيوشه وقد ضعف جلال الدين بما نقص من جيوشه بسبب بغراق فلم يكن له بجنكز خان قدرة فترك جلال الدين البلاد وسار الى الهند وتبعه جنكز خان له حتى ادركه على ماء عظيم وهو نهر السند ولم يلحق جلال الدين ومن معه ان يعبروا النهر فاضطروا الى القتال وجرى بينهم وبين جنكز خان قتال عظيم لم يسمع بمثله وصبر الفريقان ثم تأخر كل منهما عن صاحبه فعبر جلال الدين ذلك النهر الى جهة الهند وعاد جنكز خان فاستولى على غزنة وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم وكان قد سار من التتر فرقة عظيمة الى جهة القفجاق واقتتلوا معهم فهزمهم التتر واستولوا على مدينة القفجاق العظمى وتسمى سوادق وكذلك فعلوا بقوم يقال لهم اللكزي بلاد هم قرب دربند شروان ثم سار التتر الى الروس وانضم الى الروس القفجاق وجرى بينهم وبين التتر قتال عظيم انتصر فيه التتر عليهم وشردوهم قتلا وهربا في البلاد (وفيها) في شوال توفي رضي الدين المؤيد ابن محمد بن علي الطوسي الاصل النيسابوري الدار المحدث وكان اعلى المتأخرين اسنادا سمع كتاب مسلم من الفقيه ابي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي وكان الفراوي فاضلا قرأ الاصول على امام الحرمين وسمع الفراوي المذكور صحيح مسلم على عبد[٣] الغافر الفارسي وكان عبد الغافر اماما في الحديث صنف شرح مسلم وغيره وتوفي محمد بن الفضل الفراوي سنة ثلاثين وخمسمائة وتوفي عبد الغافر في سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت ولادة رضي الدين المؤيد المذكور في سنة اربع وعشرين وخمسمائة ظنا (ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة)

[٣] نسخة الغفار

(ذكر عود دمياط الى المسلمين)

وفي هذه السنة قوي طمع الفرنج المتملكين دمياط في ملك الديار المصرية وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر ووصلوا الى المنصورة واشتد القتال بين الفريقين برا وبحرا وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخوته واهل بيته يستحثهم على انجاده فسار الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الى اخيه الملك الاشرف وهو ببلاده الشرقية واستنجده وطلب منه المسير الى اخيهما الملك الكامل فجمع الملك الاشرف عساكره واستصحب عسكر حلب وكذلك استصحب معه الملك الناصر قليج ارسلان ابن الملك المنصور صاحب حماة وكان الملك الناصر خائفا من السلطان الملك الكامل ان ينتزع حماة منه ويسلمها الى اخيه الملك المظفر فحلف الملك الاشرف للملك الناصر صاحب حماة انه ما يمكن اخاه السلطان الملك الكامل من التعرض اليه فسار معه بعسكر حماة وكذلك سار صحبة الملك الاشرف كل من صاحب بعلبك الملك الامجد

من بحر طبرستان يعرف باسكون وله هناك قلعة فى البحر فعبر هو واصحابه اليها
فوقف التتر على ساحل البحر وايسوا من اللحاق بخوارزم شاه ولما استقر خوارزم
شاه بهذه القلعة توفى فيها وهو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش
ابن ارسلان بن اطسز بن محمد بن انوشتكين غرشه وكانت مدة ملكه احدى
وعشرين سنة وشهورا واتسع ملكه وعظم محله ملك من حد العراق الى
تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان
وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وكان فاضلا عالما بالفقه
والاصول وغيرهما وكان صبورا على التعب وادمان السير وسنذكر شيئا
من اخباره عند ذكر مقتل والده جلال الدين ولما ايس التتر من ادراك خوارزم
شاه عادوا الى مازندران ففتحوها وقتلوا اهلها ثم ساروا الى الرى وهمذان
ففعلوا كذلك من القتل والسبى ثم ملكوا مراغة فى صفر سنة ثمان عشرة
وستمائة ثم ساروا الى حران واستولوا عليها ونازلوا خوارزم وقاتلهم اهلها
مدة اشد قتال ثم فتحوها وكان لها سد فى نهر جيحون ففتحوه وركب خوارزم
الماء فغرقها وفعلوا فى هذه البلاد جميعها من قتل اهلها وسبى ذراريهم وقتل
العلماء والصلحاء والزهاد والعباد وتخريب الجوامع وتحريق المصاحف مالم
يسمع بمثله فى تاريخ قبل الاسلام ولا بعده فان واقعة بخت نصر مع بنى اسرائيل
لاتنسب الى بعض ما فعله هؤلاء فان كل واحدة من المدن التى اخربوها
اعظم من القدس بكثير وكل امة قتلوهم من المسلمين اضعاف بنى اسرائيل
الذين قتلهم بخت نصر ولما فرغ التتر من خراسان عادوا الى ملكهم فجهز
جيشا كثيفا الى غزنة وبها جلال الدين منكبرنى بن علاء الدين محمد خوارزم شاه
المذكور مالكا لها وقد اجتمع اليه جمع كثير من عسكر ابيه قيل كانوا ستين الف مقاتل
وكان الجيش الذى سار اليهم من التتر اثنى عشر الفا فالتقوا مع جلال الدين
واقتتلوا قتالا شديدا وانزل الله نصره على المسلمين وانهزمت التتر وتبعهم المسلمون
يقتلونهم كيف شاؤا ثم ارسل جنكز خان لعنه الله عسكرا اكثر من اول مع
بعض اولاده ووصلوا الى كابل وتصافف معهم المسلمون فانهزم التتر ثانيا
وقتل المسلمون فيهم وغنموا شيئا كثيرا وكان فى عسكر جلال الدين امير كبير
مقدام هو الذى كسر التتر على الحقيقة يقال له بغراق وقع بينه وبين امير كبير
يقال له ملك خان وهو صاحب هراة وله نسب الى خوارزم شاه فتنة بسبب
المكسب قتل فيها اخو بغراق فغضب بغراق وفارق جلال الدين وسار الى
الهند وتبعه ثلاثون الف فارس ولحقه جلال الدين منكبرنى واستعطفه فلم
يرجع فضعف عسكر جلال الدين بسبب ذلك ثم وصل جنكز خان اللعين بنفسه

في الرجوع الى بلادهم فتوجه الملك الاشرف الى الشرق وانتزع الرقة من محمود وقيل اسمه عمر بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي ابن مودود بن عماد الدين زنكي ابن اقسنقر ولقي بغيه على اخيه فانا ذكرنا كيف وثب على اخيه وقتله واخذ سنجار ثم اقام الملك الاشرف بالرقة وورد اليه الملك الناصر صاحب حماة فاقام عنده مدة ثم عاد الى بلده

(ذكر وفاة صاحب آمد)

وفي هذه السنة توفي الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان ابن داود بن سقمان بن ارتق صاحب آمد وحصن كيفا بالقولنج وقام في الملك بعده ولده الملك المسعود وهو الذي انتزع منه الملك الكامل آمد وكان الملك الصالح المذكور قبيح السيرة وقد اورد ابن الاثير وفاته في سنة تسع عشرة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة في جمادى الآخرة خنق قتادة بن ادريس العلوي الحسني امير مكة وعمره نحو تسعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت الى نواحي اليمن وكان حسن السيرة في مبتدأ امره ثم اساء السيرة وجدد المظالم والمكوس وصورة ما جرى له ان قتادة كان مريضا فارسل عسكرا مع اخيه ومع ابنه الحسن بن قتادة للاستيلاء على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم واخذها من صاحبها فوثب الحسن بن قتادة في اثناء الطريق على عمه فقتله وعاد الى ابيه قتادة بمكة فخنقه وكان له اخ نائبا بقلعة ينبع عن ابيه فارسل اليه الحسن فحضر الى مكة فقتله ايضا وارتكب الحسن امرا عظيما قتل عمه واباه واخاه في ايام يسيرة واستقر في ملك مكة وقيل ان قتادة كان يقول الشعر وطولب ان يحضر الى امير الحاج العراقي فامتنع وعوتب من بغداد فاجاب بابيات شعر منها

ولي كف ضرغام اصول ببطشها * واشري بها بين الورى وابيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها * وفي بطنها للمجدبين ربيع
ءاجعلها تحت الرحى ثم ابتغي * خلاصا لها اني اذن لرقيع
وما انا الا المسك في كل بلدة * يضوع واما عندكم فيضيع

(وفيها) توفي جلال الدين الحسن صاحب الالموت ومقدم الاسماعيلية وولي بعده ابنه علاء الدين محمد (ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة)

في هذه السنة استقل بدر الدين لولو بملك الموصل وتوفي الطفل الذي كان قد نصبه في المملكة وهو ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر مسعود بن نور الدين

بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب وصاحب حمص الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذى وسار الملك المعظم عيسى بعسكر دمشق ووصلوا الى الملك الكامل وهو فى قتال الفرنج على المنصورة فركب والتقى اخويه ومن فى صحبتهما من الملوك واكرمهم وقويت نفوس المسلمين وضعفت نفس الفرنج بما شاهدوه من كثرة عساكر الاسلام وتجملهم واشتد القتال بين الفريقين ورسل الملك كامل واخويه مترددة الى الفرنج فى الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقيه وجبله وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين من الساحل ماعدا الكرك والشوبك على ان يجيبوا الى الصلح ويسلموا دمياط الى المسلمين فلم يرض الفرنج بذلك وطلبوا ثلثمائة الف دينار عوضا عن تخريب اسوار القدس فان الملك المعظم عيسى خربها كما تقدم ذكره وقالوا لابد من تسليم الكرك والشوبك وبينما الامر متردد فى الصلح والفرنج ممتنعون من الصلح اذ عبر جماعة من عسكر المسلمين فى بحر المحلة الى الارض التى عليها الفرنج من بر دمياط ففجروا فجرة عظيمة من النيل وكان ذلك فى قوة زيادته والفرنج لاخبرة لهم بامر النيل فركب الماء تلك الارض وصار حايلا بين الفرنج وبين دمياط وانقطع عنهم الميرة والمدد فهلكوا جوعا وبعثوا يطلبون الامان على ان ينزلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويعقدوا مدة للصلح وكان فيهم عدة ملوك كبار نحو عشرين ملكا فاختلفت الاراء بين يدى السلطان الملك الكامل فى امرهم فبعضهم قال لانعطيهم امانا وناخذهم ونتسلم بهم ما بقى بايديهم من الساحل مثل عكا وغيرها ثم اتفق اراؤهم على اجابتهم الى الامان لطول مدة البيكار وتضجر العساكر لانهم كان لهم ثلث سنين وشهور فى القتال معهم فاجابهم الملك الكامل الى ذلك وطلب الفرنج رهينة من الملك الكامل فبعث ابنه الملك الصالح ايوب وعمره يومئذ خمس عشرة سنة الى الفرنج رهينة وحضر من الفرنج رهينة على ذلك ملك عكا ونايب البابا صاحب رومية الكبرى وكندريس وغيرهم من الملوك وكان ذلك سابع رجب من هذه السنة واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين وجلس لهم مجلسا عظيما ووقف بين يديه الملوك من اخوته واهل بيته جميعهم وسلمت دمياط الى المسلمين تاسع عشر رجب من هذه السنة وقد حصنها الفرنج الى غاية مايكون وولاها السلطان الملك الكامل الامير شجاع الدين جلدك التقوى وهو من مماليك الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب وهنت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم ثم سار السلطان الملك الكامل ودخل دمياط ومعه اخوته واهل بيته وكان يوما مشهودا ثم توجه الى القاهرة واذن للملوك

المعظم لصاحب حماة فعظم عليه ذلك واتفق مع أخيه الكامل على الإنكار على الملك المعظم وترحيله فأرسل إليه الملك الكامل ناصح الدين الفارسي فوصل إلى الملك المعظم وهو بسلمية وقال له السلطان يأمرك بالرحيل فقال السمع والطاعة وكان المعظم قد قويت أطماعه على الاستيلاء على حماة فرحل مغضبا على أخويه الكامل والأشرف ورجعت المعرة وسلمية للناصر وكان الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب مقيما عند الملك الكامل بالديار المصرية كما تقدم ذكره وكان الملك الكامل يؤثر تمليكه حماة لكن الملك الأشرف غير مجيب إلى ذلك لاعتناء الناصر الملك صاحب حماة به وجرى بين الكامل والأشرف في ذلك مراجعات كثيرة آخرها أنهما اتفقا على نزع سلمية من يد الناصر قلج أرسلان وتسليمها إلى أخيه الملك المظفر فتسلمها الملك المظفر وأرسل إليها وهو بمصر نائبا من جهته حسام الدين أبا علي بن محمد بن أبي علي الهذباني واستمر بيد الملك الناصر حماة والمعرة وبارين ثم سار الأشرف من مصر واستصحب معه خلعة وسناجق سلطانية من أخيه الملك الكامل للملك العزيز صاحب حلب وعمره يومئذ عشر سنين ووصل الأشرف بذلك إلى حلب وأركب الملك العزيز في دست السلطنة وفي هذه السنة لما وصل الملك الأشرف بالخلعة المذكورة إلى حلب اتفق مع الملك الأشرف كبراء الدولة الحلبية على تخريب قلعة اللاذقية فأرسلوا عسكرا وهدموها إلى الأرض

(ذكر أحوال غياث الدين أخي جلال الدين ابن خوارزم شاه محمد)

كان لجلال الدين منكبرني أخ يقال له غياث الدين بير شاه وكان قد ملك غياث الدين المذكور كرمان فلما توجه جلال الدين منكبرني إلى الهند كما قدمنا ذكره في سنة سبع عشرة تغلب غياث الدين على الري وأصفهان وهمذان وغير ذلك من عراق العجم وهي البلاد المعروفة ببلاد الجبل فخرج على غياث الدين خال له يقال له إيغان طايسي وكان أكبر أمرائه وأقربهم إليه فاقتتل مع غياث الدين فانهزم إيغان طايسي ومن معه وأقام غياث الدين في بلاده مؤيدا منصورا

(ذكر حادثة غريبة)

كان أهل مملكة الكرج قد مات ملكهم ولم يبق من بيت الملك غير امرأة فملكوها وطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك ويكون من أهل بيت المملكة فلم يجدوا فيهم أحدا يصلح لذلك وكان صاحب أرزن الروم مغيث الدين طغريل شاه بن قلج أرسلان السلجوقي من بيت كبير مشهور فأرسل يخطب الملكة

ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن اقسنقر وسمى لولو نفسه الملك الرحيم وكان قد اعتضد بالملك الاشرف ابن الملك العادل فدافع عنه ونصره وقلع لولو البيت الاتابكى بالكلية واستمر مالكا للموصل نيفا واربعين سنة سوى ما تقدم له من الاستيلاء والتحكم فى ايام استاذه نور الدين ارسلان شاه وابنه الملك القاهر مسعود (وفى هذه السنة) سار الملك الاشرف الى خدمة اخيه الملك الكامل واقام عنده بمصر متنزها الى ان خرجت هذه السنة (وفى هذه السنة) فوض الاتابك طغريل الخادم مدبر مملكة حلب الى الملك الصالح احمد بن الظاهر امر الشغر وبكاس فسار الملك الصالح من حلب واستولى عليهما واضاف اليه الروج ومعرة ومصرين (وفى هذه السنة) قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حماة لان الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بمال يحمله اليه اذا ملك حماة فلم يف له فقصد الملك المعظم حماة ونزل بقيرين وغلقت ابواب حماة فقصدها الملك المعظم وجرى بينهم قتال قليل ثم ارتحل الملك المعظم الى سلمية فاستولى على حواصلها وولى عليها ثم توجه الى المعرة فاستولى عليها واقام فيها والياً من جهته وقرر امورها ثم عاد الى سلمية فاقام بها حتى خرجت هذه السنة على قصد منازلة حماة (وفى هذه السنة) حج من اليمن الملك المسعود يوسف الملقب اطسز وهو اسم تركى والعامة تسميه اقسيس وكان قد استولى على اليمن سنة اثنتى عشرة وستمائة وقبض على سليمان شاه بن شاهنشاه ابن عمر ابن شاهنشاه بن ايوب وحج فى هذه السنة فلما وقف الملك المسعود فى هذه السنة بعرفة وتقدمت اعلام الخليفة الامام الناصر لترفع على الجبل تقدم الملك المسعود بعساكره ومنع من ذلك وامر بتقديم اعلام ابيه السلطان الملك الكامل على اعلام الخليفة فلم يقدر اصحاب الخليفة على منعه من ذلك ثم عاد الملك المسعود الى اليمن وبلغ ذلك الخليفة فعظم عليه وارسل يشكو الى الملك الكامل فاعتذر عن ذلك فقبل عذره واقام الملك المسعود فى اليمن مدة يسيرة ثم عاد الى مكة ليستولى عليها فقاتله الحسن بن قتادة فانتصر الملك المسعود وانهزم الحسن ابن قتادة واستقرت مكة فى ملك الملك المسعود وولى عليها وذلك فى ربيع الاول من سنة عشرين وستمائة ثم عاد الى اليمن (وفيها) توفى الشيخ يونس بن يوسف بن مساعد شيخ الفقراء المعروفة باليونسية وكان رجلا صالحا وله كرامات وكانت وفاته بقرية القنية من اعمال دارا وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور هناك (ثم دخلت سنة عشرين وستمائة) والاشرف بديار مصر عند اخيه الملك الكامل واخوهما الملك المعظم بسلمية مستول عليها وعلى المعرة عازم على حصار حماة وبلغ الملك الاشرف ما فعله اخوه

المعظم وحسن لاخيه المظفر غازى صاحب خلاط العصيان على اخيه الملك الاشرف فاجاب الملك المظفر الى ذلك وخالف اخاه الملك الاشرف وكان قد اتفق مع المعظم والمظفر غازى صاحب اربل مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كجك وكان بدر الدين لولو منتميا الى الملك الاشرف فسار مظفر الدين صاحب اربل وحصر الموصل عشرة ايام وكان نزوله على الموصل ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة ليشغل الملك الاشرف عن قصد اخيه بخلاط ثم رحل مظفر الدين عن الموصل لحصانتها فلم يلتفت الملك الاشرف الى محاصرة الموصل وسار الى خلاط وحصر اخاه شهاب الدين غازى فسلمت اليه مدينة خلاط وانحصر اخوه غازى بقلعتها الى الليل فنزل من القلعة الى اخيه الملك الاشرف واعتذر اليه فقبل عذره وعفاعنه واقره على ميافارقين وارتجع باقى البلاد منه وكان استيلاء الملك الاشرف على خلاط واخذها من اخيه فى جمادى الآخرة من هذه السنة (ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة)

(ذكر وصول جلال الدين من الهند الى البلاد)

قد تقدم فى سنة سبع عشرة وستمائة ذكر هروب جلال الدين من غزنة لما قصده جنكزخان وانه دخل بلاد الهند فلما كانت هذه السنة قدم من الهند الى كرمان ثم الى اصفهان واستولى عليها وعلى باقى عراق العجم ثم سار الى فارس وانتزعها من اخيه غياث الدين تبرشاه بن محمد واعادها الى صاحبها اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس وصار اتابك سعد المذكور وغياث الدين تبرشاه اخو جلال الدين تحت حكم جلال الدين وفى طاعته ثم استولى جلال الدين على خورستان وكاتب الخليفة الامام الناصر ثم سار جلال الدين حتى قارب بغداد ووصل الى يعقوبا وخاف اهل بغداد منه واستعدوا للحصار ونهبت الخوارزمية البلاد وامتلات ايديهم من الغنائم وقوى امر جلال الدين وجميع عسكره الخوارزمية ثم سار الى قريب اربل فصالحه صاحبها مظفر الدين ودخل فى طاعته ثم سار جلال الدين الى اذربيجان وكرسى مملكتها تبريز فاستولى على تبريز وهرب صاحب اذربيجان وهو مظفر الدين ازبك بن البهلوان ابن الدكز وكان ازبك المذكور قد قوى امره لما قتل طغربل آخر الملوك السلجوقية ببلاد العجم فاستقل ازبك المذكور فى المملكة وكان ازبك المذكور لا يزال مشغولا بشرب الخمر وليس له التفات الى تدبير المملكة فلما استولى جلال الدين على تبريز هرب ازبك الى كنجة وهى من بلاد اران قرب بردعه ومتاخمة لبلاد الكرج واستقل السلطان جلال الدين بملك اذربيجان وكثرت عساكره واستفحل امره ثم جرى بين جلال الدين وبين الكرج قتال شديد

اولاده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته الا ان يتنصر فامر ولده فتنصر وسار الى الكرج وتزوج ملكتهم وكانت هذه الملكة تهوى مملوكا لها ويعلم ابن طغريل شاه بذلك وتكامن فدخل يوما الى البيت فوجد المملوك نائما معها فى الفراش فلم يصبر المذكور على ذلك فانكر عليها فاخذته زوجته واعتقلته فى بعض القلاع ثم احضرت رجلين كانا قد وصفا لها بحسن الصورة فتزوجت احدهما ثم فارقته واحضرت انسانا من كنجة مسلما وهويته وسألته ان يتنصر لتتزوج به فلم يجب الى ذلك وترددت الرسل بينهما فى ذلك مدة فلم يجبها الى التنصر

(ذكر وفاة ملك الغرب)

فى هذه السنة توفى يوسف المستنصر ملك الغرب ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وقد تقدم ذكر ولايته فى سنة عشر وست مائة وكان يوسف المذكور منهمكا فى اللذات فدخل الوهن على الدولة بسبب ذلك ولم يخلف يوسف المذكور ولدا فاجتمع كبراء الدولة واقاموا عم ابيه لكبر سنه وهو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ولقبوه المستضئ وكان عبد الواحد المذكور قد صار فقيرا بمراكش وقاسى الدهر فلما تولى اشتغل باللذات والتنعم فى المآكل والملابس من غير ان يشرب خمرا ثم خلع عبد الواحد المذكور بعد تسعة اشهر من ولايته وقتل وملك بعده ابن اخيه عبدالله وتلقب بالعادل وهو عبدالله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وست مائة) فى هذه السنة وصل التتر الى قرب تبريز وارسلوا الى صاحبها ازبك بن البهلوان يقولون له ان كنت فى طاعتنا فارسل من عندك من الخوارزمية الينا فاوقع ازبك بمن عنده من الخوارزمية وقتل بعضهم واسر الباقين وارسلهم الى التتر مع تقدمة عظيمة فكفوا عن بلاد ازبك وعادوا الى بلاد خراسان (وفيها) استولى غياث الدين تيرشاه اخو جلال الدين ابن خوارزم شاه على غالب مملكة فارس وكان صاحب فارس يقال له الاتابك سعد بن دكلا واقام غياث الدين بشيراز وهى كرسى مملكة فارس ولم يبق مع الاتابك سعد من فارس غير الحصون المنيعة ثم اصطلح غياث الدين مع الاتابك سعد على ان يكون لسعد بعض بلاد فارس ولغياث الدين الباقى

(ذكر عصيان المظفر غازى بن العادل على اخيه الملك الاشرف)

كان الملك الاشرف قد انعم على اخيه الملك المظفر غازى بخلاط وهى مملكة عظيمة وهى اقليم ارمينية وكان قد حصل بين الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبين اخويه الكامل والاشرف وحشة بسبب ترحيله عن حماة كما قدمناذكره فارسل

(المعظم)

من بغداد الى الشام وقد نسب الامام الناصر انه هو الذى كاتب التتر واطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه و بين خوارزم شاه محمد بن تكش من العداوة ليشغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق

(ذكر خلافة ابنه الظاهر)

وهو خامس ثلاثينهم ولما توفى الامام الناصر بويع ولده الظاهر بامر الله ابو نصر محمد فاظهر العدل وازال المكوس واخرج المحبوسين وظهر للناس وكان الناصر ومن قبله لايظهرون الا نادرا ولم تطل مدته في الخلافة غير تسعة اشهر (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة) فيها سار الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق ونازل حمص وكان قد اتفق مع جلال الدين بن خوارزم شاه ومع مظفر الدين صاحب اربل على ان يكونوا يدا واحدة وكان الملك الاشرف ببلاده الشرقية ثم رحل المعظم عن حمص الى دمشق بسبب كثرة ما مات من خيله وخيل عسكره وورد عليه اخوه الملك الاشرف طالبا للصلح وقطعا للفتن فبقى مكرما ظاهرا وهو في الباطن كالاسير معه واقام الملك الاشرف عند اخيه المعظم الى ان انقضت هذه السنة واما الملك الكامل فانه كان بمصر وقد تخبل من بعض عسكره فما امكنه الخروج عنها (وفى هذه السنة) فتح السلطان جلال الدين تفليس من الكرج وهى من المدن العظام (وفى هذه السنة) سار جلال الدين ونازل خلاط وهى منازلته الاولى فطال القتال بينهم وكان نائب الاشرف بخلاط الحاجب حسام الدين على الموصلى وكان نزوله عليها ثالث عشر ذى القعدة ورحل عنها لسبع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بسبب كثرة الثلوج

(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بامر الله)

وفى رابع عشر رجب من هذه السنة توفى الخليفة الظاهر بامر الله محمد بن الناصر لدين الله وكان متواضعا محسنا الى الرعية جدا وابطل عدة مظالم منها انه كان بخزانة الخليفة صنجة زايدة يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التى يتعامل بها الناس وكان زيادة الصنجة فى كل دينار حبة فخرج توقيع الظاهر بابطال ذلك واوله * ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون * وعمل صنجة المخزن مثل صنجة المسلمين وكان مضاددا لابيه الناصر فى كثير من احواله منها ان مدة خلافة ابيه كانت طويلة ومدة خلافته كانت قصيرة وكان ابوه متشيعا وكان الظاهر سنيا وكان ابوه ظالما جماعا للمال وكان الظاهر فى غاية العدل وبذل الاموال للمحبوسين على الديون وللعلماء

انهزم فيه الكرج وتبعهم الخوارزمية يقتلونهم كيف شاؤا واتفق انه ثبت على قاضي تبريز وقوع الطلاق من ازبك بن البهلوان بن الدكز على زوجته بنت السلطان طغريل آخر الملوك السلجوقية المقدم ذكره فتزوج جلال الدين بنت طغريل المذكور وارسل جيشا الى مدينة كنجة ففتحوها فهرب مظفر الدين ازبك بن محمد البهلوان من كنجة الى قلعة هنالك ثم هلك وتلاشى امره

(ذكر وفاة الملك الافضل نورالدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف)

في هذه السنة توفي الملك الافضل المذكور وليس بيده غير سميساط فقط وكان موته فجأة وعمره سبع وخمسون سنة وكان الملك الافضل فاضلا حسن السيرة وتجمعت فيه الفضايل والاخلاق الحسنة وكان مع ذلك قليل الحظ وله الاشعار الحسنة فمنها يعرض الى سوء حظه قوله

يا من يسود شعره بخضابه * لعساه من اهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرة * ولك الامان بانه لا ينصل

ولما اخذت منه دمشق كتب الى بعض اصحابه كتابا منه اما اصحابنا بدمشق فلا علم لي باحد منهم وسبب ذلك

اى صديق سألت عنه ففي الذل وتحت الخمول في الوطن
واى ضد سألت حالته * سمعت ما لا تحبه اذنى

(ذكر وفاة الامام الناصر)

وفي اول شوال من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته نحو سبع واربعين سنة وعمي في آخر عمره وكان موته بالدوسنطاريا وهو الامام الناصر لدين الله ابو العباس احمد ابن المستضئ حسن ابن المستنجد يوسف ابن المقتفي محمد ابن المستظهر احمد ابن المقتدى عبد الله ابن الامير ذخيرة الدين محمد ابن القايم عبد الله ابن القادر احمد ابن الامير اسحق ابن المقتدر جعفر ابن المكتفي على ابن المعتضد احمد ابن الامير الموفق قيل اسمه طلحة وقيل محمد ابن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد ابن الرشيد هرون ابن المهدى محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان عمر الامام الناصر نحو سبعين سنة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالما لهم خرب في ايامه العراق وتفرق اهله في البلاد وكان يتشيع وكان منصرف الهمة الى رمى البندق والطيور المناسيب ويلبس سراويلات الفتوة ومنع رمى البندق الا من ينسب اليه فأجابه الناس الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له ابن السفت وهرب

(ذكر وفاة الملك المعظم صاحب دمشق)

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابى بكر ابن ايوب بقلعة دمشق بالدوسنطاريا وعمره تسع واربعون سنة وكانت مدة ملكه دمشق تسع سنين وشهورا وكان شجاعا وكان عسكره فى غاية التجمل وكان يجامل اخاه الملك الكامل ويخطب له ببلاده ولا يذكر اسمه معه وكان الملك المعظم قليل التكلف جدا فى غالب الاوقات لايركب بالسناجق السلطانية وكان يركب وعلى رأسه كلوته صفرأ بلا شاش ويتخرق الاسواق من غير ان يطرق بين يديه كما جرت عادة الملوك ولما كثر مثل هذا منه صار الانسان اذا فعل امرا لا يتكلفه له يقال قد فعله بالمعظمى وكان عالما فاضلا فى الفقه والنحو وكان شيخه فى النحو تاج الدين زيد بن الحسن الكندى وفى الفقه جمال الدين الحصيرى وكان حنفيا متعصبا لمذهبه وخالف جميع اهل بيته فانهم كانوا شافعية ولما توفى الملك المعظم ترتب واعتمامها فى مملكته بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود وقام بتدبير مملكته مملوك والده واستاذداره الامير عز الدين ايبك المعظمى وكان لايبك المذكور صرخد

(ذكر وفاة ملك المغرب واخبار الذين تملكوا بعده)

وفى هذه السنة خلع العادل عبدالله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وقد تقدم ذكر ولايته فى سنة عشرين وست مائة بعد خلع عبد الواحد وقتله وفى ايام العادل عبدالله المذكور كانت الوقعة بين المسلمين والفرنج بالاندلس على طليطله انهزمت فيها المسلمون هزيمة قبيحة وهذه الوقعة هى التى هدت دعائم الاسلام بالاندلس ولما خلع عبدالله العادل المذكور حبس ثم خنق ونهب المصمودية قصره بمراكش واستباحوا حرمه ثم ملك بعده يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن ويحيى يومئذ ماخط عذاره ولما تمت بيعة يحيى وصل الخبر انه قد قام باشبيلية ادريس ابن يعقوب المنصور وهو اخو العادل عبدالله وتلقب ادريس بالمأمون وجميعهم كانوا يتلقبون بامير المؤمنين وتعقد البيعة لهم بالخلافة ولما استقر امر ادريس المأمون المذكور فى اشبيلية ثارت جماعة من اهل مراكش وانضم اليهم العرب ووثبوا على يحيى بن محمد الناصر بمراكش فهرب يحيى الى الجبل ثم اتصل بعرب المعقل فغدروا به وقتلوه وخطب للمامون ادريس فى مراكش واستقر امره فى الخلافة بالبرين بر الاندلس وبر العدوة ثم خرج على المامون ادريس المذكور بشرق الاندلس المتوكل بن هود واستولى على الاندلس ففارق ادريس الاندلس وسار من اشبيلية وعبر البحر ووصل الى مراكش وجرت

(ذكر خلافة المستنصر)

وهو سادس ثلاثينهم ولما توفى الظاهر ولى الخلافة بعده ولده الاكبر المستنصر بالله ابو جعفر المنصور وكان للظاهر ولد آخر يقال له الخفاجى فى غاية الشجاعة وبقى حيا حتى اخذت التتر بغداد وقتل مع من قتل ولما تولى المستنصر الخلافة سلك فى العدل والاحسان مسلك ابيه الظاهر

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود الارتقى صاحب آمد فنزل كيقباذ بملطية وهى من بلاد كيقباذ وارسل عسكرا ففتحوا حصن منصور وحصن الكختا وكانا لصاحب آمد المذكور (وفيها) فى خامس عشر الحجة نازل جلال الدين مدينة خلاط وهى للملك الاشرف وبها نائبه حسام الدين على الحاجب وهى منازلته الثانية وجرى بينهم قتال شديد وادركه البرد فرحل عنها فى السنة المذكورة (ثم دخلت سنة اربع وعشرين وست مائة) والملك الكامل بديار مصر وجلال الدين خوارزم شاه مالك اذربيجان واران وبعض بلاد الكرج وعراق العجم وغيرها وهو موافق الملك المعظم على حرب اخويه الكامل والاشرف والرسل لاتنقطع بين المعظم وجلال الدين والملك الاشرف مقيم كالاسير عند اخيه الملك المعظم ولما رأى الملك الاشرف حاله مع اخيه المعظم وانه لاخلاص له منه الا باجابته الى مايريد اجابه كالمكره الى ماطلبه منه وحلف له ان يعاضده ويكون معه على اخيهما الملك الكامل وان يكون معه على صاحبى حماة وحمص فلما حلف له على ذلك اطلقه الملك المعظم فرحل الملك الاشرف فى جمادى الآخرة من هذه السنة فكانت مدة مقامه مع المعظم نحو عشرة اشهر ولما استقر الملك الاشرف ببلاده رجع عن جميع ماتقرر بينه وبين اخيه الملك المعظم وأول فى ايمانه التى حلفها انه مكره ولما تحقق الملك الكامل اعتضاد اخيه الملك المعظم بجلال الدين خاف من ذلك وكاتب الانبرطور ملك الفرنج فى ان يقدم الى عكا ليشغل سر اخيه المعظم عما هو فيه ووعد الانبرطور بان يعطيه القدس فسار الانبرطور الى عكا فبلغ المعظم ذلك فكاتب اخاه الاشرف واستعطفه (وفى هذه السنة) انتزع الاتابك طغريل الشغر وبكاس من الملك الصالح احمد ابن الملك الظاهر وعوضه عنها بعينتاب والراوندان (وفيها) سار الحاجب حسام الدين على نائب الملك الاشرف بخلاط بعساكر الملك الاشرف الى بلاد جلال الدين واستولى على خوى وسلماس ونقجوان

الفن ان ابا دبوس هو ابن ادريس المأمون ثم وجدت نسبه فى وفيات الاعيان انه هو نفسه اسمه ادريس بن عبدالله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة خمس وعشرين وست مائة) فى هذه السنة ارسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن اخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يعطه الملك الناصر ذلك ولا اجابه اليه فسار الملك الكامل من مصر فى هذه السنة فى رمضان الى الشام ونزل على تل العجول بظاهر غزة وولى على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن اخيه الملك الناصر داود المذكور صاحب دمشق حينئذ وكان صحبة الملك الكامل الملك المظفر محمود بن السلطان الملك المنصور صاحب حماة وهو موعود من الملك الكامل انه ينتزع حماة من اخيه الناصر قليج ارسلان ابن الملك المنصور ويسلمها اليه ولما قصد الملك الكامل انتزاع بلاد الملك الناصر ابن المعظم صاحب دمشق استنجد الناصر داود بعمه الملك الاشرف وارسل اليه وهو ببلاده الشرقية فقدم الملك الاشرف الى دمشق ودخل هو والناصر داود الى قلعة دمشق راكبين قال القاضى جمال الدين بن واصل كنت اذ ذاك حاضرا بدمشق ورايت الملك الاشرف راكبا مع ابن اخيه وعلى رأس الملك الاشرف شاش علم كبير ووسطه مشدود بمنديل وكان وصول الاشرف الى دمشق فى العشر الاخير من رمضان من هذه السنة ووصل الى خدمته بدمشق الملك المجاهد شيركوه فانه كان من المنتمين الى الملك الاشرف ٭ وقع الاتفاق ان يسير الناصر داود وشيركوه مع الملك الاشرف الى نابلس فيقيم الناصر داود بنابلس ويتوجه الملك الاشرف الى اخيه الكامل الى غزة شافعا فى ابن اخيهما الناصر داود ففعلوا ذلك ولما وصل الملك الاشرف الى اخيه الكامل وقع اتفاقهما فى الباطن على اخذ دمشق من ابن اخيهما الناصر داود وتعويضه عنها بحران والرها والرقة من بلاد الملك الاشرف وان تستقر دمشق للملك الاشرف ويكون له الى عقبة افيق وما عدا ذلك من بلاد دمشق يكون للملك الكامل وان ينتزع حماة من الملك الناصر قليج ارسلان ويعطى الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور وان ينتزع سلمية من المظفر محمود وكانت اقطاعه لما كان مقيما بمصر عند الملك الكامل ويعطى لشيركوه صاحب حمص وخرجت السنة والاشرف عند اخيه الكامل بظاهر غزة وقد اتفقا على ذلك

(ذكر غير ذلك)

وفى هذه السنة عاود التتر الى قصد البلاد التى بيد جلال الدين بن خوارزم شاه وجرت بينه وبينهم حروب كثيرة كان فى اكثرها الظفر للتتر (وفيها)

الاندلس حينئذ من ملك بنى عبد المؤمن ولما استقر المأمون ادريس فى ملك مراكش
تتبع الخارجين على من تقدمه من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم وسفك دماء كثيرة
حتى سموه لذلك حجاج المغرب وكان المأمون ادريس المذكور فصيحا عالما
بالاصول والفروع ناظما ناثرا امر باسقاط اسم مهديهم ابن تومرت من الخطبة
على المنابر وعمل فى ذلك رسالة طويلة افصح فيها بتكذيب مهديهم المذكور
وضلاله ثم ثار على ادريس المذكور اخوه بسبتة فسار ادريس من مراكش
اليه وحصره بسبتة ثم بلغ ادريس وهو محاصر سبتة ان بعض اولاد محمد الناصر
ابن يعقوب المنصور قد دخل الى مراكش فرحل ادريس عن سبتة وسار
الى مراكش فمات فى الطريق بين سبتة ومراكش ولما مات المأمون ادريس ملك
بعده ابنه عبد الواحد ابن المأمون ادريس وتلقب المذكور بالرشيد ثم توفى الرشيد
عبد الواحد ابن المأمون ادريس بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن
غريقا فى صهريج بستان له بحضرة مراكش فى سنة اربعين وست مائة وكان
الرشيد عبد الواحد المذكور حسن السياسة وكان ابوه ادريس قد ابطل اسم
مهديهم من الخطبة فاعاده عبد الواحد المذكور وقع العرب الا انه تخلى للذاته
لما استقر امره ولم يخاطب الرشيد عبد الواحد المذكور بافريقية ولا بالمغرب
الاوسط ولما مات الرشيد عبد الواحد المذكور ملك بعده اخوه على بن ادريس
وتلقب بالمعتضد امير المؤمنين وكان اسود اللون وكان مدحوضا فى حياة والده
وسجنه فى بعض الاوقات وقدم عليه اخاه الصغير عبد الواحد المذكور واستمر
المعتضد على بن ادريس المذكور حتى قتل وهو محاصر قلعة بالقرب من تلمسان
فى صفر من سنة ست واربعين وست مائة ثم ملك بعد المعتضد الاسود المذكور
ابو حفص عمر ابن ابى ابراهيم بن يوسف فى شهر ربيع الآخر من سنة ست
واربعين وست مائة وتلقب بالمرتضى وفى الحادى والعشرين من المحرم سنة
خمس وستين وست مائة دخل الواثق ابو العلا ادريس المعروف بابى دبوس
مراكش وهرب المرتضى الى ازمور من نواحى مراكش فقبض عليه عامله بها
وبعث الى الواثق بذلك فامره الواثق بقتله فقتله فى العشر الاخير من شهر ربيع الآخر
من سنة خمس وستين وست مائة بموضع يقال له كتامة بعده عن مراكش ثلثة ايام
واقام الواثق ابو دبوس ثلث سنين وقتل فى الحروب التى كانت بينه وبين بنى
مرين ملوك تلمسان وانقرضت دولة بنى عبد المؤمن وكان قتل الواثق ابى
دبوس المذكور فى المحرم سنة ثمان وستين وست مائة بموضع بينه وبين مراكش
مسيرة ثلثة ايام فى جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وقد حصل
الاختلاف فى نسب ابى دبوس فانى وجدت فى بعض الكتب المؤلفة فى هذا

فارتفع بكاء الناس وضجيجهم

(ذكر انتزاع دمشق)

ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الانبراطور وخلا سره من جهة الفرنج سار الى دمشق ووصل اليها في جمادى الاولى من هذه السنة واشتد الحصار على دمشق ووصل الى الملك الكامل رسول الملك العزيز صاحب حلب وخطب بنت الملك الكامل فزوجه بنته فاطمة خاتون التي هي من الست السودا ام والده ابي بكر العادل بن الكامل ثم استولى الملك الكامل على دمشق وعوض الناصر داود عنها بالكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك واخذ الملك الكامل لنفسه البلاد الشرقية التي كانت عينت للناصر وهي حران والرها وغيرهما التي كانت بيد الملك الاشرف ثم نزل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه الكامل في قبولها فقبلها وتسلم دمشق الملك الاشرف وتسلم الكامل من الاشرف البلاد الشرقية المذكورة

(ذكر وفاة الملك المسعود صاصاحب اليمن)
(ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن ايوب)

في هذه السنة توفي الملك المسعود يوسف الملقب اطسز المعروف باقسيس وكان قد مرض باليمن فكره المقام بها وعزم على مفارقة اليمن وسار الى مكة وهي له كما تقدم ذكره فتوفي بمكة ودفن بالمعلى وعمره ست وعشرون سنة وكانت مدة ملكه اليمن اربع عشرة سنة وكان الملك المسعود لما سار من اليمن قد استخلف على اليمن على بن رسول وسنذكر بقية اخباره ان شاء الله تعالى ووصل الخبر بوفاة الملك المسعود الى ابيه الملك الكامل وهو على حصار دمشق فجلس للعزاء وخلف الملك المسعود ولدا صغيرا اسمه ايضا يوسف وبقي يوسف المذكور حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح ايوب صاحب مصر وخلف يوسف ولدا صغيرا اسمه موسى ولقب الملك الاشرف وهو الذي اقامه الترك في مملكة مصر بعد قتل الملك المعظم ابن الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر القبض على الحاجب على نائب الملك الاشرف بخلاط وقتله)

وفي هذه السنة ارسل الملك الاشرف مملوكه عز الدين ايبك الاشرفي وهو اكبر امير عنده الى خلاط وقبض على الحاجب على الموصلي وحبسه ثم قتله وكان حسام الدين على الحاجب المذكور من اهل الموصل وخدم الملك الاشرف فجعله نائبه بخلاط فاحسن الى الرعية وحفظ البلد واستولى على عدة بلاد

فقدم الامبراطور الى عكا بجموعه وكان الملك الكامل قد ارسل اليه فخر الدين
ابن الشيخ يستدعيه الى قصد الشام بسبب اخيه المعظم فوصل الامبراطور وقد مات
المعظم فنشب به الملك الكامل ولما وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت
مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فعمر الفرنج سورها واستولوا عليها
والامبراطور معناه ملك الامر أبا فرنجية وانما اسم الامبراطور المذكور فردريك
وكان صاحب جزيرة صقلية ومن البر الطويل بلاد انبولية والانبردية قال القاضي
جمال الدين ابن واصل لقد رايت تلك البلاد لما توجهت رسولا من الملك الظاهر بيبرس
الصالحي الى الامبراطور ملك تلك البلاد قال وكان الامبراطور من بين ملوك الفرنج
فاضلا محبا للحكمة والمنطق والطب مايلا الى المسلمين لان منشأه بجزيرة صقلية
وغالب اهلها مسلمون وترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الامبراطور
الى ان خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) بعد فراغ جلال الدين
من التتر قصد جلال الدين المذكور بلاد خلاط ونهب القرى وقتل وخرب
البلاد وفعل الافعال القبيحة (وفيها) خاف غياث الدين تيرشاه من اخيه
جلال الدين ففارقه واستجار بالاسماعيلية (ثم دخلت سنة ست وعشرين
وست مائة) ولما جرى بين السلطان الملك الكامل وبين اخيه الملك الاشرف
الاتفاق على نزع دمشق من الناصر داود بلغ الناصر داود ذلك وهو
بنابلس فرحل الى دمشق وكان قد لحقه بالغور عمه الملك الاشرف
وعرفه ماامر به عمه الملك الكامل وانه لايمكنه الخروج عن مرسومه فلم يلتفت
الناصر داود الى ذلك وسار الى دمشق وسار الاشرف في اثره وحصره بدمشق
والملك الكامل مشتغل بمراسلة الامبراطور ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدا من
المهادنة اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه على ان تستمر اسواره خرابا
ولايعمرها الفرنج ولايتعرضوا الى قبة الصخرة ولاالى الجامع الاقصى ويكون الحكم
في الرساتيق الى والى المسلمين ويكون لهم من القرايا ماهو على الطريق من عكا
الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الانبراطور القدس
في هذه السنة في ربيع الآخر على هذه القاعدة التي ذكرناها وكان ذلك والملك
الناصر محصور بدمشق وعمه الاشرف محاصره بامر الملك الكامل فاخذ
الناصر داود في التشنيع على عمه بذلك وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف
سبط ابي الفرج ابن الجوزي وكان واعظا وله قبول عند الناس فامره الناصر
داود بعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حل بالمسلمين من
تسليمه الى الفرنج ففعل ذلك وكان مجلسا عظيما ومن جملة ماانشد قصيدة
تائية ضمنها بيت دعبل الخزاعي وهو

مدارس ايات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات

من هذه السنة وكان مدة ملك الملك الناصر قليج ارسلان حماة تسع سنين الا نحو شهرين واقام الملك المظفر فى دار الاكرم يومين وصعد فى اليوم الثالث الى القلعة وتسلمها وجاء عيد الفطر من هذه السنة والملك المظفر مالك حماة وعمره يومئذ نحو سبع وعشرين سنة لان مولده سنة تسع وتسعين وخمس مائة وكان اخوه الملك الناصر قليج ارسلان اصغر منه بسنة ولما ملك الملك المظفر حماة فوض تدبير امورها صغيرها وكبيرها الى الامير سيف الدين على الهدبانى وكان سيف الدين على ابن ابى على المذكور قد خدم الملك المظفر بعد ابن عمه حسام الدين ابن ابى على الذى كان نائب الملك المظفر بسلمية لما سلمت اليه وهو بمصر عند الملك الكامل ثم حصل بين الملك المظفر وبين حسام الدين ابن ابى على وحشة ففارقه حسام الدين المذكور واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل وحظى عنده وصار استاذ داره وخدم ابن عمه سيف الدين على المذكور الملك المظفر وكان يقول له اشتهى اراك صاحب حماة واكون بين يديك واحدة فاصيب عين سيف الدين على على حصار حماة لما نازلها عسكر الملك الكامل وبقى بفرد عين فعظى عند الملك المظفر لذلك ولكفاية سيف الدين المذكور وحسن تدبيره ولما استقر الملك المظفر فى ملك حماة انتزع الملك الكامل سلمية منه وسلمها الى شيركوه صاحب حمص على ما كان وقع عليه الاتفاق من قبل ذلك ثم ان الملك الكامل رسم للملك المظفر ان يعطى اخاه الملك الناصر قليج ارسلان بارين بكمالها فامتثل ذلك وسلم قلعة بارين الى اخيه الملك الناصر ولم يبق بيد الملك المظفر غير حماة والمعرة وكان بحماة تقدير اربع مائة الف درهم للملك الناصر وكان قد رسم الملك الكامل الملك المظفر ان يعطى المال المذكور اخاه الملك الناصر فماطل المظفر فى ذلك ولم يحصل للملك الناصر من ذلك شئ ولما استقر الملك المظفر بحماة مدحه الشيخ شرف الدين عبد العزيز محمد بن عبد المحسن الانصارى الدمشقى بقصيدة من جملتها

تناهى اليك الملك واشتد كاهله * وحل بك الراجى فحطت رواحله
ترحلت عن مصر فامحل ربعها * وللمحلات الشام روض ماحله
وعزت حماة فى حمى انت غابه * بصولته تحمى كالسيب ووابله
وقد طال ما ظلت بغير اهوج * يخبب من بجيبه ويحرم سائله

ولما استقر الملك المظفر فى ملك حماة رحل الملك الكامل عن سلمية الى البلاد الشرقية التى اخذها من اخيه الملك الاشرف عوضا عن دمشق فنظر فى مصالحها ثم سافر الملك المظفر من حماة ولحق الملك الكامل وهو بالشرق وعقد له الملك الكامل العقد هناك على ابنته غازية خاتون بنت الملك الكامل وهى شقيقة

من اذربيجان مثل نقجوان وغيرها على ما تقدم ذكره فقبض عليه الملك الاشرف وقتله قيل ان ذلك لذنب منه لم يطلع عليه الناس واطلع عليه الملك الكامل والملك الاشرف وهذا الحاجب حسام الدين المذكور كان كثير الخير والمعروف بنى الخان الذى بين حران ونصيبين وبنى الخان الذى بين حمص ودمشق وهو الخان المعروف بخان بريع العطش وهرب مملوك لحسام الدين الحاجب المذكور لما قتل استاذه ولحق بجلال الدين فلما ملك جلال الدين خلاط على ما سنذكره قبض على ايبك المذكور وسلمه الى المذكور فقتله واخذ بثار استاذه

(ذكر استيلاء الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد على حماة)

ولما سلم الملك الكامل دمشق الى اخيه الملك الاشرف سار من دمشق ونزل على مجمع المروج ثم نزل سلمية وارسل عسكرا نازلوا حماة وبها صاحبها الملك الناصر قليج ارسلان وكان فيه جبن ولو عصى بحماة وطلب عنها عوضا كثيرا لاجابه الملك الكامل اليه ولكنه خاف وكان فى العسكر الذين نازلوه شيركوه صاحب حمص فارسل الناصر صاحب حماة يقول لشيركوه انى اريد انا خرج اليك بالليل لتحضرنى عند السلطان الملك الكامل وخرج الملك الناصر قليج ارسلان ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب المذكور الى شيركوه فى العشر الاخير من رمضان هذه السنة واخذه شيركوه ومضى به الى الملك الكامل وهو نازل على سلمية فحين رأى الملك الكامل قليج ارسلان المذكور شتمه وامر باعتقاله وان يتقدم الى نوابه بحماة بتسليمها الى الملك الكامل فارسل الناصر قليج ارسلان علامته الى نوابه بحماة ان يسلموها الى عسكر السلطان الملك الكامل فامتنع من ذلك الطواشيان بشر ومرشد المنصوريان وكان بقلعة حماة اخ للملك الناصر يلقب الملك المعز ابن الملك المنصور صاحب حماة فذكروه حماة وقالوا للملك الكامل لانسلم حماة لغير احد من اولاد تقى الدين فارسل الملك الكامل يقول للملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة اتفق مع غلمان ابيك وتسلم حماة وكان الملك المظفر نازلا على حماة من جملة العسكر الكاملى فراسل الملك المظفر الحكام بحماة فحلفوا له وواعدوا الملك المظفر ان يحضر بجماعته خاصة وقت السحر الى باب النصر ليفتحوه له فحضر الملك المظفر سحر الليلة التى عينوها ففتحوا له باب النصر ودخل الملك المظفر ومضى الى دار الوزير المعروفة بدار الاكرم داخل باب المغار وهى الآن مدرسة تعرف بالخاتونية وقفتها عمتى مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر المذكور وحضر اهل حماة وهنوا الملك المظفر بملك حماة وكان ذلك فى العشر الاخير من رمضان

فى مرقد عنده بالدار وجلس الملك الامجد قدام باب المرقد يلعب بالنرد ففتح المملوك المذكور الباب ومعه سيف وضرب به استاذه الملك الامجد فقتله ثم طلع المملوك الى سطح الدار والقى نفسه الى وسطها فمات ودفن الملك الامجد بمدرسة والده التى على الشرف وكانت مدة ملكه بعلبك تسعا واربعين سنة لان عم ابيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ملكه بعلبك سنة ثمان وسبعين وخمس مائة لما مات ابوه فرخشاه وانتزعت منه هذه السنة فذلك خمسون سنة الاسنة وكان الملك الامجد اشعر بنى ايوب وشعره مشهور

(ذكر ملك جلال الدين خلاط)

فى هذه السنة لما طال حصار جلال الدين على خلاط واشتد مضايقتها هجمها بالسيف وفعل فى اهلها ما يفعلونه التتر من القتل والاسترقاق والنهب ثم قبض على نائب الملك الاشرف بها وهو مملوك ايبك وسلمه الى مملوك حسام الدين الحاجب على الموصلى فقتله واخذ بثار استاذه

(ذكر كسرة جلال الدين من الملك الاشرف)

ولما جرى من جلال الدين ما جرى من اخذ خلاط اتفق صاحب الروم كيقباذ ابن كيخسرو بن قليج ارسلان والملك الاشرف ابن الملك العادل فجمع الملك الاشرف عساكر الشام وسار الى سيواس واجتمع فيها بملك بلاد الروم علاء الدين كيقباذ المذكور وسارا الى جهة خلاط والتقى الفريقان فى التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة فولى الخوارزميون وجلال الدين منهزمين وهلك غالب عسكره قتلا وترديا من رؤس جبال كانت فى طريقهم وضعف جلال الدين بعدها وقويت عليه التتر وارتجع الملك الاشرف خلاط وهى خراب يباب ثم وقعت المراسلة بين الملك الاشرف وكيقباذ وجلال الدين وتصالحوا وتحالفوا على ما بايديهم وان لا يتعرض احد منهم الى ما بيد الآخر (وفى هذه السنة) استولى الملك المظفر غازى ابن الملك العادل على ارزن من ديار بكر وهى غير ارزن الروم وكان صاحب ارزن ديار بكر يقال له حسام الدين من بيت قديم فى الملك فاخذها منه الملك المظفر غازى المذكور وعوضه عن ارزن بمدينة حانى وهذا حسام الدين من بيت كبير قيل انهم بيت الاحدب وارزن لم تزل بايديهم من ايام السلطان ملك شاه السلجوقى الى الآن فسبحان من لا يزول ملكه (وفيها) جمعت الفرنج من حصن الاكراد وقصدوا حماة فخرج اليهم الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة والتقاهم عند قرية بين حماة وبارين يقال لها افيون وكسرهم كسرة عظيمة ودخل الملك

الملك المسعود صاحب اليمن وهى والدة الملك المنصور صاحب حماة واخوه الملك الافضل نور الدين على ابنى الملك المظفر محمود ثم عاد الملك المظفر الى حماة وقد قضيت امانيه بملك حماة ووصلته بخاله الملك الكامل وكان يتمنى ذلك لما كان بالديار المصرية وكان يصحبه وهو بمصر رجل من اهلها يقال له الزكى القومصى فاتفق وهما بمصر وقد جرى ذكر ملك الملك المظفر حماة وزواجه بنت خاله الملك الكامل فانشده الزكى القومصى

متى اراك كما اهوى وانت ومن * تهوى كانكما روحان فى بدن
هناك انشد والاقدار مصغية * هنئت بالملك والاحباب والوطن

فقال له الملك المظفر ان صار ذلك يازكى اعطيتك الف دينار مصرية فلما ملك الملك المظفر حماة اعطى الزكى ما وعده به ولما فرغ الملك الكامل من تقرير امر البلاد الشرقية وهى حران وما معها من البلاد مثل رأس عين والرها وغير ذلك عاد الى الديار المصرية (وفى هذه السنة) ارسل الملك الاشرف اخاه صاحب بصرى الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل بعسكر فنازل بعلبك وبها صاحبها الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه ابن شاهنشاه بن ايوب واستمر الحصار عليه (وفيها) سار جلال الدين ملك الخوارزمية وحاصر خلاط وبها ايبك نائب الملك الاشرف الى ان خرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وست مائة)

(ذكر عمارة شميميش)

فى هذه السنة شرع صاحب حمص شيركوه فى عمارة قلعة شميميش وكان لما سلم اليه الملك الكامل سلمية قد استأذنه فى عمارة تل شميميش قلعة فاذن له بذلك ولما اراد شيركوه عمارته اراد الملك المظفر صاحب حماة منعه من ذلك ثم لم يمكنه ذلك لكونه بامر الملك الكامل

(ذكر استيلاء الملك الاشرف على بعلبك)

وفى هذه السنة سلم الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب بعلبك الى الملك الاشرف اطول الحصار عليه وعوضه الملك الاشرف عنها الزبدانى وقصير دمشق الذى هو شماليها ومواضع اخر وتوجه الملك الامجد واقام بداره التى داخل باب النصر بدمشق المعروفة بدار السعادة وهى التى ينزلها النواب

(ذكر مقتل الملك الامجد)

لما اخذت منه بعلبك ونزل بدار المذكورة كان قد حبس بعض مماليكه

والمنشي المذكور كان معه فلذلك كان اخبر باحوال جلال الدين ووالده من غيره
قال محمد المنشي المذكور ان خوارزم شاه محمد بن تكش عظم شأنه واتسع ملكه
وكان له اربعة اولاد قسم البلاد بينهم اكبرهم جلال الدين منكبرني وفوض
اليه ملك غزنة وباميان والغور وبست وتكاباد وزمين داور وما يليها من الهند
وفوض خوارزم وخراسان ومازندران الى ولده قطب الدين ازلاغ شاه
وجعله ولي عهده ثم في آخر وقت عزله عن ولاية العهد وفوضها الى جلال الدين منكبرني
وفوض كرمان وكيش ومكران الى ولده غياث الدين تيرشاه وقد تقدمت
اخباره وفوض العراق الى ولده ركن الدين غورشاه يحيى وكان احسن اولاده خلقا
وخلقا وقتل المذكور التتر بعد موت ابيه وضرب لكل واحد منهم النوب الخمس
في اوقات الصلوات على عادة الملوك السلجوقية وانفرد ابوهم خوارزم شاه محمد
بنوبة ذي القرنين وانها تضرب وقتي طلوع الشمس وغروبها وكانت دبادبه
سبعا وعشرين دبدبة من الذهب قد رصعت بانواع الجوهر وكذا باقي الآلات
النوبتية وجعل سبعة وعشرين ملكا يضربونها في اول يوم فرعت وكانوا
من اكابر الملوك اولاد السلاطين منهم طغريل بن ارسلان السلجوقي واولاد
غياث الدين صاحب الغور والملك علاء الدين صاحب باميان والملك تاج الدين
صاحب بلخ وولده الملك الاعظم صاحب ترمذ والملك سنجر صاحب بخارا
واشباههم وكانت ام خوارزم شاه محمد تركان خاتون من قبيلة بياووت وهي فرع
من فروع يمك وكانت بنت ملك من ملوكهم تزوجها تكش بن ارسلان بن اطسز
ابن محمد بن انوشتكين غرشه فلما صار الملك الى ولده محمد بن تكش قدم الى والدته
تركان خاتون قبائل يمك ومن يجاورهم من الترك فعظم شأن ابنها السلطان محمد بهم وتحكمت
ايضا بسببهم تركان خاتون في الملك ولم يملك ابنها اقليما الا وافرد لخاصها منه ناحية
جليلة وكانت ذات مهابة ورأي وكانت تنصف المظلوم من الظالم وكانت جسورة
على القتل وعظم شأنها بحيث انه اذا ورد توقيعان عنها وعن السلطان في قضية
نظر الى تاريخهما فيعمل بالاخير منهما وكان طغراء توقيعها عصمة الدنيا
والدين الغ تركان ملكة نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده وكانت
تكتبها بقلم غليظ وتجود الكتابة قال المؤلف المذكور ثم ان خوارزم شاه محمد
لما هرب من التتر عبر ما وراء النهر وعبر جيحون ثم سار الى خراسان والتتر تتبعه ثم هرب
من خراسان ووصل الى عراق العجم ونزل عند بسطام واحضر عشرة صناديق
ثم قال انها كلها جواهر لا تعلم قيمتها ثم اشار الى صندوقين منها وقال ان فيهما
من الجواهر ما يساوي خراج الارض بجملتها ثم امر بحملها الى قلعة اردهن
وهي من احصن قلاع الارض واخذ خط النائب بها بوصول الصناديق

المظفر محمود بحماة مؤيدا منصورا (وفيها) ولد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة والسلطان الملك الكامل في بديار مصر واخوه الملك الاشرف بدمشق في ملاذه وقد تخلى عن البلاد الشرقية فان حران وما معها صارت لاخيه الملك الكامل وخلاط صارت خرابا يبابا ولم يكن للملك الاشرف ابن ذكر فاقتنع بدمشق واشتغل باللهو والملاذ (وفيها) سار الملك الاشرف من دمشق الى عند اخيه الملك الكامل واقام عنده بالديار المصرية متنزها

(ذكر قصد التتر بلاد الاسلام)

وفي هذه السنة عاودت التتر قصد بلاد الاسلام وسفكوا وخربوا مثلما تقدم ذكره وكان قد ضعف جلال الدين لقبح سيرته وسوء تدبيره ولم يترك له صديقا من ملوك الاطراف وعادى الجميع وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلف عليه لما حصل لجلال الدين من فساد عقله وسببه انه كان له مملوك يحبه محبة شديدة واتفق موت ذلك المملوك فحزن عليه حزنا شديدا لم يسمع بمثله وامر اهل توريز بالخروج والنواح واللطام عليه ثم انه لم يدفنه وبقي يستصحب ذلك المملوك الميت معه حيث سار وهو يلطم ويبكي وكان اذا قدم اليه الطعام يرسل منه الى المملوك الميت ولا يتجاسر احد ان يتفوه انه ميت فكانوا يحملون اليه الطعام ويقولون انه يقبل الارض وهو يقول اني الآن اصلح مما كنت فانف امراؤه من ذلك وخرج بعضهم عن طاعته فضعف امر جلال الدين لذلك ولكسرته من الملك الاشرف فتمكنت التتر من البلاد واستولوا على مراغة وهو استيلاؤهم الثاني

(ذكر قتل جلال الدين)

ولما تمكن التتر من بلاد اذربيجان سار جلال الدين يريد ديار بكر ليسير الى الخليفة ويلتجي اليه ويعتضد بملوك الاطراف على التتر ويخوفهم عاقبة امرهم فنزل بالقرب من آمد فلم يشعر الا والتتر قد كبسوه ليلا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين وقتل على ما نشرحه ان شاء الله تعالى ولما قتل تمكنت التتر من البلاد وساقوا حتى وصلوا في هذه السنة الى الفرات واضطرب الشام بسبب وصولهم الى الفرات ثم شنوا الغارات في ديار بكر والجزيرة وفعلوا من القتل والتخريب مثلما تقدم (ومن تاريخ ظهور التتر) تصنيف كاتب انشاء جلال الدين النسوي المنشي المقدم الذكر في سنة ست عشرة وستمائة مااخترناه وانتقيناه من اخبار خوارزم شاه محمد وابنه جلال الدين لملازمة النسوي المذكور جلال الدين في جميع سفراته وغزواته الى ان كبس التتر جلال الدين

(والمنشي)

فلحقه جنكزخان على ماء السند وتصافا صبيحة يوم الاربعاء لثمان خلون من شوال سنة ثمان عشرة وست مائة وكانت الكرة اولا على جنكزخان ثم عادت على جلال الدين وحال بينهما الليل وولى جلال الدين منهزما واسر ولد جلال الدين وهو ابن سبع او ثمان سنين وقتل بين يدي جنكزخان صبرا ولما عاد جلال الدين الى حافة ماء السند كسيرا رأى والدته وام ولده وجماعة من حرمه يصحن بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الاسر فامر بهن فغرقن وهذه من عجائب البلايا ونوادر المصائب والرزايا ثم اقتحم جلال الدين وعسكره ذلك النهر العظيم فنجا منهم الى ذلك البر تقدير اربعة آلاف رجل حفاة عراة ورمى الموج جلال الدين مع ثلثة من خواصه الى موضع بعيد وفقده اصحابه ثلثة ايام وبقي اصحابه لفقده حائرين وفي شدة الفكر سائرين الى ان اتصل بهم جلال الدين فاعتدوا بمقدمه عيدا وظنوا انهم انشوا خلقا جديدا ثم جرى بين جلال الدين وبين اهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين ووصل الى لهاوور من الهند ولما عزم جلال الدين على العود الى جهة العراق استناب بهلوان ازبك على ما كان يملكه من بلاد الهند واستناب معه حسن قراق ولقبوه ملك وفي سنة سبع وعشرين وست مائة طردوا ملك بهلوان ازبك واستولى وفا ملك على ما كان بيد البهلوان من بلاد الهند ثم ان جلال الدين عاد من الهند ووصل الى كرمان في سنة احدى وعشرين وست مائة وقاسى هو وعسكره في البراري القاطعة بين كرمان والهند شدائد ووصل معه اربعة آلاف رجل بعضهم ركاب البقار وبعضهم ركاب حمر ثم سار جلال الدين الى خوزستان واستولى عليها ثم استولى على اذربيجان ثم استولى على كنجة وسائر بلاد اران ثم ان جلال الدين نقل اباه من الجزيرة الى قلعة اردهن ودفنه بها ولما استولى التتر على القلعة المذكورة نبشوه واحرقوه وهذا كان فعلهم في كل ملك عرفوا قبره فانهم نبشوا محمود بن سبكتكين من غزنة واحرقوا عظامه ثم ذكر ما تقدمت الاشارة اليه من استيلاء جلال الدين على خلاط وغير ذلك ثم ذكر رواحه على جسر قريب آمد وارسل له محمد الملك الاشرف ابن الملك العادل فلم يجده وعزم جلال الدين على المسير الى اصفهان ثم انثنى عزمه عنه وبات عند آمد وشرب تلك الليلة فسكر سكرا جاوز دوار الراس وتقطع الانفاس واحاط التتر به وبعسكره مصبحين

فساقهم وسطهم حرير * وصبحهم واسطهم تراب
ومن في كفه منهم قناة * كمن في كفه منهم خضاب

واحاطت اطلاب التتر بخركاه جلال الدين وهو نائم سكران فحمل بعض عسكره

المذكورة مختومة فلما استولى جنكز خان على تلك البلاد حملت اليه الصناديق المذكورة بختومها ثم ان التتر ادركوا السلطان محمد المذكور فهرب وركب في المركب ولحقه التتر ورموه بالنشاب ونجا السلطان منهم وقد حصل له مرض ذات الجنب قال ووصل الى جزيرة في البحر واقام بها فريدا طريدا لا يملك طارفا ولا تليدا والمرض يزداد وكان في اهل مازندران اناس يتقربون اليه بالمأكول وما يشتهيه فقال في بعض الايام اشتهي ان يكون عندي فرس يرعى حول خيمتي وقد ضربت له خيمة صغيرة فاهدى اليه فرس اصفر وكان للسلطان محمد المذكور ثلثون الف جشار من الخيل وكان اذا اهدى اليه احد شيئا وهو على تلك الحالة في الجزيرة من مأكول وغيره يطلق لذلك الشخص شيئا ولم يكن عنده من يكتب التواقيع فيتولى ذلك الرجل كتابة توقيعه بنفسه وكان يعطي مثل السكين والمنديل علامة باطلاق البلاد والاموال فلما تولى ابنه جلال الدين امضى جميع ما اطلقه والده بالتواقيع والعلايم ثم ادركت السلطان محمد المنية وهو بالجزيرة على تلك الحالة فغسله شمس الدين محمود بن بلاغ الجاويش ومقرب الدين مقدم الفراشين ولم يكن عنده ما يكفن به وكفن بقميصه ودفن بالجزيرة في سنة سبع عشرة وست مائة بعد ان كان بابه من دحم ملوك الارض وعظمائها يشتدون بجنابه ويتفاخرون بلثم ترابه ورقى الى درجة الملوكية جماعة من مماليكه وحاشيته فصار طشتداره وركبداره وسلحداره وجنداره وغيرهم من ارباب الوظائف كلهم ملوكا وكان في اعلامهم علامات سود يعرفون بها فعلامة الدوادار الدواة والسلحدار القوس وعلامة الطشتدار المسينة والجمدار النفجة وعلامة اميراخور النعل وعلامة الجا ويشية قبة ذهب وكان يمد السماط بين يديه ويأكل الناس ويرفع من الطعام الذي في صدر السماط الى بين يدي الاكابر اذا قعدوا على السماط للاكل وكانت الزبادي كلها ذهبية وفضية وكان السلطان محمد المذكور يختص بامور لا يشاركه فيها احد منها الجتر منشورا على رأسه اذا ركب ومنها اللكم وهي انبوبة يتخذ من الذهب الاحمر بين اذني مركوب السلطان يخرج منها المعرفة وتشد الى طرف اللجام ومنها الاعلام السود والسروج السود والنفج السود محمولة على اكتاف الجمدارية ولا تحمل لغيره على الكتف ومنها ان جنايبه كانت تجر قدامه وجنايب غيره من الملوك كانت تجر وراءهم ومنها ان اذناب ٣ خيله تلف من اوساطها مقدار شبرين ومنها الجلوس بين يديه على الركبتين لمن يريد مخاطبته قال المؤلف المذكور ثم سار جلال الدين بعد موت ابيه السلطان محمد من الجزيرة الى خوارزم ثم هرب من التتر ولحق بغزنة وجرى بينه وبين التتر من القتال ما تقدم ذكره وسار اليه جنكز خان فهرب جلال الدين من غزنة الى الهند

٣ نسخه اط بدل اذناب

في ذي القعدة توفي بالقاهرة ابو الحسن يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي النحوي الحنفي كان احد ائمة عصره في النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا وصنف تصانيف مفيدة منها منظومته الالفية المشهورة وكان مولده سنة اربع وستين وخمس مائة والزواوي منسوب الى زواوة وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من اعمال افريقية (ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة) والسلطانان الكامل والاشرف بالديار المصرية والملك المظفر بحماة مالكها ومعها المعرة واخوه الملك الناصر قليج ارسلان ببارين مالكها والعزيز محمد ابن الظاهر غازي قد استقل بملك حلب والتتر قد استولوا على بلاد العجم كلها والخليفة المستنصر بالعراق ثم ارتحل في هذه السنة الملك الكامل واخوه الملك الاشرف من ديار مصر وسارا الى البلاد الشرقية فسار الملك الكامل الى الشوبك واحتفل له الملك الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب احتفالا عظيما بالضيافات والاقامات والتقادم وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل بالجون قرب الكرك وهي منزلة الحجاج في العشر الاخير من شعبان هذه السنة ووصل اليه بالجون صاحب حماة الملك المظفر محمود ملتقيا وسافر الناصر داود مع الملك الكامل بعسكره الى دمشق واستصحب الملك الكامل معه ولده الملك الصالح نجم الدين ايوب وجعل نائبه بمصر ولده وولي عهده الملك العادل سيف الدين ابا بكر ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب ثم سار الملك الكامل ونزل سلمية واجتمع معه ملوك اهل بيته في جمع عظيم ثم سار بهم الى آمد وحصرها وتسلمها من صاحبها الملك المسعود ابن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا ارسلان ابن داود بن سقمان بن ارتق ومحمد بن قرا ارسلان المذكور هو الذي ملكه السلطان صلاح الدين آمد بعد انتزاعها من ابن نيسان وكان سبب انتزاع الملك الكامل آمد من الملك المسعود المذكور اسؤ سيرة الملك المسعود وتعرضه لحريم الناس وكان له عجوز قوادة يقال انها الا زا كانت تؤلف بينه وبين نساء الناس الاكابر ونساء الملوك ولما نزل الملك المسعود الى خدمة الملك الكامل وسلم آمد وبلادها اليه ومن جملة معاقلها حصن كيفا وهو في غاية الحصانة احسن الملك الكامل الى الملك المسعود واعطاه اقطاعا جليلا بديار مصر ثم بدت منه امور اعتقله الملك الكامل بسببها ولم يزل الملك المسعود معتقلا الى ان مات الملك الكامل فخرج من الاعتقال واتصل بحماة فاحسن اليه الملك المظفر محمود صاحب حماة ثم سافر الملك المسعود المذكور الى الشرق

وهو ارخان وكشف الستر عن الخركاة ودخل بعض الخواص واخذ بيد جلال الدين واخرجه وعليه طاقية بيضاء فاركبه الفرس وساق ارخان مع جلال الدين وتبعه التتر فقال جلال الدين لارخان انفرد عني بحيث تشتغل التتر بتبع سوادك وكان ذلك خطأ منه فان ارخان تبعه جماعة من العسكر وصاروا تقدير اربعة آلاف فارس وقصد اصفهان واستولى عليها مدة ولما انفرد جلال الدين عن ارخان ساق الى باسورة آمد فلم يمكن من الدخول الى آمد فسار الى قرية من قرى ميافارقين طالبا شهاب الدين غازي ابن الملك العادل صاحب ميافارقين ثم لحقه التتر في تلك القرية فهرب جلال الدين الى جبل هناك وبه اكراد يتخطفون الناس فاخذوه وشلحوه وارادوا قتله فقال جلال الدين لاحدهم اني انا السلطان فاستبقني اجعلك ملكا فاخذه الكردي واتى به الى امرأته وجعله عندها ومضى الكردي الى الجبل لاحضار ماله هناك فحضر شخص كردي ومعه حربة وقال للامرأة لم لاتقتلون هذا الخوارزمي فقالت المرأة لاسبيل الى ذلك فقد امنه زوجي فقال الكردي انه السلطان وقد قتل لي اخا بخلاط خيرا منه وضربه بالحربة فقتله وكان جلال الدين اسمرا قصيرا تركي السارة والعبارة وكان يتكلم بالفارسية ايضا ويكاتب الخليفة على مبدأ الامر على ماكان يكاتبه به ابوه خوارزم شاه محمد فكان يكتب خادمه المطواع منكبرني ثم بعد اخذ خلاط كاتبه بعبده وكان يكتب الى ملك الروم وملوك مصر والشام اسمه واسم ابيه ولم يرض ان يكتب لاحد منهم خادمه اواخوه اوغير ذلك وكانت علامته على تواقيعه النصرة من الله وحده وكان اذا كاتب صاحب الموصل اواشباهه يكتب له هذه العلامة تعظيما عن ذكر اسمه وكان يكتب العلامة بقلم غليظ وكان جلال الدين يخاطب بخذا وند عالم اي صاحب العالم وكان مقتله في منتصف شوال من هذه السنة اعني سنة ثمان وعشرين وستمائة وهذا مانقلناه من تاريخ محمد المنشي وهو ممن كان في خدمة جلال الدين الى ان قتل وكان كاتب الانشاء الذي له وكان محظيا متقدما عنده

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة انتهى التاريخ الكامل تأليف الشيخ عز الدين علي المعروف بابن الاثير الجزري المنقول غالب هذا المختصر منه فانه الفه من هبوط آدم الى سنة ثمان وعشرين وستمائة وتوفي عز الدين ابن الاثير المذكور في سنة ثلثين وستمائة على مانذكره ان شاء الله تعالى بعد آخر تاريخه بسنتين (وفيها)

الملك المظفر من حماة وحاصر بارين وانتزعهامن اخيه قليج ارسلان ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولما نزل قليج ارسلان الى اخيه الملك المظفر احسن اليه وسأله فى الاقامة عنده بحماة فامتنع وسار الى مصر فبذل له الملك الكامل اقطاعا جليلا واطلق له املاك جده بدمشق ثم بدا منه مالايليق من الكلام فاعتقله الملك الكامل الى ان مات قليج ارسلان المذكور فى الحبس سنة خمس وثلثين وست مائة قبل موت الملك الكامل بايام

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة توفى مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كجك وقد تقدم ذكر ملكه اربل بعد موت اخيه نور الدين يوسف ابن زين الدين على فى سنة ست وثمانين وخمس مائة لما كانا فى خدمة السلطان صلاح الدين فى الجهاد بالساحل فبقى مالكها من تلك السنة الى هذه السنة ولما مات مظفر الدين المذكور لم يكن له ولد فوصى باربل و بلادها للخليفة المستنصر فتسلمها الخليفة بعد موت مظفر الدين المذكور وكان مظفر الدين ملكا شجاعا وفيه عسف فى استخراج الاموال من الرعية وكان يحتفل بمولد النبى صلى الله عليه وسلم و ينفق فيه الاموال الجليلة (وفيها) فى شعبان توفى الشيخ عز الدين على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى ولد بجزيرة ابن عمر فى رابع جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ونشأ بها ثم صار الى الموصل مع والده واخوته وسمع بها من ابى الفضل عبد الله بن احمد الخطيب الطوسى ومن فى طبقته وقدم بغداد مرارا حاجا ورسولا من صاحب الموصل وسمع من الشيخين يعيش بن صدقة وعبد الوهاب بن على الصوفى وغيرهما ثم رحل الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل وانقطع فى بيته للتوفر على العلم وكان اماما فى علم الحديث وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بانساب العرب واخبارهم صنف فى التاريخ كتابا كبيرا سماه الكامل وهو المنقول منه غالب هذا المختصر ابتدأ فيه من اول الزمان الى سنة ثمان وعشرين وستمائة وله كتاب اخبار الصحابة فى ست مجلدات واختصر كتاب الانساب للسمعانى وهو الموجود فى ايدى الناس دون كتاب السمعانى وورد الى حلب فى سنة ست وعشرين وستمائة ونزل عند الطواشى طغريل الاتابك بحلب فاكرمه اكراما زائدا ثم سافر الى دمشق سنة سبع وعشرين ثم عاد الى حلب فى سنة ثمان وعشرين ثم توجه الى الموصل فتوفى بها فى التاريخ المذكور ونسبة الجزيرة الى ابن عمر وهو رجل من اهل برقعيد من اعمال الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بنى هذه المدينة فاضيفت اليه (ثم دخلت سنة احدى وثلثين وستمائة) فى هذه السنة فى المحرم

واتصل بالتتر فقتلوه ولما تسلم الملك الكامل آمد وبلادها رتب فيها النواب من جهته وجعل فيها ولده الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل وجعل معه شمس الدين صواب العادلي وخرجت هذه السنة والملك الكامل بالشرق ولما خرج الملك الكامل من مصر في هذه السنة خرج صحبته بنتاه فاطمة خاتون زوجة الملك العزيز صاحب حلب وغازية خاتون زوجة الملك المظفر صاحب حماة بنتا الملك الكامل وحملت كل منهما الى بعلها واحتفل لدخولهما بحماة وحلب (وفي هذه السنة) ظنا توفي علي ابن رسول النائب على اليمن واستقر مكانه ولده عمر بن علي (ثم دخلت سنة ثلثين وستمائة) في هذه السنة رجع السلطان الملك الكامل من البلاد الشرقية بعد ترتيب امورها وسار الى ديار مصر ورجع كل ملك الى بلده

(ذكر استيلاء الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب على شيزر)

وكانت شيزر بيد شهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين عثمان ابن الداية وكان سابق الدين عثمان ابن الداية المذكور واخوته من اكابر امراء نور الدين محمود بن زنكي ثم اعتقل الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين الشهيد سابق الدين عثمان ابن الداية وشمس الدين اخاه فانكر السلطان صلاح الدين عليه ذلك وجعله حجة لقصد الشام وانتزاعه من الملك الصالح اسماعيل فاتصل اولاد الداية بخدمة السلطان صلاح الدين وصاروا من اكبر امرائه وكانت شيزر اقطاع سابق الدين المذكور فاقره السلطان صلاح الدين عليها وزاده ابا قبيس لما قتل صاحبها خمارتكين ثم ملك شيزر بعده ولده مسعود ابن عثمان حتى مات وصارت لولده شهاب الدين يوسف المذكور الى هذه السنة فسار الملك العزيز صاحب حلب بامر الملك الكامل وحاصر شيزر وقدم اليه وهو على حصارها الملك المظفر محمود صاحب حماة مساعدا له فسلم شهاب الدين يوسف شيزر الى الملك العزيز ونزل الى خدمته فتسلمها في هذه السنة وهنى الملك العزيز يحيى بن خالد بن قيسراني بقوله

ياما لكا عم اهل الارض نائله * وخص احسانه الداني مع القاصي
لما رأت شيزر آيات نصرك في * ارجائها القت العاصي الى العاصي

ثم ولى الملك العزيز على شيزر واحسن الى الملك المظفر محمود صاحب حماة ورحل كل منهما الى بلده (وفي هذه السنة) استأذن الملك المظفر محمود صاحب حماة الملك الكامل في انتزاع بارين من اخيه قليج ارسلان لانه خشي ان يسلمها الى الفرنج لضعف قليج ارسلان عن مقاومتهم فأذن الملك الكامل له في ذلك فسار

الملك الكامل وصارت خرتبرت من بلاد كيقباذ وكان نزول المظفر صاحب حماة من خرتبرت يوم الاحد لسبع بقين من ذى القعدة واقام عند كيقباذ يومين ثم اطلقه وسار من عنده لخمس بقين من ذى القعدة من هذه السنة اعنى سنة احدى وثلثين وست مائة ووصل بمن معه الى الملك الكامل وهو بالسويدا من بلاد آمد ففرح به وقوى نفرة السلطان الملك الكامل يومئذ من الناصر داود صاحب الكرك فالزمه بطلاق بنته فطلقها الناصر داود واثبت الملك الكامل طلاقها منه (وفى هذه السنة) استتم بناء قلعة المعرة وكان قد اشار سيف الدين على بن ابى على الهذبانى على الملك المظفر صاحب حماة ببنائها فبناها وتمت الآن وشحنها بالرجال والسلاح ولم يكن ذلك مصلحة لان الحلبيين حاصروها فيما بعد واخذوها وخربت المعرة بسببها (وفى هذه السنة) توفى سيف الدين الآمدى وكان فاضلا فى العلوم العقلية والاصولين وغيرها واسمه على بن ابى على بن محمد بن سالم الثعلبى وكان فى مبتدأ امره حنبليا ثم انتقل وصار فقيها شافعيا واشتغل بالاصول وصنف فى اصول الفقه واصول الدين والمعقولات عدة مصنفات واقام بمصر مدة وتصدر فى الجامع وفى المدرسة الملاصقة لتربة الشافعى وتحامل عليه الفقهاء الفضلاء وعملوا محضرا ونسبوه فيه الى انحلال العقيدة ومذهب الفلاسفة وحملوا المحضر الى بعض الفقهاء الفضلاء ليكتب خطه حسبما وضعوا خطوطهم به فكتب

*حسدوا الفتى اذلم ينالوا سعيه * فالقوم اعداء له وخصوم*

ولما جرى ذلك استتر الآمدى المذكور وسار الى حماة واقام فيها مدة ثم عاد الى دمشق حتى توفى بها فى هذه السنة وكانت ولادته فى سنة احدى وخمسين وخمس مائة (وفيها) توفى الصلاح الاربلى وكان فاضلا شاعرا اميرا محظيا عند الملكين الكامل والاشرف ابنى الملك العادل (ثم دخلت سنة اثنتين وثلثين وستمائة) والملك الكامل بالبلاد الشرقية وقد انثنى عزمه عن قصد بلاد الروم للتخاذل الذى حصل فى عسكره ثم رحل وعاد الى مصر وعاد كل واحد من الملوك الى بلاده (وفيها) توفى الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين وكان قد مرض فى العسكر الكاملى فحمل الى البيرة مريضا وتوفى بها وملك البيرة بعده ابن اخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب وكان الزاهر المذكور شقيق الظاهر صاحب حلب (وفيها) توفى القاضى بهاء الدين ابن شداد فى صفر وكان عمره نحو ثلث وتسعين سنة وصحب السلطان صلاح الدين وكان قاضى عسكره ولما توفى

توفى شهاب الدين طغريل الاتابك بحلب

(ذكر مسير السلطان الملك الكامل من مصر الى قتال كيقباذ ملك بلاد الروم)

فى هذه السنة وقع من كيقباذ بن كيخسرو ملك بلاد الروم التعرض الى بلاد خلاط فرحل الملك الكامل بعساكره من مصر واجتمعت عليه الملوك من اهل بيته ونزل شمالى سلمية فى شهر رمضان من هذه السنة ثم سار بجموعه ونزل على النهر الازرق فى حدود بلاد الروم وقد ضرب فى عسكره ستة عشر دهليزا لستة عشر ملكا فى خدمته منهم اخوته الملك الاشرف موسى صاحب دمشق والملك المظفر غازى صاحب ميافارقين والملك الحافظ ارسلان شاه صاحب قلعة جعبر والصالح اسمعيل اولاد الملك العادل والملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين كان قد ارسله ابن اخيه الملك العزيز صاحب حلب مقدما على عسكر حلب الى خدمة السلطان الملك الكامل والملك الزاهر صاحب البيرة داود ابن السلطان صلاح الدين واخوه الملك الافضل موسى صاحب سميساط ابن السلطان صلاح الدين وكان قد ملكها بعد اخيه الملك الافضل على والملك المظفر محمود صاحب حماة ابن الملك المنصور محمد والملك الصالح احمد صاحب عينتاب ابن الملك الظاهر صاحب حلب والملك الناصر داود صاحب الكرك ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل والملك المجاهد شيركوه صاحب حمص ابن محمد بن شيركوه وكان قد حفظ كيقباذ ملك بلاد الروم الدربندات بالرجال والمقاتلة فلم يتمكن السلطان من الدخول الى بلاد الروم من جهة النهر الازرق وارسل بعض العسكر الى حصن منصور وهو من بلاد كيقباذ فهدموه ورحل السلطان وقطع الفرات وسار الى السويدا وقدم جاشنه تقدير الفين وخمس مائة فارس مع الملك المظفر صاحب حماة فسار الملك المظفر بهم الى خرتبرت وسار كيقباذ ملك الروم اليهم واقتتلوا فانهزم العسكر الكاملى وانحصر الملك المظفر صاحب حماة فى خرتبرت مع جملة من العسكر وجد كيقباذ فى حصارهم والملك الكامل بالسويدا وقد احس من الملوك الذين فى خدمته بالمخامرة والتقاعد فان شيركوه صاحب حمص سعى اليهم وقال ان السلطان ذكر انه متى ملك بلاد الروم فرقه على الملوك من اهل بيته عوض ما بايديهم من الشام وياخذ الشام جميعه لينفرد بملك الشام ومصر فتقاعدوا عن القتال وفسدت نياتهم وعلم الملك الكامل بذلك فما امكنه التحرك الى قتال كيقباذ لذلك ودام الحصار على الملك المظفر صاحب حماة فطلب الامان فامنه كيقباذ ونزل اليه الملك المظفر فاكرمه كيقباذ وخلع عليه ونادمه وتسلم كيقباذ خرتبرت واخذها من صاحبها وكان من الارتقية قرايب اصحاب ماردين وكان قد دخل فى طاعة

بصاحب اربل واستحضاره ويطلب الاسوة به وهي قصيدة طويلة منها

فانت الامام العدل والمعرق الذي * به شرفت انسابه ومناسبه
جمعت شتيت المجد بعد افتراقه * وفرقت جمع المال فانهال كاثبه
الا يا امير المؤمنين ومن غدت * على كاهل الجوزاء تعلو مراتبه
ايحسن في شرع المعالي ودينها * وانت الذي تعزي اليك مذاهبه
بانى اخوض الدو والدو مقفر * سآريه مغبرة وسباسبه
وقد رصد الاعداء لي كل مرصد * فكلهم نحوي تدب عقاربه

ومنها

وتسمح لي بالمال والجاه بغيتي * وماالجاه الابعض ماانت واهبه
ويأتيك غيري من بلاد قريبة * له الامن فيها صاحب لايجانبه
فيلقا دنوا منك لم الق مثله * ويحظى ومااحظى بما انا طالبه
وينظر من لالاء قدسك نظرة * فيرجع والنور الامامي صاحبه
ولو كان يعلوني بنفس ورتبة * وصدق ولاء لست فيه اصاقبه
لكنت اسلي النفس عما ارومه * وكنت اذود العين عما اراقبه
ولكنه مثلي ولو قلت انني * ازيد عليه لم يعب ذاك عايبه
وما انا ممن يملاء المال عينه * ولا بسوى التقريب تقضى مآربه

وكان الخليفة متوقفا على استحضار الناصر داود رعاية لخاطر الملك الكامل فجمع بين المصلحتين واستحضره ليلا ثم عاد الملك الناصر الى الكرك (وفي هذه السنة) سار السلطان الملك الكامل من مصر الى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من يد كيقباذ صاحب بلاد الروم وامسك اجناد كيقباذ ونوابه الذين كانوا بهما وقيدهم وارسلهم الى مصر فلم يستحسن ذلك منه ثم عاد الملك الكامل الى دمشق واقام عند اخيه الملك الاشرف حتى خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي شرف الدين محمد بن نصر بن عنين الزرعي الشاعر المشهور وكان شاعرا مفلقا وكان يكثر هجو الناس عمل قصيدة خمس مائة بيت سماها مقراض الاعراض لم يسلم منها احد من اهل دمشق ونفاه السلطان صلاح الدين الى اليمن فمدح صاحبها طغتكين بن ايوب وحصل له منه اموال كثيرة عمل بها ابن عنين متجرا وقدم به الى مصر وصاحبها حينئذ العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين فلما اخذت من ابن عنين زكاة ما معه على عادة التجار قال في العزيز

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * اهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين بون في فعالهما * هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه

صلاح الدين كان عمر القاضى المذكور نحو خمسين سنة ونال القاضى بهاء الدين المذكور من المنزلة عند اولاد صلاح الدين وعند الاتابك طغريل مالم ينلها احد ولم يكن فى ايامه من اسمه شداد بل لعل ذلك فى نسب امه فاشتهر به وغلب عليه واصله من الموصل وكان فاضلا دينا وكان اقطاعه على الملك العزيز مايزيد على مائة الف درهم فى السنة (وفيها) لما سارت الملوك الى بلادهم من خدمة الملك الكامل وصل الملك المظفر صاحب حماة ودخلها لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة واتفق مولد والده الملك المنصور محمد بعد مقدمه بيومين فى الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الاول من هذه السنة اعنى سنة اثنتين وثلثين وستمائة فتضاعف السرور بقدوم الوالد والولد قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد قصيدة طويلة فى ذلك فيها

غدا الملك محروس الذرى والقواعد * باشرف مولود لا شرف والد
حبينا به يوم الخميس كأنه * خميس بدا للناس فى شخص واحد
وسميته باسم النبى محمد * وجديه فاستوفى جميع المحامد

اى باسم جديه الملك الكامل محمد والد والدته والملك المنصور محمد صاحب حماة والد والده ومنها

كأنى به فى سدة الملك جالسا * وقد ساد فى اوصافه كل سايد
ووافاك من ابنائه وبنيهم * بانجم سعد نورها غير خامد
الا ايها الملك المظفر دعوتى * ستورى بها زندى ويشتد ساعدى
هنيئا لك الملك الذى بقدومه * ترحل عنا كل هم معاود

(وفيها) لما تفرقت العساكر الكاملية قصد كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حران والرها وحاصرهما واستولى عليهما وكانا للسلطان الملك الكامل (وفيها) توفى بالقاهرة القاسم بن عمر بن على الحموى المصرى الدار المعروف بابن الفارض وله اشعار جيدة منها قصيدته التى عملها على طريقة الفقراء وهى مقدار ست مائة بيت (ثم دخلت سنة ثلث وثلثين وست مائة) فى هذه السنة سار الناصر داود من الكرك الى بغداد ملتجيا الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف من عمه الملك الكامل وقدم الى الخليفة تحفا عظيمة وجواهر نفيسة فاكرمه الخليفة المستنصر وخلع عليه وعلى اصحابه وكان الناصر داود يظن ان الخليفة يستحضره فى ملا من الناس كما استحضر مظفر الدين صاحب اربل فلم يحصل له ذلك والح فى طلب ذلك من الخليفة فلم يجبه فعمل الناصر المذكور قصيدة يمدح المستنصر فيها ويعرض

(بصاحب)

على اخذها ثم رحلوا عنهـا بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ثم ان الفرنج اغاروا على ربض در بساك وهى حينئذ لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والاسر وعاد عسكر حلب بالاسرى ورؤس الفرنج وكانت هذه الوقعة من اجل الوقايع (وفى هذه السنة) استخدم الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل وهو بالبلاد الشرقية وهى آمد وحصن كيفا وحران وغيرها نائبا عن ابيه الخوارزمية عسكر جلال الدين منكبرتى فانهم بعد قتله ساروا الى كيقباذ ملك بلاد الروم وخدموا عنده وكان فيهم عدة مقدمين مثل بركب خان وكشلوخان وصاروخان وفرخان وبردى خان فلما مات كيقباذ وتولى ابنه كيخسرو قبض على بركب خان وهو اكبر مقدميهم ففارقت الخوارزمية حينئذ خدمته وساروا عن الروم ونهبوا ما كان على طريقهم فاستمالهم الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل واستأذن اباه فى استخدامهم فاذن له واستخدمهم (ثم دخلت سنة خمس وثلثين وست مائة) وقد استحكمت الوحشة بين الاخوين الكامل والاشرف وقد لحق الملك الاشرف الذرب وضعف بسببه وعهد بالملك الى اخيه الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل صاحب بصرى

(ذكر وفاة الملك الاشرف)

وفى هذه السنة توفى الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل ابى بكر ابن ايوب وكان قد مرض بالذرب واشتد به حتى توفى فى المحرم من هذه السنة وتملك دمشق اخوه الصالح اسماعيل بعهد منه وكان مدة ملك الاشرف دمشق ثمان سنين وشهورا وعمره نحو ستين سنة وكان مفرط السخا يطلق الاموال الجليلة النفيسة وكان ميمون النقيبة لم تنهزم له راية وكان سعيدا ويتفق له اشياء خارقة للعقل وكان حسن العقيدة وبنى بدمشق قصورا ومتنزهات حسنة وكان منهمكا فى اللذات وسماع الاغانى فلما مرض اقلع عن ذلك واقبل على الاستغفار الى ان توفى ودفن فى تربته بجانب الجامع ولم يخلف من الاولاد الا بنتا واحدة زوجها الملك الجواد يونس ابن مودود ابن الملك العادل وكان سبب الوحشة بينه وبين اخيه الملك الكامل بعد ما كان بينهما من المصافات ان الملك الاشرف لم يبق بيده غير دمشق وبلادها وكانت لاتفى بما يحتاجه ومايبذله وقت قدوم اخيه الملك الكامل الى دمشق وايضا لما فتح الملك الكامل آمد وبلادها لم يزده منها شيئا وايضا بلغه ان الملك الكامل يريد ان ينفرد بمصر والشام وينتزع دمشق منه فتغير بسبب ذلك ولما استقر الملك الصالح اسماعيل فى ملك دمشق كتب الى الملوك من اهله والى كيخسرو صاحب بلاد الروم فى اتفاقهم

ثم سار ابن عنين المذكور الى دمشق ولازم الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبقى عنده وتوفى بدمشق فى هذه السنة وديوانه مشهور (ثم دخلت سنة اربع وثلثين وستمائة) فيها عاد السلطان الملك الكامل الى الديار المصرية

(ذكر وفاة الملك العزيز صاحب حلب)

وفى هذه السنة كان قد خرج الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى حارم للصيد ورمى البندق واغتسل بماء بارد فحم ودخل الى حلب وقد قويت به الحمى واشتد مرضه وتوفى فى ربيع الاول من هذه السنة وكان عمره ثلثا وعشرين سنة وشهورا وكان حسن السيرة فى رعيته ولما توفى تقرر فى الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبير الدولة شمس الدين لولو الارمنى وعز الدين عمر بن مجلى وجمال الدولة اقبال الخاتونى والمرجع فى الامور الى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل (وفى هذه السنة) توفى علاء الدين كيقباذ ابن كيخسرو صاحب بلاد الروم وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ ابن كيخسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان بن قطلمش ابن ارسلان بن سلجوق (وفى هذه السنة) قويت الوحشة بين الملك الكامل وبين اخيه الملك الاشرف وكان ابتداؤها ما فعله شيركوه صاحب حمص لما قصد الملك الكامل بلاد الروم فاتفق الملك الاشرف مع صاحبة حلب ضيفة خاتون اخت الملك الكامل ومع باقى الملوك على خلاف الملك الكامل خلا الملك المظفر صاحب حماة فلما امتنع تهدده الملك الاشرف بقصد بلاده وانتزاعها منه فقدم من ذلك خوفا الى دمشق وحلف للملك الاشرف ووافقه على قتال الملك الكامل وكاتب الملك الاشرف كيخسرو صاحب بلاد الروم واتفق معه على قتال اخيه الملك الكامل ان خرج من مصر وارسل الملك الاشرف يقول للناصر داود صاحب الكرك انك ان وافقتنى جعلتك ولى عهدى واوصيت لك بدمشق وزوجتك بابنتى فلم يوافقه الناصر على ذلك لسوء حظه ورحل الى الديار المصرية الى خدمة الملك الكامل وصار معه على ملوك الشام فسر به الملك الكامل وجدد عقده على ابنته عاشورا التى طلقها منه واركب الناصر داود بسناجق السلطنة ووعده انه ينتزع دمشق من الملك الاشرف اخيه ويعطيه اياها وامر الملك الكامل امراء مصر وولده الملك العادل ابا بكر ابن الملك الكامل فحملوا الغاشية بين يدى الملك الناصر داود وبالغ فى اكرامه (وفى هذه السنة) توجه عسكر حلب مع الملك المعظم توران شاه عم الملك العزيز فحاصروا بغراس وكان قد عمرها الداوية بعدما فتحها السلطان صلاح الدين وخربها واشرف عسكر حلب

نائبا نحو عشرين وملكا نحو عشرين وكان الملك الكامل ملكا جليلا مهيبا حازما حسن التدبير امنت الطرق فى ايامه وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه واستوزر فى اول ملكه وزير ابيه صفى الدين ابن شكر فلما مات ابن شكر لم يستوزر احدا بعده وكان يخرج الملك الكامل بنفسه فينظر فى امور الجسور عند زيادة النيل واصلا حها فعمرت فى ايامه ديار مصر اتم العمارة وكان محبا للعلماء ومجالستهم وكانت عنده مسائل غريبة فى الفقه والنحو يمتحن بها الفضلاء اذا حضروا فى خدمته وكان كثير السماع للاحاديث النبوية تقدم عنده بسببها الشيخ عمر بن دحية و بنى له دار الحديث بين القصرين فى الجانب الغربى وكانت سوق الاداب والعلوم عنده نافقة رحمه الله تعالى وكان اولاد الشيخ صدر الدين ابن حمويه من اكابر دولته وهم الامير فخر الدين ابن الشيخ واخوته عماد الدين وكمال الدين ومعين الدين اولاد الشيخ المذكور وكل من اولاد الشيخ المذكور حاز فضيلتى السيف والقلم فكان يباشر التدريس ويتقدم على الجيش ولما مات السلطان الملك الكامل بدمشق كان معه بها الملك الناصر داود صاحب الكرك فاتفق اراء الامراء على تحليف العسكر للملك العادل ابى بكر ابن الملك الكامل وهو حينئذ نائب ابيه بمصر فحلف له جميع العسكر واقاموا فى دمشق الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل ابو بكر بن ايوب نائبا عن الملك العادل ابى بكر ابن الملك الكامل وتقدمت الامراء الى الملك الناصر داود بالرحيل عن دمشق وهددوه ان اقام فرحل الملك الناصر داود الى الكرك وتفرقت العساكر فسار اكثرهم الى مصر وتأخر مع الجواد يونس بعض العسكر ومقدمهم عماد الدين ابن الشيخ وبقى يباشر الامور مع الملك الجواد ولما بلغ شيركوه صاحب حمص وفاة الملك الكامل فرح فرحا عظيما واتاه فرج ماكان يطمع نفسه به واظهر سرورا عظيما ولعب بالكرة على خلاف العادة وهو فى عشر السبعين واما الملك المظفر صاحب حماة فانه حزن لذلك حزنا عظيما ورحل من الرستن وعاد الى حماة واقام فيها للعزاء وارسل صاحب حمص ارتجع سلمية من نواب الملك المظفر وقطع القناة الواصلة من سلمية الى حماة فيبست بساتينها ثم عزم على قطع النهر العاصى عن حماة فسد مخرجه من بحيرة قدس التى بظاهر حمص فبطلت نواعير حماة والطواحين وذهب ماء العاصى فى اودية بجوانب البحيرة ثم لما لم يجد له الماء مسلكا عاد فهدم ما عمله صاحب حمص وجرى كما كان اولا وكذلك كان قد حصل لصاحب حلب ولعسكرها الخوف من الملك الكامل فلما بلغهم موته امنوا من ذلك

(ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصارهم حماة)

معه على اخيه الملك الكامل فوافقوه على ذلك الا الملك المظفر صاحب حماة وارسل الملك المظفر رسولا الى الملك الكامل يعرفه انتماءه اليه وانه انما وافق الملك الاشرف خوفا منه فقبل الملك الكامل عذره وتحقق صدق ولائه ووعده بانتزاع سلمية من صاحب حمص وتسليمها اليه

(ذكر مسير السلطان الملك الكامل الى دمشق واستيلائه عليها ووفاته)

وما يتعلق بذلك لما بلغ الملك الكامل وفاة اخيه الملك الاشرف سار الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك وهو لا يشك ان الملك الكامل يسلم اليه دمشق لما كان قد تقرر بينهما واما الملك الصالح اسمعيل فانه استعد للحصار ووصل اليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص ونازل الملك الكامل دمشق واخرج الملك الصالح اسمعيل النفاطين فاحرق العقيبة جميعها وما بها من خانات واسواق وفي مدة الحصار وصل من عند صاحب حمص رجالة يزيدون على خمسين راجلا نجدة للصالح اسمعيل وظفر بهم الملك الكامل فشنقهم بين البساتين عن آخرهم وحال نزول الملك الكامل على دمشق ارسل توقيعا للملك المظفر صاحب حماة بسلمية فتسلمها الملك المظفر واستقرت نوابه بها وكان نزول الملك الكامل على دمشق في جمادى الاولى من هذه السنة في قوة الشتاء ثم سلم الملك الصالح اسمعيل دمشق الى اخيه الملك الكامل وتعوض عنها بعلبك والبقاع مضافا الى بصرى وكان قد ورد من الخليفة المستنصر محيى الدين يوسف ابن الشيخ جمال الدين ابن الجوزى رسولا للتوفيق بين الملوك فتسلم الملك الكامل دمشق لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وكان الملك الكامل شديد الحنق على شيركوه صاحب حمص فامر العسكر فبرزوا لقصد حمص وارسل الى صاحب حماة وامره بالمسير اليها فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن واشتد خوف شيركوه صاحب حمص وتخضع للملك الكامل وارسل اليه نساءه ودخلن على الملك الكامل فلم يلتفت الى ذلك ثم بعد استقرار الملك الكامل في دمشق لم يلبث غير ايام حتى مرض واشتد مرضه وكان سببه انه لما دخل قلعة دمشق اصابه زكام فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة الى معدته وتورمت منها وحصل له حمى ونهاه الاطباء عن القيء وخوفوه منه فلم يقبل وتقيأ فات او قته وعمره نحو ستين سنة وكانت وفاته لتسع بقين من رجب من هذه السنة اعنى سنة خمس وثلثين وست مائة وكان بين موته وموت اخيه الملك الاشرف نحو ستة اشهر وكانت مدة ملكه لمصر من حين مات ابوه عشرين سنة وكان بها نائبا قبل ذلك قريبا من عشرين سنة فحكم في مصر نائبا وملكا نحو اربعين سنة واشبه حاله حال معاوية بن ابي سفيان فانه حكم في الشام

المظفر ان تخرج بعرين بسبب قلعتهسا فتقدم بهدمهسا فهدمت الى الارض في هذه السنة

(ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على دمشق)

وفي هذه السنة في جمادى الآخرة استولى الملك الصالح ايوب ابن السلطان الملك الكامل على دمشق واعمالها بتسليم الملك الجواد يونس واخذ العوض عنهسا سنجار والرقة وعانة وكان سبب ذلك ان الملك العادل ابن الملك الكامل صاحب مصر لما علم باستيلاء الملك الجواد على دمشق ارسل اليه عماد الدين ابن الشيخ لينتزع دمشق منه وان يعوض عنها اقطاعا بمصر فخاف الجواد يونس الى تسليمها الى الملك الصالح حسبما ذكرناه وجهز على عماد الدين ابن الشيخ من وقف له بقصة فلما اخذها عماد الدين منه ضربه ذلك الرجل بسكين فقتله ولما وصل الملك الصالح ايوب الى دمشق وصل معه الملك المظفر صاحب حماة معاضدا له وكان قد لاقاه الى اثناء الطريق واستقر الملك الصالح ايوب المذكور في ملك دمشق وسار الجواد يونس الى البلاد الشرقية المذكورة فتسلمها ولما استقر ملك الملك الصالح بدمشق وردت عليه كتب المصريين يستدعونه الى مصر ليملكهسا وسأله الملك المظفر صاحب حماة في منازلة حمص واخذها من شيركوه فبرز الى الثنية وكان قد نازلت الخوارزمية وصاحب حماة حمص فارسل شيركوه مالا كثيرا وفرقه في الخوارزمية فرحلوا عنه الى البلاد الشرقية ورحل صاحب حماة الى حماة ثم كر الملك الصالح عايدا الى دمشق طالبا مصر وسار من دمشق الى خربة اللصوص وعيد بهسا عيد رمضان ووصل اليه بعض عساكر مصر مفقزين ولما خرج الملك الصالح من دمشق جعل نائبه فيها ولده الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح وشرع الملك الصالح يكاتب عمه الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ويستدعيه اليه وعمه اسماعيل المذكور يحتج ويعتذر عن الحضور ويظهر له انه معه وهو يعمل في الباطن على ملك دمشق واخذها من الصالح ايوب وكان قد سافر الملك الناصر صاحب الكرك الى مصر واتفق مع الملك العادل ابي بكر ابن الملك الكامل على قتال الملك الصالح ايوب ووصل ايضا في هذه السنة محي الدين ابن الجوزي رسولا من الخليفة ليصلح بين الاخوين العادل صاحب مصر والصالح ايوب المستولي على دمشق وهذا محي الدين هو الذي حضر ليصلح بين الكامل والاشرف فاتفق انه مات في حضوره في سنة اربع وثلثين وخمس وثلثين اربعة من السلاطين العظماء وهم الملك الكامل صاحب مصر واخوه الاشرف صاحب دمشق والعزيز صاحب حلب وكيقباذ صاحب بلاد الروم فقال في ذلك ابن المنجف احد شعراء دمشق

ولما بلغ الحلبيين موت الكامل اتفقت آراؤهم على اخذ المعرة ثم اخذ حماة من الملك المظفر صاحب حماة لموافقته الملك الكامل على قصدهم ووصل عسكر حلب الى المعرة وانتزعوها من يد الملك المظفر صاحب حماة وحاصروا قلعتها وخرجت المعرة حينئذ عن ملك الملك المظفر صاحب حماة ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين الى حماة بعد استيلائهم على المعرة ونازلوا حماة وبها صاحبها الملك المظفر ونهب العسكر الحلبي بلاد حماة واستمر الحصار على حماة حتى خرجت هذه السنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فى هذه السنة عقد لسلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو العقد على غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهى صغيرة حينئذ وتولى القبول عن ملك بلاد الروم قاضى دوقات ثم عقد للملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على اخت كيخسرو وهى ملكة خاتون بنت كيقباذ بن كيخسرو بن قليج ارسلان وام ملكة خاتون المذكورة بنت الملك العادل ابى بكر بن ايوب وكان قد زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ المذكور وخطب لغياث الدين كيخسرو بحلب (وفيها) خرجت الخوارزمية عن طاعة الملك الصالح ايوب بعد موت ابيه الملك الكامل ونهبوا البلاد (وفيها) سار لولو صاحب الموصل وحاصر الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل بسنجار فارسل الملك الصالح واسترضى الخوارزمية وبذل لهم حران والرها فعادوا الى طاعته واتقع مع بدر الدين لولو صاحب الموصل فانهزم لولو وعسكره هزيمة قبيحة وغنم عسكر الملك الصالح منهم شيئا كثيرا (وفى هذه السنة) جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك و بين الملك الجواد يونس المتولى على دمشق مصاف بين جينين ونابلس انتصر فيه الملك الجواد يونس وانهزم الملك الناصر داود هزيمة قبيحة وقوى الملك الجواد بسبب هذه الوقعة وتمكن من دمشق ونهب عسكر الملك الناصر واثقاله (وفى اواخر) هذه السنة ولد والدى الملك الافضل نور الدين على ابن الملك المظفر صاحب حماة (ثم دخلت سنة ست وثلثين وست مائة) فى هذه السنة رحل عسكر حلب المحاصرة لحماة بعد مولد الملك الافضل وكان قد طالت مدة حصارهم لحماة وضجروا فتقدمت اليهم ضيفة خاتون صاحبة حلب بنت الملك العادل بالرحيل عنها فرحلوا وضاق الامر على الملك المظفر فى هذا الحصار وانفق فيه اموالا كثيرة واستمرت المعرة فى يد الحلبيين وسلمية فى يد صاحب حمص ولم يبق بيد الملك المظفر غير حماة وبعرين ولما جرى ذلك خاف الملك

(المظفر)

وغيره في حبسه بحمص والذي سلم وبقي الى بعد موت شيركوه خلص ولما جرى ذلك ضعف الملك المظفر صاحب حماة ضعفا كثيرا واما الملك الصالح ايوب فلما بلغه قصد عمه اسمعيل دمشق رحل من نابلس الى الغور فبلغه استيلاء عمه على قلعة دمشق واعتقال ولده المغيث عمرففسدت نيات عساكره عليه وشرعت الامراء ومن معه من الملوك يتحركون نقارا تهم ويرحلون مفارقين الصالح ايوب الى الصالح اسمعيل بدمشق فلم يبق عند الصالح ايوب بالغور غير مماليكه واستاذ داره حسام الدين ابن ابي علي واصبح الملك الصالح ايوب لايدري مايفعل ولاله موضع يقصده فقصد نابلس ونزل بها بمن بقي معه وسمع الناصر داود بذلك وكان قد وصل من مصر الى الكرك فنزل بعسكره وامسك الملك الصالح ايوب وارسله الى الكرك واعتقله بهاوامر بالقيام في خدمته بكل مايختاره ولما اعتقل الصالح ايوب بالكرك تفرق عنه باقي اصحابه ومماليكه ولم يبق منهم معه غير عدة يسيرة ولما جرى ذلك ارسل اخو الصالح الملك العادل ابو بكر صاحب مصر يطلبه من الملك الناصر داود فلم يسلمه الناصر داود فارسل الملك العادل و تهدد الملك الناصر باخذه بلاده فلم يلتفت الى ذلك

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة بعد اعتقال الملك الصالح بالكرك قصد الناصر داود القدس و كان الفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة وخرب برج داود ايضا فانه لما خربت القدس اولا لم يخرب برج داود فخرب به في هذه المرة (وفي هذه السنة) توفي الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص ابن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي وكانت مدة ملكه بحمص نحو ست وخمسين سنة لان صلاح الدين ملكه حمص سنة احدى و ثمانين وخمس مائة بعد موت ابيه محمد بن شيركوه وكان عمره يومئذ نحو اثنتي عشرة سنة وكان شيركوه المذكور عسوفا لرعيته وملك حمص بعده ولده الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه (وفي هذه السنة) استولى بدر الدين لولو صاحب الموصل على سنجار واخذها من الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل

(ذكر خروج الملك الصالح ايوب من الاعتقال والقبض على اخيه)
(الملك العادل صاحب مصر وملك الملك الصالح ايوب ديار مصر)

وفي هذه السنة في اواخر رمضان افرج الملك الناصر داود صاحب الكرك عن ابن عمه الملك الصالح ايوب واجتمعت عليه مماليكه وكاتبه البهاء زهير وسار الناصر داود

يا امام الهدى ابا جعفر المنـ * ـصور يا من له الفخار الاثيل
ماجرى من رسولك الآن محيى الدين فى هذه البلاد قليل
جاء والارض بالسلاطين تزهى * وغدا والديار منهم طلول
اقفر الروم والشآم ومصر * افهذا مغسل ام رسول

(ثم دخلت سنة سبع وثلثين وست مائة) فى هذه السنة فى صفر سار الملك الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما وهجموا دمشق وحصروا القلعة وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح ايوب وكان الملك الصالح ايوب بنابلس لقصد الاستيلاء على ديار مصر وكان قد بلغه سعى عمه اسماعيل فى الباطن وكان للصالح ايوب طبيب يثق به يقال له الحكيم سعد الدين الدمشقى فارسله الصالح ايوب الى بعلبك ومعه قفص من حمام نابلس ليطالعه باخبار الصالح صاحب بعلبك وحال وصول الحكيم المذكور علم به صاحب بعلبك فاستحضره واكرمه وسرق الحمام التى لنابلس وجعل موضعها حمام بعلبك ولم يشعر الطبيب المذكور بذلك فصار الطبيب المذكور يكتب ان عمك اسماعيل قد جمع وهو فى نية قصد دمشق ويطبق فيقعد الطير ببعلبك فيأخذ الصالح اسماعيل البطاقة ويزور على الحكيم ان عمك اسماعيل قد جمع ليعاضدك وهو واصل اليك ويسرحه على حمام نابلس فيعتمد الصالح ايوب على بطاقة الحكيم ويترك مايرد اليه من غيره من الاخبار واتفق ايضا ان الملك المظفر صاحب حماة علم بسعى الصالح اسماعيل صاحب بعلبك فى اخذ دمشق مع خلوها ممن يحفظها فجهز نائبه سيف الدين على بن ابى على ومعه جماعة من عسكر حماة وغيرهم وجهز معه من السلاح والمال شيئا كثيرا ليصل الى دمشق ويحفظها لصاحبها واظهر الملك المظفر وابن ابى على انهما قد اختصما وان ابن ابى على قد غضب واجتمع معه هذه الجماعة وقد قصدوا فراق صاحب حماة لانه يريد ان يسلم حماة للفرنج كل ذلك خوفا من صاحب حمص شيركوه لئلا يقصد ابن ابى على ويمنعه فلم تخف عن شيركوه هذه الحيلة ولما وصل ابن ابى على الى بحيرة حمص قصده شيركوه واظهر انه مصدقه فيما ذكر وسأله الدخول الى حمص ليضيفه واخذ ابن ابى على معه وارسل من استدعى باقى اصحاب ابن ابى على الى الضيافة فمنهم من سمع ودخل الى حمص ومنهم من هرب فسلم فلما حصلوا عنده بحمص قبض على ابن ابى على وعلى جميع من دخل حمص من الحمويين واستولى على جميع ماكان معهم من السلاح والخزانة و بقى يعذبهم ويطلب منهم اموالهم حتى استصفاها ومات ابن ابى على

(وغيره)

الملك المظفر قرا ارسلان بن غازى بن ارتق ارسلان وكانت وفاة المظفر قرا ارسلان المذكور سنة احدى وتسعين وستمائة ظنا ثم ملك بعده ولده الاكبر شمس الدين داود بن قرا ارسلان سنة وتسعة اشهر ثم توفى وملك بعده اخوه الملك المنصور نجم الدين غازى بن قرا ارسلان فى سنة ثلث وتسعين وستمائة ظنا ونقلت وفيات المذكورين حسبما هو مشروح من تقويم حل ماردين ذكر فيه تواريخ بنى ارتق ولم اتحقق صحة ذلك وسنذكر فى سنة اثنتى عشرة وسبع مائة وفاة الملك المنصور غازى المذكور فى سنة اثنتى عشرة وسبع مائة ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة ثمان وثلثين وست مائة) فى هذه السنة قبض الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل بعد استقراره فى ملك مصر على ايبك الاسمر مقدم المماليك الاشرفية وعلى غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا على اخيه واودعهم الحبوس واخذ فى انشاء مماليكه وشرع الملك الصالح ايوب المذكور من هذه السنة فى بناء قلعة الجزيرة واتخذها مسكنا لنفسه (وفيها) نزل الملك الحافظ ارسلان شاه ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب عن قلعة جعبر وبالس وسلمهما الى اخته ضيفة خاتون صاحبة حلب وتسلم عوض ذلك اعزاز وبلادا معها تساوى ما نزل عنه وكان سبب ذلك ان الملك الحافظ المذكور اصابه فالج وخشى من اولاده وتغلبهم عليه ففعل ذلك لانه كان ببلاد قريبة الى حلب لا يمكنهم التعرض اليه (وفى هذه السنة) كثر عبث الخوارزمية وفسادهم بعد مفارقة الملك الصالح أيوب البلاد الشرقية وساروا الى قرب حلب فخرج اليهم عسكر حلب مع الملك المعظم توران شاه ابن صلاح الدين ووقع بينهم القتال فانهزم الحلبيون هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين واسر مقدم الجيش الملك المعظم المذكور واستولى الخوارزميون على ثقال الحلبيين واسروا منهم عدة كثيرة ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشترى غيره نفسه منهم به فاخذوا بذلك شيئا كثيرا ثم نزل الخوارزمية بعد ذلك على جبلان وكثر عبثهم وفسادهم ونهبهم فى بلاد حلب وجفل اهل الحواضر والبلاد ودخلوا مدينة حلب واستعد اهلها للحصار وارتكب الخوارزمية من الزنا والفواحش والقتل ما ارتكبوه التتر ثم سارت الخوارزمية الى منبج وهجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الاول من هذه السنة وفعلوا من القتل والنهب مثل ما تقدم ذكره ثم رجعوا الى بلادهم وهى حران وما معها بعد ان اخربوا بلد حلب

(ذكر عود الخوارزمية الى بلد حلب وغيرها)

ثم ان الخوارزمية رحلوا من حران وقطعوا الفرات من الرقة ووصلوا الى الجبول ثم الى تل اعزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون

وصحبته الصالح ايوب الى قبة الصخرة وتحالفا بها على ان تكون ديار مصر للصالح ودمشق والبلاد الشرقية للناصر داود ولما تملك الصالح ايوب لم يف للناصر بذلك وكان يتاول فى يمينه انه كان مكرها ثم سار الى غزة فلما بلغ العادل صاحب مصر ظهور امر اخيه الصالح عظم عليه وعلى والدته ذلك وبرز بعسكر مصر ونزل على بلبيس لقصد الناصر داود والصالح اخيه وارسل الى عمه الصالح اسمعيل المستولى على دمشق ان يبرز ويقصدهما من جهة الشام وان يستأصلهما فسار الصالح اسمعيل بعساكر دمشق ونزل الفوار فبينا الناصر داود والصالح ايوب فى هذه الشدة وهما بين عسكرين قد احاطا بهما اذ ركبت جماعة من المماليك الاشرفية ومقدمهم ايبك الاسمر واحاطوا بدهليز الملك العادل ابى بكر ابن الملك الكامل وقبضوا عليه وجعلوه فى خيمة صغيرة وعليه من يحفظه وارسلوا الى الملك الصالح ايوب يستدعونه فاتاه فرج لم يسمع بمثله وسار الملك الصالح ايوب والملك الناصر داود الى مصر وبقى فى كل يوم يلتقى الملك الصالح فوج بعد فوج من الامراء والعسكر وكان القبض على الملك العادل ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة من هذه السنة فكانت مدة ملكه نحو سنتين ودخل الملك الصالح ايوب الى قلعة الجبل بكرة الاحد لست بقين من الشهر المذكور وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه وحصل للملك المظفر صاحب حماة من السرور والفرح بملك الملك الصالح مصر ما لا يمكن شرحه فانه ما زال على ولائه حتى انه لما امسك بالكرك كان يخطب له بحماة وبلادها ولما استقر الملك الصالح ايوب فى ملك مصر وصحبته الناصر داود حصل عند كل واحد منهما استشعار من صاحبه وخاف الناصر داود ان يقبض عليه فطلب دستورا وتوجه الى بلاده الكرك وغيرها

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

فى هذه السنة وقيل فى سنة ست وثلثين توفى ناصر الدين ارتق ارسلان ابن ايلغازى بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان يلقب الملك المنصور وملك المذكور ماردين بعد اخيه حسام الدين بولق ارسلان حسبما تقدم ذكره فى سنة ثمانين وخمس مائة وبقى ارتق ارسلان متغلبا عليه مملوك والده البقش حتى قتله ارتق ارسلان فى سنة احدى وستمائة واستقل ارتق ارسلان بملك ماردين حتى توفى فى هذه السنة ولما مات الملك المنصور ارتق ارسلان ملك بعده ابنه الملك السعيد نجم الدين غازى بن ارتق ارسلان المذكور حتى توفى فى سنة ثلث وخمسين وستمائة ظنا ثم ملك بعده فى السنة المذكورة ابنه

ويونس المذكور غائب عنها واستولى عليها ولم يبق بيد يونس من البلاد شيء
فسار على البرية الى غزة وارسل الى الملك الصالح ايوب صاحب مصر يسأله
في المصير اليه فلم يجبه الى ذلك فسار يونس حينئذ ودخل الى عكا واقام
مع الفرنج وأرسل الصالح اسمعيل صاحب دمشق حينئذ وبذل مالا للفرنج وتسلم
الملك الجواد يونس المذكور من الفرنج واعتقله ثم خنقه (وفي هذه السنة)
ولى الملك الصالح ايوب الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام القضاء بمصر
والوجه القبلي وكان عز الدين المذكور بدمشق فلما قوي خوف الصالح اسمعيل
صاحب دمشق من ابن اخيه الصالح ايوب صاحب مصر سلم الصالح اسمعيل
صفد والشقيف الى الفرنج ليعضدوه ويكونوا معه على ابن اخيه الصالح ايوب
فعظم ذلك على المسلمين واكثر الشيخ عز الدين بن عبد السلام التشنيع على
الصالح اسمعيل بسبب ذلك وكذلك جمال الدين ابو عمرو بن الحاجب ثم خافا
من الصالح اسمعيل فسار عز الدين ابن عبد السلام الى مصر وتولى بها القضاء
كرها وسار جمال الدين ابو عمرو بن الحاجب الى الكرك واقام عند الملك
الناصر داود صاحب الكرك ونظم له مقدمة الكافية في النحو ثم بعد ذلك
سافر ابن الحاجب الى الديار المصرية (ثم دخلت سنة تسع وثلاثين
وستمائة) والصالح اسمعيل صاحب دمشق والمنصور ابرهيم بن شيركوه صاحب
حمص وصاحب حلب متفقون على عداوة الملك الصالح ايوب صاحب مصر
ولم يوافقهم صاحب حماه على ذلك واخلص في الولاء الى صاحب مصر
(وفي هذه السنة) اتفقت الخوارزمية مع الملك المظفر غازي صاحب
ميافارقين ابن الملك العادل (وفيها) في شعبان اصاب جدي الملك المظفر صاحب
حماه الفالج وهو جالس بين اصحابه في قلعة حماه وبقي اياما لا يتكلم ولا يتحرك
وكان ذلك في اواخر فصل الشتاء وارجف الناس بموته وقام بتدبير المملكة
مملوكه واستاذ داره سيف الدين طغريل ثم خف مرض الملك المظفر وفتح
عينيه وصار يتكلم بالكلمة والكلمتين لا يكاد يفهم وكان العاطب الجانب الايمن
منه وبعث اليه الصالح صاحب مصر طبيبا حاذقا نصرانيا يقال له النفيس
ابن طليب فلم ينجع فيه المداواة واستمر على ذلك الى ان توفي بعد سنتين وكسر
على ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) في ذي الحجة توفي الملك
الحافظ نور الدين ارسلان شاه ابن الملك العادل بن ايوب صاحب اعزاز وهي التي
تعوضها عن قلعة جعبر ونقل الى حلب فدفن في الفردوس وتسلم نواب الملك
الناصر يوسف صاحب حلب قلعة اعزاز واعمالها (وفيها) في شعبان
توفي الشيخ العلامة كمال الدين موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العقيـ

مايجدونه فان الناس جفلوا من بين ايديهم وكان قد وصل الملك المنصور ابرهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عسكر من عسكر الصالح اسمعيل المستولي على دمشق نجدة للحلبيين فاجتمع الحلبيون مع صاحب حمص المذكور وقصدوا الخوارزمية واستمرت الخوارزمية على ماهم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان ثم رحلت الخوارزمية الى جهة حماة ولم يتعرضوا الى نهب لانتماء صاحبها الملك المظفر الى الملك الصالح ايوب ثم سارت الخوارزمية الى سلمية ثم الى الرصافة طالبين الرقة وسار عسكر حلب من تل السلطان اليهم ولحقتهم العرب فارمت الخوارزمية ماكان معهم من المكاسب وسيبوا الاسرى ووصلت الخوارزمية الى الفرات في اواخر شعبان في هذه السنة ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص ابرهيم قاطع صفين فعمل لهم الخوارزمية ستايرا ووقع القتال بينهم الى الليل فقطع الخوارزمية الفرات وساروا الى حران فسار عسكر حلب الى البيرة وقطعوا الفرات منها وقصدوا الخوارزمية والتقوا قريب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة فولى الخوارزمية منهزمين وركب صاحب حمص وعسكر حلب اقفيتهم يقتلون ويأسرون الى ان حال الليل بينهم ثم سار عسكر حلب الى حران فاستولوا عليها وهربت الخوارزمية الى بلد عانة وبادر بدر الدين اولو صاحب الموصل الى نصيبين ودارا وكانتا للخوارزمية فاستولى عليهما وخلص من كان بهما من الاسرى وكان منهم الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين اسيرا في بلدة دارا من حين اسروه في كسرة الحلبيين فحمله بدرالدين اولو الى الموصل وقدم له ثيابا وتحفا وبعث به الى عسكر حلب واستولى عسكر حلب على الرقة والرها وسروج ورأس عين وما مع ذلك واستولى صاحب حمص المنصور ابرهيم على بلد الخابور ثم سار عسكر حلب ووصل اليهم نجدة من الروم وحاصروا الملك المعظم ابن الملك الصالح ايوب بآمد وتسلموها منه وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيثم ولم يزل ذلك بيده حتى توفي ابوه الملك الصالح ايوب بمصر وسار اليها المعظم المذكور على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وبقي ولد المعظم وهو الملك الموحد عبدالله ابن المعظم تورانشاه ابن الصالح ايوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب مالكا لحصن كيفا الى ايام التتر وطالت مدته بها

(ذكر ماكان من الملك الجواد يونس)

في هذه السنة كان هلاك الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل وصورة ما جرى له انه كان قد استولى بعد ملك دمشق على سنجار وعانة فباع عانة من الخليفة المستنصر بمال تسلمه منه وسار اولو صاحب الموصل وحاصر سنجار

وصاحب حمص الى حلب فى مستهل جمادى الاولى مؤيد بن منصور بن

(ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب وهى والدة الملك العزيز)

وفى هذه السنة فى ليلة الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى توفيت ضيفة خاتون بنت الملك العادل ابى بكر بن ايوب وكان مرضها قرحة فى مراق البطن وحمى ودفنت بقلعة حلب وكان مولدها سنة احدى او اثنتين وثمانين وخمس مائة بقلعة حلب حين كانت حلب لابيها الملك العادل قبل ان ينتزعها منه اخوه السلطان صلاح الدين ويعطيها ابنه الظاهر غازى فاتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب ولما ولدت كان عند ابيها الملك العادل ضيف فسماها ضيفة فكانت مدة عمرها نحو تسع وخمسين سنة وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد تزوج قبل ضيفة خاتون باختها غازية وتوفيت فلما توفيت غازية تزوج باختها ضيفة خاتون المذكورة وكانت ضيفة خاتون قد ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت فى الملك تصرف السلاطين وقامت بالملك احسن قيام وكانت مدة ملكها نحو ست سنين ولما توفيت كان عمر ابن ابنها الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فاشهد عليه انه بلغ وحكم واستقل بمملكة حلب وما هو مضاف اليها والمرجع فى الامور الى جمال الدين اقبال الاسود الخصى الخاتونى

(ذكر وفاة المستنصر بالله)

وفى هذه السنة توفى المستنصر بالله ابو جعفر المنصور ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر احمد بكرة الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة الا شهرا وكان حسن السيرة عادلا فى الرعية وهو الذى بنى المدرسة ببغداد المسماة بالمستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقى مما يلى دار الخلافة وجعل لها اوقافا جليلة على انواع البر ولما مات المستنصر اتفق اراء ارباب الدولة مثل الدوادار والشرابى على تقليد الخلافة ولده عبد الله ولقبوه المستعصم بالله وهو سابع ثلاثينهم وآخرهم وكنيته ابو احمد ابن المستنصر بالله منصور وكان عبد الله المستعصم ضعيف الرأى فاستبد كبراء دولته بالامر وحسنوا له قطع الاجناد وجمع المال ومداراة التتر ففعل ذلك وقطع اكثر العساكر (ثم دخلت سنة احدى واربعين وست مائة) فى هذه السنة قصدت التتر بلاد غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج ارسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم فارسل واستنجد بالحلبيين فارسلوا اليه نجدة مع ناصح الدين الفارسى وجمع العساكر من كل جهة والتقى مع التتر فانهزمت عساكر الروم هزيمة قبيحة وقتل التتر

الشافعي كان امام وقته في مذهب الشافعي وغيره وكان يشتغل الحنفيون عليه في مذهب ابي حنيفة ويحل الجامع الكبير في مذهب ابي حنيفة وكان متقنا علم المنطق والطبيعي والالهي وكان اماما مبرزا في العلم الرياضي واتقن المجسطي واقليدس والموسيقى والحساب بانواعه وكان اهل الذمة يقرؤن عليه التورية والانجيل وشرح لهم هذين الكتابين شرحا يعترفون انهم لا يجدون من يوضح لهم مثله وكان اماما في العربية والتصريف وكان يقرى كتاب سيبويه والمفصل وغيرهما وكذلك كان اماما في التفسير والحديث وقدم الشيخ اثير الدين الابهري واسعد المفضل بن عمر بن المفضل الى الموصل واشتغل على الشيخ كمال الدين المذكور وكان الشيخ اثير الدين الابهري المذكور حينئذ اماما مبرزا في العلوم ومع ذلك يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه قال القاضي شمس الدين ابن خلكان ولقد شاهدت بعيني اثير الدين الابهري وهو يقرأ المجسطي على الشيخ كمال الدين بن يونس المذكور واستمر سنين عديدة يشتغل عليه وكان الاثير اذ ذاك صاحب تصانيف يشتغل فيها الناس وقصد تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الفقيه الشافعي الشيخ كمال الدين المذكور وسأله في ان يقريه المنطق سرا وتردد ابن الصلاح الى الشيخ كمال الدين مدة يقرأ عليه المنطق ولا يفهمه فقال له ابن يونس المذكور يا فقيه المصلحة عندي ان نترك الاشتغال بهذا الفن فقال له ابن الصلاح ولم ذلك فقال لان الناس يعتقدون فيك الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن الى فساد الاعتقاد فكانك تفسد عقايدهم فيك ولا يصح لك من هذا الفن شئ فقبل ابن الصلاح اشارته وترك قراءته وكان الشيخ كمال الدين ابن يونس المذكور يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه وكانت تعتريه غفلة لاستيلاء الفكرة عليه فعمل فيه بعضهم

(اجدك ان قد جاد بعد التعبس * غزال بوصل لي واصبح مونسي)

(وعاطيته صهباء من فيه مزجها * كرقة شعري او كدين ابن يونس)

وكانت ولادته في صفر سنة احدى وخمسين وخمس مائة بالموصل وبها توفي في التاريخ المذكور رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة اربعين وستمائة)

(وفي هذه السنة) كان بين الخوارزمية ومعهم الملك المظفر غازي صاحب ميافارقين وبين عسكر حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص مصاف قريب الخابور عند المجدل في يوم الخميس لثلث بقين من صفر هذه السنة فولى المظفر غازي والخوارزمية منهزمين اقبح هزيمة ونهب منهم عسكر حلب شيئا كثيرا ونهبت وطاقات الخوارزمية ونساؤهم ايضا ونزل الملك المنصور ابراهيم في خيمة الملك المظفر غازي واحتوى على خزانته ووطاقه ووصل عسكر حلب

صاحب مصر على غزة والسواحل والقدس ووصلت الاسرى والرؤس الى مصر ودقت بها البشاير عدة ايام ثم ارسل الملك الصالح صاحب مصر باقي عسكر مصر مع معين الدين ابن الشيخ واجتمع اليه من بالشام من عسكر مصر والخوارزمية وساروا الى دمشق وحاصروها وبها صاحبها الملك الصالح اسمعيل وابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وخرجت هذه السنة وهم محاصروها

(ذكر وفاة صاحب حماه)

في هذه السنة توفي جد الملك المظفر صاحب حماة تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب يوم السبت ثامن جمادى الاولى من هذه السنة اعني سنة اثنتين واربعين وست مائة وكانت مدة مملكته لحماه خمس عشرة سنة وسبعة اشهر وعشرة ايام كان منها مريضا بالفالج سنتين وتسعة اشهر واياما وكانت وفاته وهو مفلوج بحمى حادة عرضت له وكان عمره ثلثا واربعين سنة لان مولده سنة تسع وتسعين وخمس مائة وكان شهما شجاعا فطنا ذكيا وكان يحب اهل الفضائل والعلوم استخدم الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف وكان مهندسا فاضلا في العلوم الرياضية فبنى للملك المظفر المذكور ابراجا بحماه وطاحونا على النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماه قال القاضي جمال الدين ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها ولما مات الملك المظفر صاحب حماه ملك بعده ولده الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر محمود المذكور وعمره حينئذ عشر سنين وشهر واحد وثلثة عشر يوما والقايم بتدبير المملكة سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر ومشاركه الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد المعروف بشيخ الشيوخ والطواشي مرشد والوزير بهاء الدين بن التاج ومرجع الجميع الى والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل (وفيها) بلغ الملك الصالح نجم الدين ايوب وفاة ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر في حبس الصالح اسمعيل صاحب دمشق فاشتد حزن الصالح ايوب عليه وحنقه على الصالح اسمعيل (وفي هذه السنة) توفي الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب صاحب ميافارقين واستقر بعده في ملكه ولده الملك الكامل ناصر الدين محمد بن غازي (وفيها) سير من حماه الشيخ تاج الدين احمد بن محمد بن نصر الله المعروف بابن بنت الاعز رسولا الى الخليفة ببغداد وصحبته تقدمة من السلطان الملك

واسروا منهم خلقا كثيرا وتحكمت التتر فى البلاد واستولوا ايضا على خلاط وآمد وبلادهما وهرب غياث الدين كيخسرو الى بعض المعاقل ثم ارسل الى التتر وطلب الامان ودخل فى طاعتهم ثم توفى غياث الدين كيخسرو المذكور بعد ذلك فى سنة اربع وخمسين وست مائة حسبما نذكره ان شاء الله تعالى وخلف صغيرين وهما ركن الدين وعز الدين ثم هرب عز الدين الى قسطنطينية وبقى ركن الدين فى الملك تحت حكم التتر والحاكم البرواناه معين الدين سليمان والبرواناه لقبه وهو اسم الحاجب بالعجمى ثم ان البرواناه قتل ركن الدين واقام فى الملك ولدا له صغيرا (وفيها) كانت المراسلة بين الصالح ايوب صاحب مصر والصالح اسماعيل صاحب دمشق فى الصلح وان يطلق الصالح اسمعيل المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح ايوب وحسام الدين بن ابى على الهذبانى وكانا معتقلين عند الملك الصالح اسمعيل فاطلق حسام الدين بن ابى على وجهزه الى مصر واستمر الملك المغيث بن الصالح ايوب فى الاعتقال واتفق الصالح اسمعيل مع الناصر داود صاحب الكرك واعتضد بالفرنج وسلما ايضا الى الفرنج عسقلان وطبرية فعمر الفرنج قلعتيهما وسلما ايضا اليهم القدس بما فيه من المزارات قال القاضى جمال الدين بن واصل ومررت اذ ذاك بالقدس متوجها الى مصر ورأيت القسوس وقد جعلوا على الصخرة قنانى الخمر للقربان (ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وستمائة)

(ذكر المصاف الذى كان بين عسكر مصر ومعهم الخوارزمية)
(وبين عسكر دمشق ومعهم الفرنج وصاحب حمص)

فى هذه السنة وصلت الخوارزمية الى غزة باستدعاء الملك الصالح ايوب لنصرته على عمه الصالح اسماعيل وكان مسيرهم على حارم والروج الى اطراف بلاد دمشق حتى وصلوا الى غزة ووصل اليهم عدة كثيرة من العساكر المصرية مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح ايوب وكان من اكبر مماليكه وهو الذى دخل معه الحبس لما حبس فى الكرك وارسل الملك الصالح اسماعيل عسكر دمشق مع الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وسار صاحب حمص جريدة ودخل عكا فاستدعى الفرنج على ما كان قد وقع عليه اتفاقهم ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا ايضا بصاحب حمص وعسكر دمشق والكرك ولم يحضر الناصر داود ذلك والتقى الفريقان بظاهر غزة فولى عسكر دمشق وصاحب حمص ابراهيم والفرنج منهزمين وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية فقتلوا منهم خلقا عظيما واستولى الملك الصالح ايوب

(صاحب)

المفصل للزمخشري وسمى شرحه المفضل في شرح المفصل وله مجموع سماه كتاب سفر السعاده وسفير الافاده ذكر فيه مسائل مشكلة في النحو وعدة من ابيات المعاني ولغة غريبة (وفي هذه السنة) لما تسلم دمشق الملك الصالح ايوب تسلمت نواب الملك المنصور صاحب حماة سلمية وانتزعوها من صاحب حمص واستقرت سلمية في هذه السنة في ملك الملك المنصور صاحب حماة (وفيها) توفي الشيخ موفق الدين ابو البقا يعيش بن محمد بن علي الموصلي الاصل الحلبي المولد والمنشا النحوي ويعرف بابن الصايغ وكان طريفا حسن المحاضرة شرح المفصل شرحا مستوفى ليس في الشروح مثله وله غير ذلك وولد في رمضان سنة ثلث وخمسين وخمس مائة بحلب وتوفي بها في التاريخ المذكور ودفن بالمقام (ثم دخلت سنة اربع واربعين وستمائه)

(ذكر كسرة الخوارزمية على القصب واستيلاء الصالح ايوب على بعلبك)

كما قد ذكرنا اتفاق الخوارزمية مع الصالح اسمعيل والناصر داود ومحاصرتهم دمشق وبها حسام الدين ابن ابي علي ولما وقع ذلك اتفق الحلبيون والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص وصاروا مع الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل وقصدوا الخوارزمية فرحلت الخوارزمية عن دمشق وساروا الى نحو الحلبيين وصاحب حمص والتقوا على القصب في هذه السنة فانهزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وحمل رأسه الى حلب ومضت طائفة من الخوارزمية مع مقدمهم كشلو خان الخوارزمي فلحقوا بالتتر وصاروا معهم وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وخدموا به وكفا الله الناس شرهم ولما وصل خبر كسرتهم الى الملك الصالح ايوب بديار مصر فرح فرحا عظيما ودقت البشاير بمصر وزال ما كان عنده من الغيظ على ابراهيم صاحب حمص وحصل بينهما الصلح بسبب ذلك واما الصالح اسمعيل فانه سار الى الملك الناصر يوسف صاحب حلب واستجار به وارسل الصالح ايوب يطلبه فلم يسلمه الملك الناصر اليه ولما جرى ذلك رحل حسام الدين ابن ابي علي الهذباني بمن عنده من العسكر بدمشق ونازل بعلبك وبها اولاد الصالح اسمعيل وحاصرها وتسلمها بالامان وحمل اولاد الصالح اسماعيل الى الملك الصالح ايوب بديار مصر فاعتقلوا هناك وكذلك بعث بامين الدولة وزير الملك الصالح اسماعيل واستاذ داره ناصر الدين يغمور فاعتقلا بمصر ايضا وزينت القاهره ومصر ودقت البشاير بهما لفتح بعلبك واتفق في هذه الايام وفاة صاحب عجلون وهو سيف الدين ابن قليج وتسلم الملك الصالح ايوب عجلون ايضا ولما جرى ما ذكرناه ارسل

المنصور صاحب حماة (وفيها) توفي القاضي شهاب الدين ابراهيم ابن عبدالله بن عبد المنعم بن علي بن محمد الشافعي عرف بابن ابي الدم قاضي حماة وكان قد توجه في الرسلية الى بغداد فرض في المعرة وعاد الى حماة مريضا فتوفي بها وهو الذي الف التاريخ الكبير المظفري وغيره (ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وستمائة) فيها سار الصالح اسمعيل وزيره امين الدولة الذي كان سامريا واسلم الى العراق مستشفعا بالخليفة ليصلح بينه و بين ابن اخيه فلم يجب الخليفة الى ذلك وكان امين الدولة غالبا على الملك الصالح اسمعيل المذكور بحيث لا يخرج عن رأيه

(ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على دمشق)

وفيها تسلم عسكر الملك الصالح ايوب ومقدمهم معين الدين بن الشيخ دمشق من الصالح اسمعيل ابن الملك العادل وكان محصورا معه بدمشق ابرهيم ابن شيركوه صاحب حمص فتسلم دمشق على ان يستقر بيد الصالح اسمعيل بعلبك وبصرى والسواد ويستقر بيد صاحب حمص حمص وما هو مضاف اليها فاجابهما معين الدين ابن الشيخ الى ذلك ووصل الى دمشق حسام الدين ابن ابي علي بمن كان معه من العسكر المصري واتفق بعد تسليم دمشق ان معين الدين ابن الشيخ مرض وتوفي بها وبقي حسام الدين بن ابي علي نائبا بدمشق للملك الصالح ايوب ثم ان الخوارزمية خرجوا عن طاعة الملك الصالح ايوب فانهم كانوا يعتقدون انهم اذا كسروا الصالح اسماعيل وفتحوا دمشق يحصل لهم من البلاد والاقطاعات ما يرضي خاطرهم فلما لم يحصل لهم ذلك خرجوا عن طاعة الملك الصالح ايوب وصاروا مع الملك الصالح اسماعيل وانضم اليهم الناصر داود صاحب الكرك وساروا الى دمشق وحصروها وغلت بها الاقوات وقاسى اهلها شدة عظيمة لم يسمع بمثلها وقام حسام الدين ابن ابي علي الهذباني في حفظ دمشق اتم قيام وخرجت السنة والامر على ذلك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة قصدت التتر بغداد وخرجت عساكر بغداد للقائهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على اعقابهم تحت الليل (وفي هذه السنة) توفيت ربيعة خاتون بنت ايوب اخت السلطان صلاح الدين بدمشق بدار العقيقي وكانت قد جاوزت ثمانين سنة وبنت مدرسة للحنابلة بجبل الصالحية (وفيها) توفي الشيخ تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن الصلاح الفقيه المحدث (وفيها) توفي علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي شرح قصيدة الشاطبي في القرآن وشرح

الحلبيين لئلا يحصل الطمع للملك الصالح فى ملك باقى الشام (وفيها) توفى الملك العادل ابو بكر ابن السلطان الملك الكامل بالحبس وامه الست السودا تعرف بنت الفقيه نصر وكان مسجونا من حين قبض عليه بلبيس الى هذه الغاية فكان مدة مقامه بالسجن نحو ثمان سنين وكان عمره نحو ثلاثين سنة وخلف ولدا صغيرا وهو الملك المغيث فتح الدين عمر وهو الذى ملك الكرك فيما بعد ثم قتله الملك الظاهر بيبرس على ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفى هذه السنة) توجه الطواشى مرشد المنصورى وعماد الدين امير جاندار من حماة الى حلب واحضرا بنت الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر صاحب حلب وهى عايشة خاتون زوج الملك المنصور صاحب حماة وحضرت معها امها فاطمة خاتون بنت السلطان الملك الكامل ابن الملك العادل ووصلت الى حماة فى العشر الاوسط من رمضان من هذه السنة اعنى سنة خمس واربعين وستمائة ووصلت فى تجمل عظيم واحتفل للقائها بحماة احتفالا عظيما (وفى هذه السنة) توفى علاء الدين قراسنقر الساقى العادلى احد مماليك الملك العادل بن ايوب وصارت مماليكه بالولاء للملك الصالح ايوب ومنهم سيف الدين قلاوون الصالحى الذى صار له ملك مصر والشام على ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) توفى عمر بن محمد بن عبد الله المعروف بالشلوبينى باشبيلية كان فاضلا اماما فى النحو شرح الجزولية وصنف فى النحو غير ذلك وكان فيه مع هذه الفضيلة التامة بله وغفلة وكنيته ابو على والشلوبينى نسبة الى شلوبين وهو حصن منيع من حصون الاندلس من معاملة سواحل غرناطة على بحر الروم منه عمر الشلوبينى المذكور هذا مانص عليه ابن سعيد المغربى فى كتابه الكبير المسمى بالمغرب فى اخبار اهل المغرب فى المجلدة الخامسة عشرة بعد ذكر غرناطة قال وقد وصف حصن شلوبين المذكور ومنه الشيخ ابو على عمر الشلوبينى قال وقرأت عليه النحو وكان امام نحاة اهل المغرب وكان فى طبقة ابى على الفارسى ومن هنا يتحقق ان الذى نقله القاضى شمس الدين ابن خلكان ومن تابعه ان الشلوبين هو الابيض الاشقر بلغة اهل الاندلس وهم محض لعدم وقوفهم على كتاب المغرب فى حلى اهل المغرب المذكور (ثم دخلت سنة ست واربعين وستمائة) فيها ارسل الملك الناصر صاحب حلب عسكرا مع شمس الدين لولو الارمنى فحاصروا الملك الاشرف موسى بحمص مدة شهرين فسلم اليهم حمص وتعوض عنها تل باشر مضافا الى ما بيده من تدمر والرحبة ولما بلغ الملك الصالح نجم الدين ايوب ذلك شق عليه وسار الى الشام لارتجاع حمص من الحلبيين وكان قد حصل له مرض وورم فى مأبطه ثم فتح وحصل

الملك الصالح ايوب عسكرا مع الامير فخر الدين يوسف ابن الشيخ وكان فخر الدين ابن الشيخ قد اعتقله الملك العادل ابو بكر ابن الملك الكامل ثم لما ملك الملك الصالح ايوب مصر افرج عنه وامره بملازمة بيته فلازمه مدة ثم قدمه في هذه السنة على العسكر وجهزه الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فسار فخر الدين المذكور واستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولى عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفا بالغا ولم يبق بيده غير الكرك وحدها

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة حبس الصالح ايوب مملوكه بيبرس وهو الذي كان معه لما اعتقل في الكرك وسببه ان بيبرس المذكور مال الى الخوارزمية والى الناصر داود وصار معهم على استاذه لما جرده الى غزة كما تقدم ذكره فارسل استاذه الصالح ايوب واستماله فوصل اليه فاعتقله في هذه السنة وكان اخر العهد به (وفيها) ارسل الملك المنصور ابرهيم صاحب حمص بن شيركوه وطلب دستورا من الملك الصالح ايوب ليصل الى بابه وينتظم في سلك خدمته وكان قد حصل بابرهيم المذكور السل وسار على تلك الحالة من حمص متوجها الى الديار المصرية ووصل الى دمشق فقوي به المرض وتوفي في دمشق فنقل الى حمص ودفن بها وملك بعده ولده الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المنصور ابرهيم المذكور (وفي هذه السنة) بعد فتوح دمشق وبعلبك استدعى الملك الصالح ايوب خدمه حسام الدين ابن ابي علي الى مصر وارسل موضعه نائبا بدمشق الامير جمال الدين ابن مطروح ولما وصل حسام الدين ابن ابي علي الى مصر استنابه الملك الصالح بها وسار الملك الصالح ايوب الى دمشق ثم سار منها الى بعلبك ثم عاد الى دمشق ووصل الى خدمة الملك الصالح ايوب بدمشق الملك المنصور محمد صاحب حماة والملك الاشرف موسى صاحب حمص فاكرمهما وقربهما ثم اعطاهما الدستور فسادا الى بلادهما واستمر الملك الصالح بالشام حتى خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي عماد الدين داود بن موشك بالكرك وكان جامعا لمكارم الاخلاق (ثم دخلت سنة خمس واربعين وستمائة) وفيها عاد الملك الصالح نجم الدين ايوب من الشام الى الديار المصرية (وفيها) فتح فخر الدين ابن الشيخ قلعتي عسقلان وطبرية والملك الصالح بالشام بعد محاصرتهما مدة وكنا قد ذكرنا تسليمهما الى الفرنج في سنة احدى واربعين وست مائة فعمروهما واستمرتا بايدي الفرنج حتى فتحتا في هذه السنة (وفيها) سلم الاشرف صاحب حمص شميمس للملك الصالح ايوب فعظم ذلك

وحبسه في دار الطواشي صواب واستمر معتقلا بها حتى توفي معتقلا في هذه السنة في اوائل جمادى الاولى ودفن خارج باب النصر في تربة شمس الدولة ثم نقل الى الشام ودفن في تربة كان قد انشاها بظاهر دمشق على الشرف الاعلى مطلة على الميدان الاخضر الكبير رحمه الله تعالى هكذا نقلت ذلك من وفيات الاعيان (ثم دخلت سنة سبع واربعين وست مائة)

(ذكر ملك الفرنج دمياط ونزول الملك الصالح اشموم طناح) ١

وفي هذه السنة سار ريد افرنس وهو من اعظم ملوك الفرنج وريد بلغتهم هو الملك اي ملك افرنس وافرنس امة عظيمة من امم الفرنج وكان جمع ريد افرنس نحو خمسين الف مقاتل وشتى في جزيرة قبرس ثم سار ووصل في هذه السنة الى دمياط وكان قد شحنها الملك الصالح بآلات عظيمة وذخاير وافرة وجعل فيها بني كنانة وهم مشهورون بالشجاعة وكان قد ارسل الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ بجماعة كثيرة من العسكر ليكونوا قبالة الفرنج بظاهر دمياط ولما وصلت الفرنج عبر فخر الدين ابن الشيخ من البر الغربي الى البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي لتسع بقين من صفر هذه السنة ولما جرى ذلك هربت بنو كنانة واهل دمياط منها واخلوا دمياط وتركوا ابوابها مفتحة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على ما بها من الذخائر والسلاحات وكان هذا من اعظم المصايب وعظم ذلك على الملك الصالح وامر بشنق بني كنانة فشنقوا عن آخرهم ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها يوم الثلاثا لخمس بقين من صفر هذه السنة وقد اشتد مرضه وهو السل والقرحة التي كانت به وقد ايس منه

(ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على الكرك)

وفي هذه السنة سار الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب من الكرك الى حلب لما ضاقت عليه الامور مستجيرا بالملك الناصر صاحب حلب وكان قد اودع الناصر داود من الجوهر مقدار كثير قال كان يساوي مائة الف دينار اذا بيع بالهوان فلما وصل الى حلب سير الجوهر المذكور الى بغداد واودعه عند الخليفة المستعصم ووصل اليه خط الخليفة بتسليمه فلم تقع بينه عليه بعد ذلك ولما سار الناصر داود عن الكرك استناب عليها ابنه عيسى ولقبه الملك المعظم وكان له ولدان آخران اكبر من عيسى المذكور وهما الامجد حسن والظاهر شاذي فغضب الاخوان المذكوران من تقديم اخيهما عيسى عليهما وبعد سفر ابيهما قبضا على اخيهما عيسى وتوجه الامجد حسن الى الملك الصالح ايوب

منه ناصور ووصل الملك الصالح الى دمشق وارسل عسكرا الى حمص مع حسام الدين ابن ابى على فخر الدين ابن الشيخ فنازلوا حمص وحصروها ونصبوا عليها منجنيقا مغربيا يرمى بحجر زنتها مائة واربعون رطلا بالشامى مع عدة منجنيقات اخر وكان الشتاء والبرد قويا واستمر عليها الحصار واتفق حينئذ وصول الخبر الى الملك الصالح وهو بدمشق بوصول الفرنج الى جهة دمياط وكان ايضا قد قوى مرضه ووصل ايضا نجم الدين الباذراى رسول الخليفة وسعى فى الصلح بين الملك الصالح والحلبيين وان تستقر حمص بيد الحلبيين فاجاب الملك الصالح الى ذلك وامر العسكر فرحلوا عن حمص بعد ان اشرفوا على اخذها ثم رحل الملك الصالح عن دمشق فى محفة لقوة مرضه واستناب بدمشق جمال الدين بن يغمور وعزل ابن مطروح وارسل حسام الدين بن ابى على قدامه ليسبقه الى مصر وينوب عنه بها (وفيها) فى يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة اعنى سنة ست واربعين وست مائة توفى ابو عمرو عثمان بن عمر بن ابى بكر بن يونس المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين وكان والده عمر حاجبا للامير عز الدين بن موسك الصلاحى وكان كرديا واشتغل ولده ابو عمرو المذكور بالقاهرة فى صغره بالقرآن والفقه على مذهب مالك بن انس وبالعربية وبرع فى علومه واتقنها ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها واكب الخلق على الاشتغال عليه ثم عاد الى القاهرة ثم انتقل الى الاسكندرية فتوفى بها وكان مولد الشيخ ابى عمرو المذكور فى اواخر سنة سبعين وخمس مائة باسنا بليدة بالصعيد وكان الشيخ ابو عمرو المذكور متفننا فى علوم شتى وكان الاغلب عليه علم العربية واصول الفقه صنف فى العربية مقدمته الكافية واختصر كتاب الاحكام للآمدى فى اصول الفقه فطبق ذكر هذين الكتابين اعنى الكافية ومختصره فى اصول الفقه جميع البلاد خصوصا بلاد العجم واكب الناس على الاشتغال بهما الى زماننا هذا وله غيرهما عدة مصنفات (وفيها) اعنى فى سنة ست واربعين وست مائة توفى عز الدين ايبك المعظمى فى حبسه بالقاهرة وكان المذكور قد ملك صرخد فى سنة ثمان وست مائة حسبما تقدم ذكره فى السنة المذكورة وقال ابن خلكان انه ملك صرخد فى سنة احدى عشرة وست مائة قال لان استاذه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب حج فى السنة المذكورة واخذ صرخد من صاحبها ابن قراجا واعطاها مملوكه ايبك المذكور والظاهر ان الاول اصح واستمرت فى يد ايبك الى سنة اربع واربعين وست مائة فاخذها الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل من ايبك المذكور وامسك ايبك فى السنة المذكورة وحمله الى القاهرة

الشيخ قاصدا لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا ولما جرى ذلك شاع بين الناس موت السلطان ولكن ارباب الدولة لايجسرون ان يتفوهوا بذلك وتقدم الفرنج عن دمياط الى المنصورة وجرى بينهم وبين المسلمين فى مستهل رمضان من هذه السنة وقعة عظيمة استشهد فيها جماعة من كبار المسلمين ونزلت الفرنج بجرمساح ثم قربوا من المسلمين ثم ان الفرنج كبسوا المسلمين على المنصورة بكرة الثلثا لخمس مضين من ذى القعدة وكان فخر الدين يوسف ابن الشيخ صدر الدين ابن حمويه فى الحمام بالمنصورة فركب مسرعا وصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه وكان سعيدا فى الدنيا ومات شهيدا ثم حملت المسلمون والترك البحرية على الفرنج فردوهم على اعقابهم واستمرت بهم الهزيمة واما الملك المعظم تورانشاه فانه سار من حصن كيفا ووصل الى دمشق فى رمضان من هذه السنة وعيد بها عيد الفطر ووصل الى المنصورة يوم الخميس لتسع بقين من ذى القعدة من هذه السنة اعنى سنة سبع واربعين وستمائة ثم اشتد القتال بين المسلمين والفرنج برا وبحرا ووقعت مراكب المسلمين على الفرنج واخذوا منهم اثنين وثلثين مركبا منها تسع شوانى فضعفت الفرنج لذلك وارسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل وان يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك

(ذكر غير ذلك)

وفى هذه السنة وقع الحرب بين صاحب الموصل بدر الدين لولو وبين الملك الناصر صاحب حلب فارسل اليه الملك الناصر عسكرا والتقوا مع المواصلة بظاهر نصيبين فانهزمت المواصلة هزيمة قبيحة واستولى الحلبيون على اثقال لولو صاحب الموصل وخيمه وتسلم الحلبيون نصيبين واخذوها من صاحب الموصل ثم ساروا الى دارا فنازلوها وتسلموها وخربوها بعد حصار ثلثة اشهر ثم تسلموا قرقيسيا وعادوا الى حلب (ثم دخلت سنة ثمان واربعين وستمائة)

(ذكر هزيمة الفرنج واسر ملكهم)

لما اقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة فنيت ازوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا ليلة الاربعا لثلث مضين من المحرم متوجهين الى دمياط وركب المسلمون اكتافهم ولما استقر صباح الاربعا خالطهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى من الفرنج ثلثين الفا على ما قيل وانحاز ريدافرنس ومن معه من الملوك الى بلد هناك وطلبوا الامان

وهو مريض على المنصورة وبذل له تسليم الكرك على اقطاع له ولاخيه بديار مصر فاحسن اليه الصالح ايوب واعطاهما اقطاعا ارضاهما وارسل الى الكرك وتسلمها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة وفرح الملك الصالح بالكرك فرحا عظيما مع ماهو فيه من المرض لما كان في خاطره من صاحبها

(ذكر وفاة الملك الصالح ايوب)

وفي هذه السنة توفي الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب في ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة مضت من شعبان هذه السنة اعني سنة سبع واربعين وستمائة وكانت مدة مملكته للديار المصرية تسع سنين وثمانية اشهر وعشرين يوما وكان عمره نحو ٤٣ اربع واربعين سنة وكان مهيبا عالي الهمة عفيفا طاهر اللسان والذيل شديد الوقار كثير الصمت وجمع من المماليك الترك مالم يجتمع لغيره من اهل بيته حتى كان اكثر امراء عسكره مماليكه ورتب جماعة من المماليك الترك حول دهليزه وسماهم البحرية وكان لايجسر ان يخاطبه احد الاجوابا ولايتكلم احد بحضرته ابتداء وكانت القصص توضع بين يديه مع الخدام فيكتب بيده عليها وتخرج للموقعين وكان لايستقل احد من اهل دولته بامر من الامور الابعد مشاورته بالقصص وكان غاويا بالعمارة بني قلعة الجزيرة وبني الصالحية وهي بلدة بالسايح وبني له بها قصورا للتصيد وبني قصرا عظيما بين مصر والقاهرة يسمى بالكبش وكانت ام الملك الصالح ايوب المذكور جارية سوداء تسمى ورد المنى غشيها السلطان الملك الكامل فحملت بالملك الصالح وكان للملك الصالح ثلاثة اولاد احدهم فتح الدين عمر توفي في حبس الصالح اسمعيل وكان قد توفي ولده الآخر قبله ولم يكن قد بقي له غير المعظم تورانشاه بحصن كيفا ومات الملك الصالح ولم يوص بالملك الى احد فلما توفي احضرت شجر الدر وهي جارية الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ والطواشي جمال الدين محسنا وعرفتهما بموت السلطان فكتموا ذلك خوفا من الفرنج وجمعت شجر الدر الامراء وقالت لهم السلطان يأمركم ان تحلفوا له ثم من بعده لولده الملك المعظم تورانشاه المقيم بحصن كيفا والامير فخر الدين ابن الشيخ باتابكية العسكر وكتبت الى حسام الدين ابن ابي علي وهو النائب بمصر بمثل ذلك فحلفت الامراء والاجناد والكبراء بالعسكر وبمصر وبالقاهرة على ذلك في العشر الاوسط من شعبان هذه السنة وكان بعد ذلك تخرج الكتب والمراسم وعليها علامة الملك الصالح وكان يكتبها خادم يقال له السهيلي فلا يشك احد في انه خط السلطان فارسل فخر الدين ابن

نسخه اربعين

خمسون الفا لا يرى منهم * غير قتيل او اسير جريح
وقل لهم ان اضمروا عودة * لاخذ ثار او لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باقي والطواشي صبيح

ثم عادت العساكر ودخلت القاهرة يوم الخميس تاسع صفر من الشهر المذكور وارسل المصريون رسولا الى الامراء الذين بدمشق في موافقتهم على ذلك فلم يجيبوا اليه وكان الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل صاحب الصبيبة قد سلمها الى الملك الصالح ايوب فلما جرى ذلك قصد قلعة الصبيبة فسلمت اليه وكان من الملك السعيد ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الملك المغيث الكرك)

كان الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل ابي بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب قد ارسله الملك المعظم تورانشاه لما وصل الى الديار المصرية الى الشوبك واعتقله بها وكان النائب على الكرك والشوبك بدر الدين الصوابي الصالحي فلما جرى ما ذكرناه من قتل الملك المعظم وما استقر عليه الحال بادر بدر الدين الصوابي المذكور فافرج عن المغيث وملكه القلعتين الكرك والشوبك وقام في خدمته اتم قيام

(ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق)

ولما جرى ما ذكرناه ولم يجب امراء دمشق الى ذلك كاتب الامراء القيمرية الذين بها الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين فسار اليهم وملك دمشق ودخلها في يوم السبت ثمان مضين من ربيع الآخر من هذه السنة ولما استقر الناصر المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين ابن يغمور وعلى الامراء القيمرية به واحسن اليهم واعتقل جماعة من الامراء مماليك الملك الصالح وعصت عليه بعلبك وعجلون وشميميس مدة مديدة ثم سلمت جميعها اليه ولما ورد الخبر بذلك الى مصر قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل الى الحلبيين

(ذكر سلطنة ايبك التركماني)

ثم ان كبراء الدولة اتفقوا على اقامة عز الدين ايبك الجاشنكير الصالحي في السلطنة لانه اذا استقر امر المملكة في امرأة على ما هو عليه الحال تفسد الامور فاقاموا ايبك المذكور وركب بالسناجق السلطانية وحملت الغاشية بين

فامنهم الطواشي محسن الصالحي ثم احتيط عليهم واحضروا الى المنصورة وقيد ريد افرنس وجعل في الدار التي كان ينزلها كاتب الانشا فخر الدين ابن لقمان ووكل به الطواشي صبيح المعظمي ولما جرى ذلك رحل الملك المعظم بالعساكر من المنصورة ونزل بفارسكور ونصب بها برج خشب للملك المعظم

(ذكر مقتل الملك المعظم)

وفي هذه السنة يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم قتل الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب وسبب ذلك ان المذكور اطرح جانب امراء ابيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد ما نفر قلبه منه واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه من حصن كيفا وكانوا اطرافا اراذل فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور وهجموا عليه بالسيوف وكان اول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سلطانا فيما بعد على ما سنذكره ان شاء الله تعالى فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشب الذي نصب له بفارسكور على ما تقدم ذكره فاطلقوا في البرج النار فخرج الملك المعظم من البرج هاربا طالبا البحر ليركب في حراقة فحالوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه في البحر فادركوه واتموا قتله في نهار الاثنين المذكور وكانت مدة اقامته في المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين واياما ولما جرى ذلك اجتمعت الامراء واتفقوا على ان يقيموا شجر الدر زوجة الملك الصالح في المملكة وان يكون عز الدين ايبك الجاشنكير الصالحي المعروف بالتركماني اتابك العسكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجر الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل وكانت شجر الدر قد ولدت من الملك الصالح ولدا ومات صغيرا وكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع والدة خليل ولما استقر ذلك وقع الحديث مع ريد افرنس في تسليم دمياط بالافراج عنه فتقدم ريد افرنس الى من بها من نوابه في تسليمها فسلموها وصعد اليها العلم السلطاني يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر من هذه السنة اعني سنة ثمان واربعين وستمائة واطلق ريد افرنسيس فركب في البحر بمن سلم معه نهار السبت غد الجمعة المذكورة واقلعوا الى عكا ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم الى ساير الاقطار وفي واقعة ريد افرنس المذكورة يقول جمال الدين يحيى بن مطروح ابياتا منها

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق عن قؤول نصيح

اتيت مصرا تبتغي ملكها * تحسب ان الزمر ياطبل ريح

وكل اصحابك اوردتهم * بحسن تدبيرك بطن الضريح

من دمشق وصحبته من ملوك اهل بيته الصالح اسماعيل بن العادل بن ايوب والاشرف موسى صاحب حمص وهو حينئذ صاحب تل باشر والرحبة وتدمر والمعظم تور انشاه ابن السلطان صلاح الدين واخو المعظم المذكور نصرة الدين والامجد حسن والظاهر شاذى ابنا الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن العادل بن ايوب وتقى الدين عباس ابن الملك العادل بن ايوب ومقدم الجيش شمس الدين لولو الارمنى واليه تدبير المملكة فرحلوا من دمشق يوم الاحد منتصف رمضان من هذه السنة ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى السايح وتركوا الاشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل وافرج ايبك التركمانى حينئذ عن ولدى الصالح اسماعيل وهما المنصور ابراهيم والملك السعيد عبد الملك ابنا الصالح اسماعيل وكانا معتقلين من حين استيلاء الملك الصالح ايوب على بعلبك وخلع عليهما ليتوهم الناصر يوسف صاحب دمشق من ابيهما الصالح اسماعيل والتقى العسكران المصرى والشامى بالقرب من العباسة فى يوم الخميس عاشر ذى القعدة من هذه السنة فكانت الكسرة اولا على عسكر مصر فخامر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الملك الناصر صاحب دمشق وثبت المعز ايبك التركمانى فى جماعة قليلة من البحرية فانضاف جماعة من العزيزية مماليك والد الملك الناصر الى ايبك التركمانى ولما انكسرت المصريون وتبعتهم العساكر الشامية ولم يشكوا فى النصر بقى الملك الناصر تحت السناجق السلطانية مع جماعة يسيرة من المتعممين لا يتحرك من موضعه فحمل المعز التركمانى بمن معه عليه فولى الملك الناصر منهزما طالبا جهة الشام ثم حمل ايبك التركمانى المذكور على طلب شمس الدين لولو فهزمهم واخذ شمس الدين لولو اسيرا فضربت عنقه بين يديه وكذلك اسر الامير ضياء الدين القيمرى فضربت عنقه واسر يومئذ الملك الصالح اسماعيل والاشرف صاحب حمص والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين ابن ايوب واخوه نصرة الدين ووصل عسكر الملك الناصر فى اثر المنهزمين الى العباسة وضربوا بها دهليز الملك الناصر وهم لا يشكون ان الهزيمة تمت على المصريين فلما بلغهم هروب الملك الناصر اختلفت آراؤهم فنهم من اشار بالدخول الى القاهرة وتملكها ولو فعلوه لما كان بقى مع ايبك التركمانى من يقاتلهم به وكان هرب فان غالب المصريين المنهزمين وصلوا الى الصعيد ومنهم من اشار بالرجوع الى الشام وكان معهم تاج الملوك بن المعظم وهو مجروح وكانت الوقعة يوم الخميس ووصل المنهزمون من المصريين الى القاهرة فى غد الوقعة نهار الجمعة فلم يشك اهل مصر فى ملك الملك الناصر ديار مصر وخطب له فى الجمعة المذكورة بقلعة الجبل وبمصر واما القاهرة

يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المعز وابطلت السكة والخطبة التي كانت باسم شجر الدر

(ذكر عقد السلطنة للملك الاشرف موسى ابن يوسف)
(صاحب اليمن المعروف باقسيس)

ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب ثم اجتمعت الامراء واتفقوا على انه لابد من اقامة شخص من بني ايوب في السلطنة واجتمعوا على اقامة موسى المذكور ولقبوه الملك الاشرف وان يكون ايبك التركماني اتابكه واجلس الاشرف موسى المذكور في دست السلطنة وحضرت الامراء في خدمته يوم السبت لخمس مضين من جمادى الاولى من هذه السنة وكان بغزة حينئذ جماعة من عسكر مصر مقدمهم خاص ترك فسار اليهم عسكر دمشق فاندفعوا من غزة الى الصالحية بالسايح واتفقوا على طاعة المغيث صاحب الكرك وخطبوا له بالصالحية يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة من هذه السنة ولما جرى ذلك اتفق كبراء الدولة بمصر ونادوا بالقاهرة ومصر ان البلاد للخليفة المستعصم ثم جددت الايمان للملك الاشرف موسى بالسلطنة ولايبك التركماني بالاتابكية وفي يوم الاحد لخمس مضين من رجب رحل فارس الدين اقطاي الصالحي الجمدار متوجها الى جهة غزة ومعه تقدير الفي فارس وكان اقطاي المذكور مقدم البحرية فلما وصل الى غزة اندفع من كان بها من جهة الملك الناصر بين يديه

(ذكر تخريب دمياط)

وفي هذه السنة اتفق اراء اكابر الدولة وهدموا سور دمياط في العشر الاخير من شعبان هذه السنة لما حصل للمسلمين عليها من الشدة مرة بعد اخرى وبنوا مدينة بالقرب منها في البر وسموها المنشية واسوار دمياط التي هدمت من عمارة المتوكل الخليفة العباسي

(ذكر القبض على الناصر داود)

وفي هذه السنة مستهل شعبان قبض الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب على الناصر داود الذي كان صاحب الكرك وبعث به الى حمص فاعتقل بها وذلك لاشياء بلغت الناصر يوسف عن المذكور خاف منها

(ذكر مسير السلطان الملك الناصر يوسف)
(صاحب الشام الى الديار المصرية وكسرته)

وفي هذه السنة سار الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز بعساكره

نشوان ما شرب المدام وانما هي * ابخمر رضابه متنبذا
جاء العذول يلومني من بعدما * اخذ الغرام على فيه مأخذا
لا ارعوي لا انثني لا انتهي * عن حبه فليهذ فيه من هذى
ان عشت عشت على الغرام وان امت * وجدا به وصبابة ياحبذا

(وفيها) جهز الملك الناصر يوسف صاحب الشام عسكرا الى غزة وخرج المصريون الى السايح واقاموا كذلك حتى خرجت هذه السنة (وفيها) توفي علم الدين قيصر ابن ابي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الفقيه الحنفي المقرى المعروف بتعاسيف وكان اماما في العلوم الرياضية اشتغل بالديار المصرية والشام ثم سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثم عاد الى الشام وتوفي بدمشق في شهر رجب من السنة المذكورة ومولده سنة اربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرقي صعيد مصر (ثم دخلت سنة خمسين وستمائة) ولم يقع لنا فيها ما يصلح ان يؤرخ (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وستمائة) فيها استقر الصلح بين الملك الناصر يوسف صاحب الشام وبين البحرية بمصر على ان يكون للمصريين الى نهر الاردن وللملك الناصر ماوراء ذلك وكان نجم الدين البادراي رسول الخليفة هو الذي حضر من جهة الخليفة واصلح بينهم على ذلك ورجع كل منهم الى مقره (وفيها) قطع ايبك التركماني خبز حسام الدين بن ابي على الهذباني فطلب دستورا فاعطيه وسار الى الشام فاستخدمه الملك الناصر يوسف بدمشق

(ذكر احوال الناصر صاحب الكرك)

وفيها افرج الملك الناصر يوسف عن الملك الناصر داود بن المعظم الذي كان صاحب الكرك وكان قد اعتقله بقلعة حمص وذلك بشفاعة الخليفة المستعصم فيه فافرج عنه وامره ان لا يسكن في بلاده فرحل الناصر داود المذكور الى جهة بغداد فلم يمكنوه من الوصول اليها وطلب وديعته الجوهر فمنعوه اياها وكتب الملك الناصر يوسف الى ملوك الاطراف انهم لا يأووه ولا يميروه فبقي الناصر داود في جهات عانة والحديثة وضاقت به الاحوال وبمن معه وانضم اليه جماعة من غزيه فبقوا يرحلون وينزلون جميعا ثم لا قوى عليهم الحر ولم يبق بالبرية عشب قصدوا ازوار الفرات يقاسون بق الليل وهواجر النهار وكان معه اولاده وكان لولده الظاهر شاذي فهد فكان يتصيد في النهار ما يزيد على عشرة غزلان وكان يمضي للملك الناصر داود واصحابه اياما لا يطعمون غير لحوم الغزلان واتفق ان الاشرف صاحب تل باشر وتدمر والرحبة يومئذ ارسل الى الناصر داود مركبين موسقين دقيقا وشعيرا فارسل صاحب دمشق وتهدده على ذلك ثم ان الناصر داود

فلم يقم فيها فى ذلك النهار خطبة لاحد ثم وردت اليهم البشرى بانتصار البحرية ودخل ايبك التركمانى والبحرية الى القاهرة يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة ومعه الصالح اسماعيل تحت الاحتياط وغيره من المعتقلين فحبسوا بقلعة الجبل وعقيب ذلك اخرج ايبك التركمانى امين الدولة وزير الصالح اسماعيل واستاذ داره يغمور وكانا معتقلين من حين استيلاء الصالح ايوب على بعلبك فشنقهما على باب قلعة الجبل رابع عشر ذى القعدة وفى ليلة الاحد السابع والعشرين من ذى القعدة هجم جماعة على الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الملك العادل بن ايوب وهو بمصر فصب سكر واخرجوه الى ظاهر قلعة الجبل من جهة القرافة فقتلوه ودفن هناك وعمره قريب من خمسين سنة وكانت امه رومية من حظايا الملك العادل (وفى هذه السنة) بعد هزيمة الملك الناصر صاحب الشام سار فارس الدين اقطاى بثلثة آلاف فارس الى غزة فاستولى عليها ثم عاد الى الديار المصرية

(ذكر قتل صاحب اليمن)

وفى هذه السنة وثب على الملك المنصور عمر صاحب اليمن جماعة من مماليكه فقتلوه وهو عمر بن على بن رسول وكان والده على بن رسول استاذ دار الملك المسعود ابن السلطان الملك الكامل فلما سار الملك المسعود قاصدا الشام ومات بمكة على ما تقدم ذكره استناب استاذ داره على ابن رسول المذكور باليمن فاستقر نائبا بها للبنى ايوب وكان لعلى المذكور اخوة فاحضروا الى مصر واخذوا رهاين خوفا من تغلب على بن رسول على اليمن واستمر المذكور نائبا باليمن حتى مات قبل سنة ثلثين وست مائة واستولى على اليمن بعده ولده عمر بن على المذكور على ما كان عليه ابوه من النيابة فارسل من مصر اعمامه ليعزلوه ويكونوا نوابا موضعه فلما وصلوا الى اليمن قبض عمر المذكور عليهم واعتقلهم واستقل عمر المذكور بملك اليمن يومئذ وتلقب بالملك المنصور واستكثر من المماليك الترك فقتلوه فى هذه السنة اعنى سنة ثمان واربعين وست مائة واستقر بعده فى ملك اليمن ابنه يوسف بن عمر وتلقب بالملك المظفر وصفا له ملك اليمن وطالت ايام مملكته على ما سنذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة تسع واربعين وست مائة) فيها توفى الصاحب محيى الدين ابن مطروح وكان متقدما عند الملك الصالح ايوب كان يتولى له لما كان الصالح بالشرق نظر الجيش ثم استعمله على دمشق ثم عزله وولى ابن يغمور وكان ابن مطروح المذكور فاضلا فى النثر والنظم فمن شعره

طائفته فسكرت من طيب الشذا * غصن رطيب بالنسيم قد اغتذا

الزاهد على كره منه لذلك فجمع ابو عبد الله محمد المخلوع اصحابه فى يوم خلعه وشد على عميه فقهرهما وقتلهما واستقر فى ملكه وتلقب وخطب لنفسه بالمستنصر بالله امير المؤمنين ابى عبد الله محمد ابن الامراء الراشدين وفى ايامه فى سنة ثمان وستين وستمائة وصل الفرنسيس الى افريقية بجموع الفرنج واشرفت افريقية على الذهاب فقصمه الله ومات الفرنسيس وتفرقت تلك الجموع وفى ايامه خافه اخوه ابو اسحق ابراهيم بن ابى زكريا فهرب ثم اقام بتلمسان وبقى المستنصر المذكور كذلك حتى توفى ليلة حادى عشر ذى الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة فملك ابنه يحيى بن محمد بن ابى زكريا وتلقب بالواثق بالله امير المؤمنين وكان ضعيف الرأى فتحرك عليه عمه ابو اسحق ابراهيم الذى هرب واقام بتلمسان وغلب على الواثق فخلع نفسه واستقر ابو اسحق ابرهيم فى المملكة فى ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وستمائة وخطب لنفسه بالامير المجاهد وترك زى الحفصيين واقام على زى زناتة وعكف على الشرب وفرق المملكة على اولاده فوثبت اولاده على الواثق المخلوع وذبحوه وذبحوا معه ولديه الفضل والطيب ابنى يحيى الواثق المذكور وسلم للواثق ابن صغير تلقب ابا عصيدة لانهم يصنعون للنفسا عصيدة فيها ادوية ويهدى منها الجيران وعملت ام الصبى ذلك فلقب ولدها بابى عصيدة ثم ظهر انسان ادعى انه الفضل بن الواثق الذى ذبح مع ابنه واجتمعت عليه الناس وقصد ابا اسحق ابراهيم وقهره فهرب ابو اسحق الى بجاية وبها ابنه ابو فارس عبد العزيز ابن ابرهيم فترك ابو فارس اباه بجاية وسار باخويه وجمعه الى الداعى بتونس والتقى الجمعان فانهزم عسكر بجاية وقتل ابو فارس وثلثة من اخوته ونجا له اخ اسمه يحيى بن ابراهيم وعمه ابو حفص عمر بن ابى زكريا ولما هزم الداعى عسكر بجاية وقتل المذكورين ارسل الى بجاية من قتل ابا اسحق ابراهيم وجاء برأسه ثم تحدث الناس بدعوة الداعى واجتمعت العرب على عمر ابن ابى زكريا بعد هروبه من المعركة وقوى امره وقصد الداعى ثانيا بتونس وقهره واستتر الداعى فى دور بعض التجار بتونس ثم احضر واعترف بنسبه وضربت عنقه فكان الداعى المذكور من اهل بجاية واسمه احمد بن مرزوق بن ابى عمار وكان ابوه يتجر الى بلاد السودان وكان الداعى المذكور مخارقا قصيفا وسار الى ديار مصر ونزل بدار الحديث الكاملية ثم عاد الى المغرب فلما مر على طرابلس كان هناك شخص اسود يسمى نصيرا كان خصيصا بالواثق المخلوع قد هرب لما جرى للواثق ماجرى وكان فى احمد الداعى بعض الشبه من الفضل ابن الواثق فدبر مع نصير المذكور الامر فشهد له انه الفضل بن الواثق فاجتمعت عليه العرب وكان منه ما ذكرناه حتى قتل وكان الداعى يخطب له بالخليفة الامام

قصد مكانا للشرابي واستجار به فرتب له الشرابي شيئا دون كفايته واذن له في النزول بالانبار وبينها وبين بغداد ثلثة ايام والناصر داود مع ذلك يتضرع الى الخليفة المستعصم فلا يجيب ضراعته ويطلب وديعته فلا يرد لهفته ولا يجيبه الا بالمماطلة والمطاولة وكانت مدة مقامه متنقلا في الصحارى مع عزبه قريب ثلثة اشهر ثم بعد ذلك ارسل الخليفة وشفع فيه عند الملك الناصر فاذن له في العود الى دمشق ورتب له مائة الف درهم على بحيرة فامية وغيرها فلم يحصل له من ذلك الا دون ثلثين الف درهم (وفي هذه السنة) وصلت الاخبار من مكة بان نارا ظهرت من عدن وبعض جبالها بحيث كانت تظهر في الليل ويرتفع منها في النهار دخان عظيم (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وست مائة

(ذكر دولة الحفصيين ملوك تونس)

وانما ذكرناها في هذه السنة لانها كالمتوسطة لمدة ملكهم وهو ما نقلناه من الشيخ الفاضل ركن الدين بن قويع التونسي قال والحفصيون اولهم ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي وهنتاتة بتائين مثناتين من فوقهما قبيلة من المصامدة ويزعمون انهم قرشيون من بني عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان ابو حفص المذكور من اكبر اصحاب ابن تومرت بعد عبد المؤمن وتولى عبد الواحد ابن ابي حفص افريقية نيابة عن بني عبد المؤمن في سنة ثلث وست مائة ومات سلخ الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة فتولى ابو العلا من بني عبد المؤمن ثم توفي فعادت افريقية الى ولاية الحفصيين وتولى منهم عبد الله بن عبد الواحد بن ابي حفص في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولما تولى ولى اخاه ابا زكريا يحيى قابس واخاه ابا ابراهيم اسحق بلاد الجريد ثم خرج على عبد الله وهو على قابس اصحابه ورجموه وطردوه وولوا موضعه اخاه ابا زكريا بن عبد الواحد سنة اثنتين وستين فنقم بنو عبد المؤمن على ابي زكريا ذلك فاسقط ابو زكريا اسم عبد المؤمن من الخطبة وبقى اسم المهدي وخلع طاعة بني عبد المؤمن وتملك افريقية وخطب لنفسه بالامير المرتضى واتسع مملكته وفتح تلمسان والغرب الاوسط و بلاد الجريد والزاب و بقي كذلك حتى توفي على بونة سنة سبع واربعين وستمائة وانشأ في تونس بنايات عظيمة شامخة وكان عالما بالادب وخلف اربعة بنين وهم ابو عبد الله محمد وابو اسحق ابراهيم وابو حفص عمر وابو بكر وكنيته ابو يحيى وخلف اخوين وهما ابو ابراهيم اسحق ومحمد اللحياني ابني عبد الواحد ابن ابي حفص وكان محمد اللحياني المذكور صالحا منقطعا يتبرك به ثم تولى بعده ابنه ابو عبد الله محمد ابن ابي زكريا ثم سعى عمه ابو ابراهيم في خلعه فخلع وبايع لاخيه محمد اللحياني

الحياني المذكور وهم في انتظار وصول اللحياني الى مملكته اقول وقد بقيت مملكة افريقية فهرب منها لضعفها بسبب استيلاء العرب عليها

(ذكر مقتل اقطاى)

في هذه السنة اغتال الملك المعز ايبك التركماني المستولي على مصر خوشداشه اقطاي الجمدار واوقف له في بعض دها ليز الدور التي بقلعة الجبل ثلثة مماليك وهم قطز وبهادر وسنجر الغتمي فلما مر بهم فارس الدين اقطاي ضربوه بسيوفهم فقتلوه ولما علمت البحرية بذلك هربوا من ديار مصر الى الشام وكان الفارس اقطاي يمنع ايبك من الاستقلال بالسلطنة وكان الاسم للملك الاشرف موسى بن يوسف بن يوسف ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر ابن ايوب فلما قتل اقطاي استقل المعز التركماني بالسلطنة وابطل الاشرف موسى المذكور منها بالكلية و بعث به الى عماته القطبيات وموسى المذكور آخر من خطب له من بيت ايوب بالسلطنة في مصر وكان انقضاء دولتهم من الديار المصرية في هذه السنة على ماشرحناه ووصلت البحرية الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام واطمعوه في ملك مصر فرحل من دمشق بعسكر ونزل عمتا من الغور وارسل الى غزة عسكرا فنزلوا بها و برز المعز ايبك صاحب مصر الى العباسة وخرجت السنة وهم على ذلك (وفيها) قدمت ملكة خاتون بنت كيقباذ ملك بلاد الروم الى زوجها الملك الناصر يوسف صاحب الشام (وفيها) ولى الملك المنصور صاحب حماة قضاء حماة للقاضي شمس الدين ابراهيم ابن هبة الله بن البارزي بعد عزل القاضي المحي حمزة بن محمد (ثم دخلت سنة ثلث وخمسين وستمائة) فيها عزمت العزيزية المقيمون مع المعز ايبك على القبض عليه وعلم بذلك واستعد لهم فهربوا من مخيمهم على العباسة على حمية واحتيط على وطاقاتهم جميعها (وفي هذه السنة) مشى نجم الدين البادرائي في الصلح بين المصريين والشاميين واتفق الحال ان يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون الحد بئر القاضي وهو بين الوردة والعريش وبيد المعز ايبك الديار المصرية وانفصل الحال على ذلك ورجع كل الى بلده (وفي هذه السنة) او التي قبلها تزوج المعز ايبك شجر الدر ام خليل التي خطب لها بالسلطنة في ديار مصر (وفيها) طلب الملك الناصر داود من الملك الناصر يوسف دستورا الى العراق بسبب طلب وديعته من الخليفة وهي الجوهر الذي تقدم ذكره وان يمضي الى الحج فاذن له الناصر يوسف في ذلك فسار الناصر داود الى كربلا ثم مضى منها الى الحج ولما رآى قبر النبي صلى الله عليه وسلم تعلق في استار الحجرة الشريفة بحضور الناس وقال

المنصور بالله القائم بحق الله امير المؤمنين ابن امير المؤمنين ابى العباس الفضل ولما اسقر ابو حفص عمر فى المملكة وقتل الداعى تلقب بالمستنصر بالله امير المؤمنين وهو المستنصر الثانى ولما استقر فى المملكة سار ابن اخيه يحيى بن ابراهيم ابن ابى زكريا الذى سلم من المعركة الى بجاية وملكها وتلقب بالمنتخب لاحياء دين الله امير المؤمنين واستمر المستنصر الثانى ابو حفص عمر بن ابى زكريا فى مملكته حتى توفى فى اوائل المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة ولما اشتد مرضه بايع لابن له صغير فاجتمعت الفقهاء وقالوا له انت صائر الى الله وتولية مثل هذا لا يحل فابطل بيعته واخرج ولد الواثق المخلوع الذى كان صغيرا وسلم من الذبح الملقب بابى عصيدة وبويع صبيحة موت ابى حفص عمر الملقب بالمستنصر وكان اسم ابى عصيدة المذكور ابا عبد الله محمد وتلقب ابو عصيدة بالمستنصر ايضا وهو المستنصر الثالث وتوفى فى ايامه صاحب بجاية المنتخب يحيى بن ابراهيم بن ابى زكريا وملك بعده بجاية ابنه خالد بن يحيى وبقى ابو عصيدة المذكور حتى توفى سنة تسع وسبع مائة فملك بعده شخص من الحفصيين يقال له ابو بكر بن عبد الرحمن بن ابى بكر بن ابى زكريا بن عبد الواحد ابن ابى حفص صاحب ابن تومرت واقام فى الملك ثمانية عشر يوما ثم وصل خالد ابن المنتخب صاحب بجاية ودخل تونس وقتل ابا بكر المذكور فى سنة تسع وسبعمائة ولما جرت ذلك كان زكريا اللحيانى بمصر فسار مع عسكر السلطان الملك الناصر خلد الله ملكه الى طرابلس الغرب وبايعه العرب وسار الى تونس فخلع خالد ابن المنتخب وحبس ثم قتل قصاصا بابى بكر بن عبد الرحمن المقدم الذكر واستقر اللحيانى فى ملك افريقية وهو ابن يحيى زكريا بن احمد بن محمد الزاهد اللحيانى ابن عبد الواحد بن ابى حفص صاحب ابن تومرت ثم تحرك على اللحيانى اخو خالد وهو ابو بكر بن يحيى المنتخب فهرب اللحيانى الى ديار مصر واقام بالاسكندرية وملك ابو بكر المذكور تونس وما معها خلا طرابلس والمهدية فانه بعد هروب اللحيانى بايع ابنه محمد بن اللحيانى لنفسه واقتتل مع ابى بكر فهزمه ابو بكر واستقر محمد بن اللحيانى بالمهدية وله معها طرابلس وكان استيلاء ابى بكر وهروب اللحيانى الى ديار مصر فى سنة تسع وعشرة وسبع مائة واقام اللحيانى فى اسكندرية ثم وردت عليه مكاتبات من تونس فى ذى القعدة سنة احدى وعشرين وسبع مائة الى الاسكندرية يذكرون فيها ان ابا بكر متملك تونس المذكور قد هرب وترك البلاد وان الناس قد اجتمعوا على طاعة اللحيانى وبايعوا نائبه وهو محمد بن ابى بكر من الحفصيين وهو صهر زكريا

الملك الصالح ايوب وهى التى خطب لها بالسلطنة فى ديار مصر وكان سبب ذلك انه بلغها ان المعز ايبك المذكور قد خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ويريد ان يتزوجها فقتلته فى الحمام بعد عوده من لعب الكرة فى النهار المذكور وكان الذى قتله سنجر الجوجرى مملوك الطواشى محسن والخدام حسبما اتفقت معهم عليه شجر الدر وارسلت فى تلك الليلة اصبع المعز ايبك وخاتمه الى الامير عز الدين الحلبى الكبير وطلبت منه ان يقوم بالامر فلم يجسر على ذلك ولما ظهر الخبر اراد مماليك المعز ايبك قتل شجر الدر فحماها المماليك الصالحية فاتفقت الكلمة على اقامة نور الدين على ابن الملك المعز ايبك ولقبوه الملك المنصور وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ونقلت شجر الدر من دار السلطنة الى البرج الاحمر وصلبوا الخدام الذين اتفقوا معها على قتل المعز ايبك وهرب سنجر الجوجرى ثم ظفروا به وصلبوه واحتيط على الصاحب بهاء الدين على بن حنا لكونه وزير شجر الدر واخذ خطه بستين الف دينار وفى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر من هذه السنة اتفقت مماليك المعز ايبك مثل سيف الدين قطز وسنجر الغتمى وبهادر وقبضوا على علم الدين سنجر الحلبى وكان قد صار اتابكا للملك المنصور نور الدين ابن الملك على المعز ايبك ورتبوا فى اتابكية المذكور اقطاى المستعرب الصالحى (وفى سادس عشر) ربيع الآخر من السنة المذكورة قتلت شجر الدر والقيت خارج البرج فحملت الى تربة كانت قد عملتها فدفنت فيها وكانت تركية الجنس وقيل كانت ارمنية وكانت مع الملك الصالح فى الاعتقال بالكرك وولدت منه ولدا اسمه خليل مات صغيرا وبعد ايام من ذلك خنق شرف الدين الفايزى

(ذكر مفارقة البحرية الملك الناصر)

(يوسف صاحب الشام ابن الملك العزيز)

وفى هذه السنة نقل الى الناصر يوسف ان البحرية يريدون ان يفتكوا به فاستوحش خاطره منهم وتقدم اليهم بالانتزاح عن دمشق فساروا الى غزة واتوا الى الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل ابى بكر ابن الملك الكامل وانزعج اهل مصر لقدوم البحرية الى غزة وبرزوا الى العباسة ووصل من البحرية جماعة مقفزين الى القاهرة منهم عز الدين الاثرم فاكرموهم وافرجوا عن املاك الاثرم ولما فارق البحرية الناصر صاحب الشام ارسل عسكرا فى اثرهم فكبس البحرية ذلك العسكر ونالوا منه ثم ان عسكر الناصر بعد الكبسة كسروا البحرية فانهزموا الى البلقاء والى زغر ملتجين الى الملك المغيث صاحب الكرك فانفق فيهم المغيث اموالا جليلة واطمعوه فى ملك مصر فجهزهم بما احتاجوه وسارت البحرية الى جهة مصر وخرجت عساكر مصر لقتالهم والتقى المصريون مع البحرية

اشهدوا ان هذا مقامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلا عليه مستشفعا به الى ابن عمه المستعصم في ان يرد على وديعتي فاعظم الناس ذلك وجرت عبراتهم وارتفع بكاؤهم وكتب بصورة ماجرى مشروح ورفع الى امير الحاج كيخسرو وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة من هذ السنة وتوجه الناصر داود مع الحاج العراقي واقام ببغداد (ثم دخلت سنة اربع وخمسين وستمائة) فيها مات كيخسرو ملك بلاد الروم واقيم في السلطنة ولداه الصغيران عز الدين كيكاوس وركن الدين قليج ارسلان (وفيها) توجه كمال الدين المعروف بابن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم وصحبته تقدمة جليلة وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه ووصل من جهة المعز ايبك صاحب مصر شمس الدين سنقر الاقرع وهو من مماليك المظفر غازى صاحب ميافارقين الى بغداد بتقدمة جليلة وسعى في تعطيل خلعة الناصر يوسف صاحب دمشق فبقي الخليفة متحيرا ثم انه احضر سكينا من اليشم كبيرة وقال الخليفة اوزبره اعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة مني في ان له خلعة عندي في وقت آخر واما في هذا الوقت فلا يمكني فاخذ كمال الدين ابن العديم السكين وعاد الى الناصر يوسف بغير خلعة

(ذكر غير ذلك)

فيها جرى للناصر داود مع الخليفة ما صورته انه لما اقام ببغداد بعد وصوله مع الحجاج واستشفاعه بالنبي صلى الله عليه وسلم في رده وديعته ارسل الخليفة المستعصم من حاسب الناصر داود المذكور على ما وصله في ترداده الى بغداد من المضيف مثل اللحم والخبز والحطب والعليف والتبن وغير ذلك وثمن عليه ذلك باغلا الاثمان وارسل اليه شيئا نزرا والزمه ان يكتب خطه بقبض وديعته وانه ما بقي يستحق عند الخليفة شيئا فكتب خطه بذلك كرها وسار عن بغداد واقام مع العرب ثم ارسل اليه الناصر يوسف بن العزيز بن غازى بن يوسف صاحب الشام فطيب قلبه وحلف له فقدم الناصر داود الى دمشق ونزل بالصالحية (وفي هذه السنة) يوم الاحد ثالث شوال توفي سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر محمود صاحب حماة وكان قد زوجه المظفر المذكور باخته وقام بتدبير مملكة حماة بعد وفاة الملك المظفر حتى توفي في التاريخ المذكور (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة)

(ذكر قتل المعز ايبك التركماني)

وفي هذه السنة في يوم الثلثاء الثالث والعشرين من ربيع الاول قتل الملك المعز ايبك التركماني الجاشنكير الصالحي قتلته امرأته شجر الدر التي كانت امرأة استاذه

ونزل باجو وهو مقدم كبير في الجانب الغربي على قرية قبالة دار الخلافة وخرج موئيد الدين الوزير ابن العلقمي الى هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال انه هولاكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك ابى بكر وحسن له الخروج الى هولاكو فخرج اليه المستعصم في جمع من اكابر اصحابه فانزل في خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والاماثل فاجتمع هنالك جميع سادات بغداد والمدرسون وكان منهم محي الدين بن الجوزى واولاده وكذلك بقي يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر وعدى باجو ومن معه وبذلوا السيف في بغداد وهجموا دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الاشراف ولم يسلم الا من كان صغيرا فاخذ اسيرا ودام القتل والنهب في بغداد نحو اربعين يوما ثم نودى بالامان واما الخليفة فانهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله فقيل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات وقيل غرق في دجلة والله اعلم بحقيقة ذلك وكان هذا المستعصم وهو عبدالله ابو احمد بن المستنصر ابى جعفر منصور بن محمد الطاهر ابن الامام الناصر احمد وقد تقدم ذكر باقى نسبه عند ذكر وفاة الامام الناصر ضعيف الرأى قد غلب عليه امراء دولته اسوء تدبيره تولى الخلافة بعد موت ابيه المستنصر في سنة اربعين وستمائة وكانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة تقريبا وهو آخر الخلفاء العباسيين وكان ابتداء دولتهم في سنة اثنين وثلثين ومائة وهى السنة التى بويع فيها السفاح بالخلافة وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفا بنى امية وكانت مدة ملكهم خمس مائة سنة واربعا وعشرين سنة تقريبا وعدة خلفائهم سبعة وثلثون خليفة حكى القاضى جمال الدين ابن واصل قال لقد اخبرنى من اثق به انه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته ان على ابن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء بنى امية عنه انه يقول ان الخلافة تصير الى ولده فامر الاموى بعلى بن عبدالله فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفترى ويقول ان الخلافة تكون في ولده فكان على بن عبدالله لما ذكره رحمه الله يقول اى والله لتكونن الخلافة في ولدى لا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فوقع مصداق ذلك وهو ورود هولاكو وازالته ملك بنى العباس

(ذكر الوقعة بين المغيث صاحب الكرك وعسكر مصر)

كان قد انضمت البحرية الى المغيث بن العادل بن الكامل ونزل من الكرك وخيم بغزة وجمع الجموع وسار الى مصر في دست السلطنة وخرجت عساكر مصر مع مماليك الملك المعز ايبك واكبرهم سيف الدين قطز الذى صار صاحب مصر والغتمى

وعسكر المغيث بكرة السبت منتصف القعدة من هذه السنة فانهزم عسكر المغيث والبحرية وفيهم بيبرس البندقداري المسمى بعد ذلك بالملك الظاهر الى جهة الكرك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة وصل من الخليفة المستعصم الخلعة والطوق والتقليد الى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز (وفيها) استجار الناصر داود بنجم الدين البادراي في ان يتوجه صحبته الى بغداد فاخذه صحبته وتوصل الناصر يوسف صاحب دمشق الى منعه عن ذلك فلم يتهيأ له وسار الناصر دواد مع البادراي الى قرقيسيا فاخره البادرى لئلا يشاور عليه فاقام الناصر داود في قرقيسيا ينتظر الاذن بالقدوم الى بغداد فلم يؤذن له وطال مقامه فسافر الى البرية وقصد تيه بني اسرائيل واقام مع عرب تلك البلاد (وفي هذه السنة) اوائل قبلها ظهرت نار بالحرة عند مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لها بالليل ضوء عظيم اظهر من مسافة بعيدة جدا ولعلها النار التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم من دلالات الساعة وقال نار تظهر بالحجاز تضيء منها اعناق الابل ببصرى ثم اتفق ان الخدام بحرم النبي صلى الله عليه وسلم وقع منهم في بعض الليالي تفريط فاشتعلت النار في المسجد الشريف واحترقت سقوفه ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم وتألم الناس لذلك (ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة)

(ذكر استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية)

في اول هذه السنة قصد هولاكو ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من المحرم وقتل الخليفة المستعصم بالله وسبب ذلك ان وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمي كان رافضيا وكان اهل الكرخ ايضا روافض فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على جاري عادتهم فامر ابو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي وكاتب التتر واطمعهم في ملك بغداد وكان عسكر بغداد يبلغ مائة الف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصل اقطاعاتهم وصار عسكر بغداد دون عشرين الف فارس وارسل ابن العلقمي الى التتر اخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد في جحفل عظيم وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن الدين الدوادار والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم الى جهة الشام ونزل هولاكو على بغداد من الجانب الشرقي

وكان قد اغارت الفرنج على نابلس في ايام الملك الصالح ايوب صاحب مصر

ايا ليت امى ايم طول عمرها * فلم يقضها ربي لمولى ولابعل
ويا ليتها لما قضاها لسيد * لبيب اريب طيب الفرع والاصل
قضاها من اللاتى خلقن عواقرا * فما بشرت يوما بانثى ولافحل
ويا ليتها لما غدت بى حاملا * اصيبت بما احتفت عليه من الحمل
ويا ليتنى لما ولدت واصبحت * تشد الى الشدقيات بالرحل
لحقت باسلافى فكنت ضجيعهم * ولم ارفى الاسلام مافيه من خلل

(ذكر وفاة الصاحبة غازية خاتون والدة الملك المنصور صاحب حماة)

وفى هذه السنة فى ذى القعدة توفيت الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب بقلعة حماة رحمها الله تعالى وكان قدومها الى حماة فى سنة تسع وعشرين وستمائة وولد لها من الملك المظفر محمود صاحب حماة ثلث بنين مات احدهم صغيرا وكان اسمه عمر وبقى الملك المنصور محمد صاحب حماة واخوه والد الملك الافضل على وولدلها منه ثلث بنات ايضا فتوفيت الكبرى منهن وكان اسمها ملكة خاتون قبل وفاة والدتها بقليل وتوفيت الصغرى وهى دنيا خاتون بعد وفاة اخيها الملك المنصور وسنذكر وفاة الباقين فى مواضعها ان شاء الله تعالى وكانت الصاحبة غازية خاتون المذكورة من احسن النساء سيرة وزهدا وعبادة وحفظت الملك لولدها الملك المنصور حتى كبر وسلمه اليه قبل وفاتها رحمها الله تعالى

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفى هذه السنة قصدت التتر ميافارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب ميافارقين حينئذ الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب وكان قد ملكها بعد وفاة ابيه فى سنة اثنين واربعين وستمائة فحاصره التتر وضايقوا ميافارقين مضايقة شديدة وصبر اهل ميافارقين مع الكامل محمد المذكور على الجوع الشديد ودام ذلك حتى كان منه ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) اشتدالوبا بالشام خصوصا بدمشق حتى لم يوجد مغسل للموتى (وفيها) ارسل الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ولده الملك العزيز محمد وصحبته زين الدين محمد المعروف بالحافظى وهو من اهل قرية عقربا من بلد دمشق بتحف وتقادم الى هولاكو ملك التتر وصانعه لعلمه بعجزه عن ملتقى التتر (وفيها)

وبها در والتقى الفريقان فكانت الكسرة على المغيث ومن معه فولى منهزما الى الكرك فى اسوء حال ونهبت اثقاله ودهليزه

(ذكر وفاة الناصر داود)

وفى هذه السنة اعنى سنة ست وخمسين وستمائة فى ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الاولى توفى الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب بظاهر دمشق فى قرية يقال لها البويضا ومولده سنة ثلث وستمائة فكان عمره نحو ثلث وخمسين سنة وكنا قد ذكرنا اخباره فى سنة خمس وخمسين وانه توجه الى تيه بنى اسرائيل وصار مع عرب تلك البلاد وبلغ المغيث صاحب الكرك وصوله الى تلك الجهة فخشى منه وارسل اليه فقبض عليه وحمله الى بلد الشوبك وامر بحفر مطمورة ليحبسه فيها وبقى الملك الناصر المذكور ممسوكا والمطمورة تحفر قدامه ليحبس فيها فبينما هو على تلك الحال اذ ورد رسول الخليفة المستعصم يطلبه من بغداد لمقاصده التتر ليقدمه على بعض العساكر لملتقى التتر فلما ورد رسول الخليفة الى دمشق جهزوه الى المغيث صاحب الكرك ووصل الرسول الى موضع الملك الناصر قبل ان يتم المطمورة فاخذه وسار به الى جهة دمشق فبلغ الرسول استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة فتركه الرسول ومضى لشأنه فسار الناصر داود الى البويضا وهى قرية شرقى دمشق واقام بها ولحق الناس فى الشام فى تلك المدة طاعون مات منه الناصر داود المذكور فى التاريخ المذكور وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق الى البويضا واظهر عليه الحزن والتأسف ونقله ودفنه بالصالحية فى تربة والده المعظم وكان الناصر داود فاضلا ناظما ناثرا وقرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهى تلميذ الامام فخر الدين الرازى وللناصر داود المذكور اشعار جيدة قد تقدم ذكر بعضها ومن شعره ايضا

عيون عن السحر المبين تبين * لها عند تحريك القلوب سكون
تصول ببيض وهى سود فرندها * ذبول فتور والجفون جفون
اذا ما رأت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

وله ايضا

طرفى وقلبى قاتل وشهيد * ودمى على خديك منه شهود
اما وحبك لست اضمر سلوة * عن صبوتى ودع الفؤاد يبيد
منى بطيفك بعد ما منع الكرى * عن ناظرى البعد والتسهيد
ومن العجائب ان قلبك لم يلن * لى والحديد الانه داود

ومما كتب به فى اثناء مكاتبته الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

في طاعته وحمل اليه الاموال ووصل الى خدمة هولاكو بعد اخذ بغداد ببلاد اذربيجان وكان صحبة لولو الشريف العلوي ابن صلايا فقيل ان لولو سعى به الى هولاكو فقتل الشريف المذكور ولما عاد لولو الى الموصل لم يطل مقامه بها حتى مات وطالت ايام بدر الدين لولو في ملك الموصل فانه كان القائم بامور استاذه ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ابن اقسنقر وقام بتدبير ولده الملك القاهر بن ارسلان شاه ولما توفي الملك القاهر بن ارسلان شاه في سنة خمس عشرة وستمائة انفرد لولو بتدبير المملكة واقام ولدي القاهر الصغير بن واحدا بعد واحد واستبد بملك الموصل وبلادها ثلثا واربعين سنة تقريبا ولم يزل في ملكه سعيدا لم تطرقه آفة ولم يختل لملكه نظام

(ذكر منازلة الملك الناصر يوسف صاحب الشام الكرك)

وفي هذه السنة لما جرى من البحرية ماذكرناه من كسر عسكر الناصر يوسف سار الناصر المذكور من دمشق بنفسه وعساكره وسار في صحبته الملك المنصور صاحب حماة بعسكره الى جهة الكرك واقام على بركة زيزا محاصرا للملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته للبحرية ووصل الى الملك الناصر رسل الملك المغيث صاحب الكرك والقطبية بنت الملك المفضل قطب الدين ابن الملك العادل يتضرعون الى الملك الناصر ويطلبون رضاه عن الملك المغيث فلم يجب الى ذلك الا بشرط ان يقبض المغيث على من عنده من البحرية فاجاب المغيث الى ذلك وعلم بالحال ركن الدين بيبرس البندقداري فهرب في جماعة من البحرية ووصل بهم الى الملك الناصر يوسف فاحسن اليهم وقبض المغيث على من بقي عنده من البحرية ومن جملتهم سنقر الاشقر وسكز وبرامق وارسلهم على الجمال الى الملك الناصر فبعث بهم الى حلب فاعتقلوا بها واستقر الصلح بين الملك الناصر وبين الملك المغيث صاحب الكرك وكان مدة مقام الملك الناصر بالعساكر على بركة زيزا ما يزيد على شهرين بقليل ثم عاد الى دمشق واعطى للملك المنصور صاحب حماة دستورا فعاد الى بلده

(ذكر سلطنة قطز)

وفي اواخر هذه السنة اعني سنة سبع وخمسين وستمائة في اوائل ذي الحجة قبض سيف الدين قطز على ولد استاذه الملك المنصور نور الدين علي بن المعز ايبك وخلعه من السلطنة وكان علم الدين الغتمي وسيف الدين بهادر وهما من كبار المعزية غائبين في رمي البندق فانتهز قطز الفرصة في غيبتهما وفصل

توفى الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن على بن يحيى المهلبى كاتب انشاء الملك الصالح ايوب ومولد البهاء زهير بوادى نخلة من مكة سنة احدى وثمانين وخمس مائة وفى آخر عمره انكشف حاله وباع موجوده وكتبه واقام فى بيته فى القاهرة حتى ادركته وفاته بسبب الوبا العام فى يوم الاحد رابع ذى القعدة من هذه السنة اعنى سنة ست وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة الصغرى وكان كريم الطباع غزير المروة فاضلا حسن النظم وشعره مشهور كثير فمن شعره وهو وزن مخترع ليس بخرجة العروض ابيات منها

يا من لعبت به شمول * ما الطف هذه الشمائل
مولاى يحق لى بانى * عن حبك فى الهوى اقاتل
ها عبدك واقفا ذليلا * بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى * والطل من الحبيب وابل

(وفى هذه السنة) توفى بمصر الشيخ زكى الدين عبد العظيم شيخ دار الحديث وكان من ائمة الحديث المشهورين (وفيها) توفى الشيخ شمس الدين يوسف سبط جمال الدين ابن الجوزى وكان من الوعاظ الفضلا الف تاريخا جامعا سماه مرآة الزمان (وفيها) توفى سيف الدين على بن سابق الدين قزل المعروف بابن المشد وكان اميرا مقدما فى دولة الملك الناصر يوسف صاحب الشام وله شعر حسن فمنه

باكر كؤوس المدام واشرب * واستجل وجه الحبيب واطرب
ولا تخف للهموم داء * فهى دواء له مجرب
من يد ساق له رضاب * كالشهد لكن جناه أعذب

(وفيها) كان بين البحرية بعد هزيمتهم من المصريين وبين عسكر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ومقدمهم الامير مجير الدين بن ابى زكرى مصاف بظاهر غزة انهزم فيه عسكر الناصر يوسف واسر مجير الدين المذكور وقوى امر البحرية بعد هذه الكسرة واكثروا العبث والفساد (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة) فيها سار عز الدين كيكاووس وركن الدين قليج ارسلان ابنا كيخسرو بن كيقباذ الى خدمة هولاكو واقاما معه مدة ثم عادا الى بلادهما

ذكر وفاة بدر الدين صاحب الموصل

فى هذه السنة توفى بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان يلقب الملك الرحيم وكان عمره قد جاوز ثمانين سنة ولما مات ملك بعده الموصل ولده الملك الصالح اسمعيل ابن لولو وملك سنجار ولده الآخر علاء الدين بن لولو وكان بدر الدين قد صانع هولاكو ودخل

ولما بلغ الملك الناصر يوسف صاحب الشام قصد التتر حلب برز من دمشق الى برزه فى اواخر السنة الماضية وجفل الناس من بين يدى التتر وسار من حماة الى دمشق الملك المنصور صاحب حماة ونزل معه ببرزه وكان هناك مع الناصر يوسف بيبرس البندقدارى من حين هرب من الكرك والتجى الى الناصر فاجتمع عند الملك الناصر عند برزه امم عظيمة من العساكر والجفال ولما دخلت هذه السنة والملك الناصر ببرزه بلغه ان جماعة من مماليكه قد عزموا على اغتياله والفتك به فهرب الملك الناصر من الدهليز الى قلعة دمشق وبلغ مماليكه الذين قصدوا ذلك علمه بهم فهربوا على حمية الى جهة غزة وكذلك سار بيبرس البندقدارى الى جهة غزة واشاع المماليك الناصرية انهم لم يقصدوا قتل الملك الناصر وانما كان قصدهم ان يقبضوا عليه ويسلطنوا اخاه الملك الظاهر غازى ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين لشهامته ولما جرى ذلك هرب الملك الظاهر المذكور خوفا من اخيه الملك الناصر وكان الظاهر المذكور شقيق الناصر امهما ام ولد تركية ووصل الملك الظاهر غازى الى غزة واجتمع عليه من بها من العسكر واقاموه سلطانا ولما جرى ذلك كاتب بيبرس البندقدارى الملك المظفر قطز صاحب مصر فبذل له الامان ووعده الوعود الجميلة ففارق بيبرس البندقدارى الشاميين وسار الى مصر فى جماعة من اصحابه فاقبل عليه الملك المظفر قطز وانزله فى دار الوزارة واقطعه قليوب واعمالها

(ذكر استيلاء التتر على حلب وعلى الشام جميعه ومسير الملك الناصر)
(عن دمشق ووصول عساكره الى مصر وانفراد الملك الناصر عنهم)

فى هذه السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة فى يوم الاحد تاسع صفر كان استيلاء التتر على حلب وسببه ان هولاكو عبر الفرات بجموعه ونازل حلب وارسل هولاكو الى الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له انكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر فاجعلوا لنا عندكم بحلب شحنة وبالقلعة شحنة ونتوجه نحن الى العسكر فان كانت الكسرة على عسكر الاسلام كانت البلاد لنا وتكونون قد حقنتم دماء المسلمين وان كانت الكسرة علينا كنتم مخيرين فى الشحنتين ان شئتم طردتموهما وان شئتم قتلتموهما فلم يجب الملك المعظم الى ذلك وقال ليس لكم عندنا الا السيف وكان رسول هولاكو اليهم فى ذلك صاحب ارزن الروم فتعجب من هذا الجواب وتألم لما علم من هلاك اهل حلب بسبب ذلك واحاط التتر بحلب ثانى صفر وهجموا البلاد فى [illegible] ذلك اليوم

ذلك ولما قدم الغتمى وبهادر المذكور ان قبض عليهما قطز ايضا واستقر قطز فى ملك الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر وكان رسول الملك الناصر يوسف صاحب الشام وهو كمال الدين المعروف بابن العديم قد قدم الى مصر فى ايام الملك المنصور على ابن ايبك مستنجدا على التتر واتفق خلع على المذكور وولاية قطز بحضرة كمال الدين ابن العديم ولما استقر قطز فى السلطنة اعاد جواب الملك الناصر يوسف انه ينجده ولا يقعد عن نصرته وعاد ابن العديم بذلك

(ذكر مولد الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة)

وفى هذه السنة اعنى سنة سبع وخمسين وستمائة فى الساعة العاشرة من ليلة الاحد خامس عشر المحرم وثانى عشر كانون الثانى ولد محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر ابن شاهنشاه بن ايوب ولقبوه الملك المظفر بلقب جده وام الملك المظفر محمود المذكور عايشة خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وهنا الشيخ شرف الدين عبد العزيز المعروف بشيخ الشيوخ الملك المنصور صاحب حماة بقصيدة طويلة منها

ابشر على رغم العدى والحسد * باجل مولود واكرم مولد

يا نعمة الغراء بل يا الد ولة الزهراء بل بالمفخر المجدد

وافاك بدرا كاملا فى ليلة * طلعت عليك نجومها بالاسعد

ما بين محمود المظفر اسفرت * عنه و ما بين العزيز محمد

(ذكر قصد هولاكو الشام)

وفى هذه السنة قدم هولاكو الى البلاد التى شرقى الفرات ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وارسل ولده سموط بن هولاكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب فى العشر الاخير من ذى الحجة من هذه السنة اعنى سنة سبع وخمسين وستمائة وكان الحاكم فى حلب الملك المعظم تور انشاه ابن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن اخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه الخروج اليهم واكمن لهم التتر فى باب الى المعروف بباب الله وتقاتلوا عند بانقوسا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب المسلمون طالبين المدينة والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختنق فى ابواب البلد جماعة من المنهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فتسلموها بالامان (ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة)

(ذكر ما كان من الملك الناصر عند قصد التتر حلب)

الى قطية فجرى بها فتنة بين التركمان والاكراد الشهرزورية ووقع نهب في الجفال وخاف الملك الناصر ان يدخل مصر ويقبض عليه فتأخر في قطية ورحلت العساكر والملك المنصور صاحب حماة الى مصر وتأخر مع الملك الناصر جماعة يسيرة منهم اخوه الملك الظاهر غازي والملك الصالح بن شيركوه صاحب حمص وشهاب الدين القيمري ثم سار الملك الناصر بمن تأخر معه من قطية الى جهة تيه بني اسرائيل ولما وصلت العساكر الى مصر التقاهم الملك المظفر قطز بالصالحية وطيب قلوبهم وارسل الى الملك المنصور صاحب حماة سنجقا والتقاه ملتقا حسنا وطيب قلبه ودخل القاهرة واما التتر فانهم استولوا على دمشق وعلى سائر الشام الى غزة واستقرت شحانيهم بهذه البلاد

(ذكر استيلاء التتر على قلعة حلب والمجددات بالشام)

اما قلعة حلب فوثب جماعة من اهلها في مدة الحصار على صفي الدين بن طرده رئيس حلب وعلى نجم الدين احمد بن عبد العزيز بن احمد بن القاضي نجم الدين بن ابي عصرون فقتلوهما لانهم اتهموهما بمواطاة التتر واستمر الحصار على القلعة واشتدت مضايقة التتر لها نحو شهر ثم سلمت بالامان في يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع ٣ الاول من هذه السنة ولما نزل اهلها بالامان وكان فيها جماعة من البحرية الذين حبسهم الملك الناصر فيهم سنكز وبرامق وسنقر الاشقر فسلمهم هولاكو هم وباقي الترك الى رجل من التتر يقال له سلطان جق وهو رجل من اكابر القفجاق هرب من التتر لما غلبت على القفجاق وقدم الى حلب فاحسن اليه الملك الناصر فلم تطب له تلك البلاد فعاد الى التتر واما العوام والغربا فراحوا الى اماكن الحمى التي قدمنا ذكرها وامر هولاكو ان يمضي كل من سلم الى داره وملكه وان لا يعارض وجعل النائب بحلب عماد الدين القزويني ووصل الى هولاكو على حلب الملك الاشرف صاحب حمص موسى بن ابراهيم ابن شيركوه وكان قد انفرد الاشرف المذكور عن الملك الناصر لما رحل الملك الناصر الى جهة مصر ووصل الى هولاكو بحلب فاكرمه هولاكو واعاد عليه حمص وكان قد اخذها منه الملك الناصر صاحب حلب في سنة ست واربعين وستمائة وعوضه عنها تل باشر على ما تقدم ذكره فعادت اليه في هذه السنة واستمر ملكه بها وقدم ايضا الى هولاكو وهو نازل على حلب محيي الدين بن الزكي من دمشق فاقبل عليه هولاكو وخلع عليه وولاه قضاء الشام وعاد ابن الزكي المذكور الى دمشق ولبس خلعة هولاكو وكانت مذهبة وجمع الفقهاء وغيرهم من اكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاكو واستقر في القضاء ثم رحل هولاكو الى حارم وطلب تسليمها فامتنعوا ان يسلموها لغير فخر الدين

وقتل من المسلمين جماعة كثيرة وممن قتل اسد الدين ابن الملك الزاهر ابن
صلاح الدين واشتدت مضايقة التتر للبلد وهجموه من عند حمام حمدان فى ذيل
قلعة الشريف فى يوم الاحد تاسع صفر وبذلوا السيف فى المسلمين وصعد الى
القلعة خلق عظيم ودام القتل والنهب من نهار الاحد المذكور الى الجمعة رابع
عشر صفر المذكور فأمر هولاكو برفع السيف ونودى بالامان ولم يسلم من
اهل حلب الامن التجى الى دار شهاب الدين بن عمرون ودار نجم الدين اخى
مردكين ودار البارياد ودار علم الدين قيصر الموصلى والخانكاه التى فيها
زين الدين الصوفى وكنيسة اليهود وذلك لفرمانات كانت بأيديهم وقيل انه سلم
بهذه الاماكن مايزيد على خمسين الف نفس ونازل التتر القلعة وحاصروها
وبها الملك المعظم ومن التجى اليها من العسكر واستمر الحصار عليها وكان
من ذلك ماسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك من احوال حماة واحوال الملك الناصر بعد اخذ حلب)

كان قد تأخر بحماة الطواشى مرشد لما سار صاحب حماة الى دمشق فلما
بلغ اهل حماة فتح حلب توجه الطواشى مرشد من حماة الى عند الملك
المنصور صاحب حماة بدمشق ووصل كبراء حماة الى حلب ومعهم مفاتيح حماة
وحملوها الى هولاكو وطلبوا منه الامان لاهل حماة وشحنة يكون عندهم
فامنهم هولاكو وارسل الى حماة شحنة رجلا اعجميا كان يدعى انه من ذرية
خالد ابن الوليد يقال له خسروشاه فقدم خسروشاه الى حماة وتولاها وامن
الرعية وكان بقلعة حماة مجاهد الدين قيماز امير جندار فسلم القلعة اليه ودخل
فى طاعة التتر ولما بلغ الملك الناصر بدمشق اخذ حلب رحل من دمشق بمن بقى
معه من العسكر الى جهة الديار المصرية وفى صحبته الملك المنصور صاحب حماة
واقام بنابلس اياما ورحل عنها وترك فيها الامير مجير الدين ابن ابى زكرى
والامير على بن شجاع ومعهما جماعة من العسكر ثم سار الملك الناصر الى غزة
فانضم اليه مماليكه الذين كانوا ارادوا قتله وكذلك اصطلح معه اخوه الملك الظاهر
غازى وانضم اليه وبعد مسير الملك الناصر عن نابلس وصل التتر اليها وكبسوا
العسكر الذين بها وقتلوا مجير الدين والامير على بن شجاع وكانا اميرين جليلين
فاضلين وكان البحرية قد قبضوا عليهما واعتقلوهما بالكرك وافرج عنهما
المغيث لما وقع الصلح بينه وبين الناصر ولما بلغ الملك الناصر وهو بغزة ماجرى
من كبسة التتر لنابلس رحل من غزة الى العريش وسير القاضى برهان الدين
ابن الخضر رسولا الى الملك المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه المعاضدة
ثم سار الملك الناصر والملك المنصور صاحب حماة والعسكر ووصلوا

ابن غازى غزى وجاهد قوما * أثخنوا فى العراق والمشرقين
طاهرا عاليا ومات شهيدا * بعد صبر عليهم عامين
لم يشنه اذ طيف بالرأس منه * وله اسوة برأس الحسين
ثم واروا فى مشهد الرأس ذاك الرأس واستجمعوا من الحاسدين

(ذكر اتصال الملك الناصر بالتتر واستيلائهم)
(على عجلون وغيرها من قلاع الشام)

اما الملك الناصر يوسف فانه لما انفرد عن العسكر من قطية وسار الى تيه بنى اسرائيل بقى متحيرا الى اين يتوجه وعزم على التوجه الى الحجاز وكان له طبردار كردى اسمه حسين فحسن له المضى الى التتر وقصد هولاكو فاغتر بقوله ونزل ببركة زيرا وسار حسين الكردى الى كتبغا نائب هولاكو وعرفه بموضع الملك الناصر فارسل كتبغا اليه وقبض عليه واحضره الى عجلون وكانت بعد عاصية فامرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت اليهم فهدموها وكنا قد ذكرنا حصار التتر لبعلبك فتسلموها قبيل تسليم عجلون وخربوا قلعتها ايضا وكان بالصبيبة صاحبها الملك السعيد ابن الملك العزيز ابن الملك العادل فسلم الصبيبة اليهم وصار الملك السعيد المذكور معهم واعلن بالفسق والفجور وسفك دماء المسلمين واما الملك الناصر يوسف فان كتبغا بعث به الى هولاكو فوصل الى دمشق ثم الى حماة وبها الاشرف صاحب حمص فخرج الى لقائه هو وخسرو شاه النائب بحماة ثم سار الى حلب فلما عاينها الملك الناصر وما فد حل بها وباهلها تضاعف تألمه وانشد

يعز علينا ان نرى ربعكم يبلى * وكانت به آيات حسنكم تتلى

ثم سار الى الاردو فاقبل عليه هولاكو ووعده برده الى مملكته وكان منه ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

وفى خامس عشر شعبان من هذه السنة اخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق وواليها وضربوا اعناقهما بداريا واشتهر عند اهل دمشق خروج العساكر من مصر لقتال التتر فاوقعوا بالنصارى وكانوا قد استطالوا على المسلمين بدق النواقيس وادخال الخمر الى الجامع فنهبهم المسلمون فى سابع عشرين رمضان من هذه السنة واخربوا كنيسة مريم وكانت كنيسة عظيمة وكانت كنيسة مريم فى جانب دمشق الذى فتحه خالد ابن الوليد بالسيف فبقيت بيد المسلمين وكان ملاصق الجامع كنيسة وهى من الجانب الذى فتحه

والى قلعة حلب فاحضره هولاكو وسلمها اليه فغضب هولاكو من ذلك وامر بهم فقتل اهل حارم عن آخرهم وسبى النساء ثم رحل هولاكو بعد ذلك وعاد الى الشرق وامر عماد الدين القزويني بالرحيل الى بغداد فسار اليها وجعل مكانه بحلب رجلا اعجميا وامر هولاكو بخراب اسوار قلعة حلب واسوار المدينة فخربت عن آخرها واعطى هولاكو الاشرف موسى صاحب حمص الدستور ففارقه ووصل الى حماة ونزل في الدار المبارز واخذ في خراب سور قلعة حماة بتقدم هولاكو اليه بذلك فخربت اسوارها واحرقت زردخاناتها وبيعت الكتب التي كانت بدار السلطنة بقلعة حماة بابخس الاثمان واما اسوار مدينة حماة فلم تخرب لانه كان بحماة رجل يقال له ابراهيم بن الافرنجية ضامن الجهة المفردة بذل لخسروشاه جملة كثيرة من المال وقال الفرنج قريب منا بحصن الاكراد ومتى خربت اسوار المدينة لا يقدر اهلها على المقام فيها فاخذ منه المال ولم يتعرض لخراب اسوار المدينة وكان قدام هولاكو الاشرف موسى صاحب حمص بخراب قلعة حمص ايضا فلم يخرب منها الا شيئا قليلا لانها مدينته واما دمشق فانهم لما ملكوا المدينة بالامان لم يتعرضوا الى قتل ولا نهب وعصت قلعة دمشق عليهم فحاصرها التتر وجرى على اهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمة وضايقوا القلعة واقاموا عليها المجانيق ثم تسلموها بالامان في منتصف جمادى الاولى من هذه السنة ونهبوا جميع ما فيها وجدوا في خراب اسوار القلعة واعدام ما بها من الزردخانات والآلات ثم توجهوا الى بعلبك ونازلوا قلعتها

(ذكر استيلاء التتر على ميافارقين وقتل الملك الكامل صاحبها)

وفي هذه السنة اعني سنة ثمان وخمسين وستمائة استولى التتر على ميافارقين وقد تقدم ذكر نزولهم عليها ومحاصرتها في سنة ست وخمسين واستمر الحصار عليهم مدة سنتين حتى فنيت ازوادهم وفني اهلها بالوباء وبالقتل وصاحبها الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل ابي بكر ابن ايوب مصابرا لها وضعف من عنده من الرجال فاستولى التتر عليها وقتلوا صاحبها الملك الكامل المذكور وحملوا رأسه على رمح وطافوا به في البلاد ومروا به على حلب وحماة ووصلوا به الى دمشق في سابع عشرين جمادى الاولى من هذه السنة اعني سنة ثمان وخمسين وستمائة وطافوا به في دمشق بالمغاني والطبول وعلق رأس المذكور في شبكة بسور باب الفراديس الى ان عادت دمشق الى المسلمين فدفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس وفيه يقول الشيخ شهاب الدين ابن ابي شامة ابياتا منها

وكان من جملتهم حسين الكردي طبردار الملك الناصر يوسف وهو الذي اوقع الملك الناصر في ايدي التتر وفي هذه النصرة وقدوم قطز الى الشام يقول بعض الشعراء

هلك الكفر في الشآم جميعا * واستجد الاسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الاروع سيف الاسلام عند نهوضه
ملك جاءنا بعزم وحزم * فاعتززنا بسمره وبيضه
اوجب الله شكر ذاك علينا * دائما مثل واجبات فروضه

ثم اعطى الملك المظفر قطز صاحب حماة الملك المنصور الدستور فقدم الملك المنصور قدامه مملوكه ونائبه مبارز الدين اقوش المنصوري الى حماة ثم سار الملك المنصور واخوه الملك الافضل ووصلا الى حماة ولما استقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتر واعتقلهم وهنأ الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ المنصور بهذا النصر العظيم وبعود المعرة بقصيدة منها

رعت العدى فضمنت ثل عروشها * ولقيتها فأخذت فل جيوشها
نازلت املاك التتار فانزلت * عن فحلها قسرا وعن اكديشها
فغدا لسيفك في رقاب كماتها * حصد المناجل في يبيس حشيشها
فقت الملوك ببذل ما تحويه اذ * ختمت خزائنها على منقوشها

ومنها

وطويت عن مصر فسيح مراحل * ما بين ركتها وبين عريشها
حتى حفظت على العباد بلادها * من رومها الاقصى الى احبوشها
فرشت حماة لوطىء نعلك خدها * فوطئت عين الشمس من مفروشها
وضربت سكتها التي اخلصتها * مما يشوب النقد من مغشوشها
وكذا المعرة اذ ملكت قيادها * دهشت سرورا سار في مدهوشها
طربت برجعتها اليك كأنما * سكرت بخمرة كاسها او حشيشها
لازلت تنعش بالنوال فقيرها * وتنيل اقصى الاجر من منعوشها

وكان خسروشاه قد سار من حماة الى جهة الشرق لما بلغه كسرة التتر ثم جهز الملك المظفر قطز عسكرا الى حلب لحفظها ورتب ايضا شمس الدين اقوش البرلي العزيزي اميرا بالسواحل وغزة ورتب معه جماعة من العزيزية وكان البرلي المذكور من مماليك الملك العزيز محمد صاحب حلب وسار في جملة العزيزية مع ولده الملك الناصر يوسف الى قتال المصريين وخامر البرلي وجماعة من العزيزية على ابن استاذهم الملك الناصر وصاروا مع ايبك التركماني صاحب مصر ثم انهم قصدوا اغتيال المعز ايبك التركماني المذكور وعلم بهم فقبض على بعضهم وهرب بعضهم وكان البرلي المذكور من جملة من سلم وهرب الى الشام فلما وصل الى الملك الناصر اعتقله بقلعة عجلون فلما توجه الملك

ابو عبيدة بالامان فبقيت بايدى النصارى فلما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة خرب الكنيسة الملاصقة للجامع واضافها اليه ولم يعوض النصارى عنها فلما ولى عمر بن عبدالعزيز عوضهم بكنيسة مريم عن تلك الكنيسة فعمروها عمارة عظيمة وبقيت كذلك حتى خربها المسلمون فى التاريخ المذكور

(ذكر هزيمة التتر وقتل كتبغا)

وفى هذه السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التتر فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت وكان من حديثها انه لما اجتمعت العساكر الاسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك المعز ايبك على الخروج الى الشام لقتال التتر وسار من مصر بالعساكر الاسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة واخوه الملك الافضل على وكان مسيره من الديار المصرية فى اوايل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاكو على الشام ومقدم التتر مسير العساكر الاسلامية اليه صحبة الملك المظفر قطز جمع من فى الشام من التتر وسار الى لقاء المسلمين وكان الملك السعيد صاحب الصبيبة ابن الملك العزيز ابن الملك العادل بن ايوب صحبة كتبغا وتقارب الجمعان فى الغور والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستوسر ابنه وتعلق من سلم من التتر برؤس الجبال وتبعتهم المسلمون فافنوهم وهرب من سلم منهم الى الشرق وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقدارى فى اثرهم فتبعتهم المسلمون الى اطراف البلاد الشرقية وكان ايضا فى صحبة التتر الملك الاشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الامان من المظفر قطز فامنه ووصل اليه فاكرمه واقره على ما بيده وهو حمص ومضافاتها واما الملك السعيد صاحب الصبيبة فانه امسك اسيرا واحضر بين يدى الملك المظفر قطز فامر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من السفك والفسق ولما انقضى امر المصاف احسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة واقره على حماة وبارين واعاد اليه المعرة وكانت فى ايدى الحلبيين من حين استولوا عليها فى سنة خمس وثلثين وستمائة واخذ سلمية منه واعطاها امير العرب واتم الملك المظفر السير بالعساكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة حتى دخل دمشق وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فان القلوب كانت قد يئست من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ماقصدوا اقليما الا فتحوه ولا عسكرا الا هزموه فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم وبقدوم الملك المظفر قطز الى الشام وفى يوم دخوله دمشق امر بشنق جماعة من المنتسبين الى التتر فشنقوا

قطز الى الدهليز سألهم اقطاى المستعرب المذكور وقال من قتله منكم فقال له بيبرس انا قال له اقطاى يا خوند اجلس فى مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت العساكر للتحليف فحلفوا له فى اليوم الذى قتل فيه قطز و هو سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة واستقر بيبرس فى السلطنة و تلقب بالملك القاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ثم بعد ذلك غير لقبه عن الملك القاهر وتلقب بالملك الظاهر لانه بلغه ان القاهر لقب غير مبارك ماتلقب به احد فطالت مدته وكان الملك الظاهر المذكور قد سأل من قطز النيابة بحلب فلم يجبه اليها ليكون ماقدره الله تعالى ولما حلف الناس للملك الظاهر المذكور بالصالحية ساق فى جماعة من اصحابه وسبق العسكر الى قلعة الجبل ففتحت له ودخلها واستقرت قدمه فى المملكة وكان قد زينت مصر والقاهرة لقدم قطز فاستمرت الزينة لسلطنة بيبرس المذكور وكان مقتل قطز وسلطنة بيبرس فى سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة

(ذكر اعادة عمارة قلعة دمشق)

وفى هذه السنة فى العشر الاخير من ذى القعدة شرع الامير علم الدين سنجر الحلبى نائب السلطنة بدمشق فى عمارة قلعة دمشق وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس وعملوا فيها حتى النساء ايضا وكان عند الناس بذلك سرور عظيم

(ذكر سلطنة الحلبى بدمشق)

كان علم الدين سنجر الحلبى وقد استنابه الملك المظفر قطز بدمشق على ماتقدم ذكره فلما جرى ماذكرناه من قتل قطز وسلطنة الملك الظاهر جمع الحلبى الناس وحلفهم لنفسه بالسلطنة وذلك فى العشر الاول من ذى الحجة من هذه السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة فاجابه الناس الى ذلك وحلفوا له ولم يتأخر عنه احد ولقب نفسه الملك المجاهد وخطب له بالسلطنة وضربت السكة باسمه وكاتب الملك المنصور صاحب حماة فى ذلك فلم يجبه وقال صاحب حماة انا مع من يملك الديار المصرية كائنا من كان

(ذكر قبض عسكر حلب على الملك السعيد)
(ابن صاحب الموصل وعود التتر الى الشام)

وكان الملك السعيد قد قرره قطز بحلب وجرد معه جماعة من العزيزية والناصرية وكان ردى السيرة وقدما بقصد العسكر و بلغ الملك السعيد المذكور مسير التتر الى البيرة فجرد الى جهتهم جماعة قليلة من العسكر وقدم عليهم سابق الدين

الناصر بالعسكر الى الغور منفرداً من بين يدي التتر اخرج البرلي من حبس عجلون وطيب خاطره فلما هرب الملك الناصر من قطية دخل شمس الدين اقوش البرلي المذكور مع العساكر الى مصر فاحسن اليه الملك المظفر قطز وولاه الآن السواحل وغزة فلما استقر بدمشق على ما ذكرناه وكان مقر البرلي لما تولى هذه الاعمال نابلس تارة وبيسان اخرى ثم ان الملك المظفر قطز فوض نيابة السلطنة بدمشق الى الامير علم الدين سنجر الحلبي وهو الذي كان اتابكا لعلي بن المعز ايبك وفوض نيابة السلطنة بحلب الى الملك السعيد بن بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان المذكور قد وصل الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام ودخل مع العساكر الى مصر وصار مع المظفر قطز ففوض اليه نيابة السلطنة بحلب وكان سببه ان اخاه الملك الصالح بن لولو وقد صار صاحب الموصل بعد ابيه فولاه حلب لكاتبه اخوه باخبار التتر ولما استقر السعيد المذكور في نيابة حلب سار سيرة رديئة وكان دأبه التحيل على اخذ مال الرعية

(ذكر عود الملك المظفر قطز الى جهة الديار المصرية وقتله)

ولما قرر الملك المظفر قطز المعزي المذكور امر الشام على ما شرحناه سار من دمشق الى جهة البلاد المصرية وكان قد اتفق بيبرس البندقداري الصالحي مع انص مملوك نجم الدين الرومي الصالحي والهاروني وعلم الدين صغن اغلي على قتل الملك قطز وساروا معه يتوقعون الفرصة فلما وصل قطز الى القصير بطرف الرمل وبقي بينه وبين الصالحية مرحلة وسبق الدهليز والعسكر الى الصالحية وانفرد يتصيد فسار بيبرس ومن معه وساق هؤلاء المذكورون معه فلما بعدوا تقدم اليه انص وشفع عنده الملك المظفر في انسان فاجابه الى ذلك فاهوى انص ليقبل يده وقبض عليها وحمل عليه بيبرس البندقداري الصالحي وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه بالنشاب وذلك في سابع عشر ذي القعدة من هذه السنة وكانت مدة ملكه احد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً وساق بيبرس واولئك المذكورون بعد مقتله حتى وصلوا الى الدهليز بالصالحية

(ذكر سلطنة بيبرس البندقداري المذكور)

ولما وصل ركن الدين بيبرس المذكور ومن وافقه على قتل الملك المظفر قطز الى الدهليز كما ذكرناه وكان عند الدهليز نائب السلطنة فارس الدين اقطاي المستعرب وهو من الامراء صار اتابكا لعلي بن المعز ايبك بعد الملك فلما سأله قطز
امره ا ، الملا لما ل ن انشد ارم ك ساء الاس دا ا

والعسكر واقام التتر على حماة يوما واحدا ثم رحلوا عن حماة واراد الملك المنصور بعد رحيل التتر المسير الى دمشق فمنعه العامة من ذلك حتى استوثقوا منه انه يعود اليهم عن قريب فسافر هو واخوه الملك الافضل فى جماعة قليلة وبقى الطواشى مرشد فى باقى العسكر بحماة ووصل المنصور بمن معه الى دمشق وكذلك توجه الملك الاشرف صاحب حمص الى دمشق واما حسام الدين الجوكندار العزيزى فتوجه ايضا بمن فى صحبته ولم يدخل دمشق ونزل بالمرج ثم سار الى مصر واقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق فى دورهما والحاكم بها يومئذ سنجر الحلبى الملقب بالسلطان الملك المجاهد وقد اضطرب امره ولذلك اقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق ولم يدخلا فى طاعته لضعفه وتلاشى امره واما التتر فساروا عن حماة الى فامية وكان قد وصل الى فامية سيف الدين الدنيلى الاشرفى ومعه جماعة فاقام بقلعة فامية وبقى يغير على التتر فرحلوا عن فامية وتوجهوا الى الشرق

(ذكر القبض على سنجر الحلبى الملقب بالملك المجاهد)

وفى هذه السنة جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكرا مع علاء الدين البندقدار وهو استاذ الملك الظاهر لقتال علم الدين سنجر الحلبى المستولى على دمشق فوصلوا الى دمشق فى ثالث عشر صفر من هذه السنة ولما وصل عسكر مصر الى دمشق خرج اليهم الحلبى لقتالهم وكان صاحب حماة وصاحب حمص مقيمين بدمشق لم يخرجا مع الحلبى لقتالهم ولا اطاعاه لاضطراب امر الحلبى واقتتل معهم بظاهر دمشق فى ثالث عشر صفر من هذه السنة اعنى سنة تسع وخمسين وستمائة فولى الحلبى واصحابه منهزمين ودخل الى قلعة دمشق الى ان جنه الليل فهرب من قلعة دمشق الى جهة بعلبك فتبعه العسكر وقبضوا عليه وحمل الى الديار المصرية فاعتقل ثم اطلق واستقرت دمشق فى ملك الملك الظاهر بيبرس واقيمت له الخطبة بها وبغيرها من الشام مثل حماة وحلب وحمص وغيرها واستقر ايدكين البندقدار الصالحى فى دمشق لتدبير امورها ولما استقر الحال على ذلك رحل الملك المنصور صاحب حماة والاشرف صاحب حمص وعادا الى بلادهما واستقرا بها

(ذكر خروج البرلى عن طاعة الملك الظاهر بيبرس واستيلائه على حلب)

وفى هذه السنة بعد استقرار علاء الدين ايدكين البندقدار فى دمشق ورد عليه مرسوم الملك الظاهر بيبرس بالقبض على بهاء الدين بغدى الاشرفى وعلى شمس الدين اقوش البرلى وغيرهما من العزيزية والناصرية وبقى علاء الدين ايدكين متوقفا

امير مجلس الناصرى فاشار عليه كبراء العزيزة والناصرية بان هذا ما هو مصلحة وان هؤلاء قليلون فيحصل الطمع بسببهم فى البلاد فلم يلتفت الى ذلك واصر على مسيرهم فسار سابق الدين امير مجلس بمن معه حتى قاربوا البيرة فوقع عليهم التتر فهرب منهم ودخل البيرة بعد ان قتل غالب من كان معه فازداد غيظ الامراء على الملك السعيد بسبب ذلك فاجتمعوا وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه وكان قد برز الى باب الى المعروف بباب الله ولما استولوا على خزائنه لم يجدوا فيها مالا طائلا فهددوه بالعذاب ان لم يقرلهم بماله فنبش من تحت اشجار حائط دار ببابلى جملة من المال قيل كانت خمسين الف دينار مصرية ففرقت فى الامراء وحمل الملك السعيد المذكور الى الشغر وبكاس معتقلا ثم لما اندفع العسكر من بين يدى التتر على ماسنذكره افرجوا عنه ولما جرى ذلك اتفقت العزيزية والناصرية وقدموا عليهم الامير حسام الدين الجوكندار العزيزى ثم سارت التتر الى حلب فاندفع حسام الدين الجوكندار والعسكر الذين معه بين ايديهم الى جهة حماة ووصل التتر الى حلب فى اواخر هذه السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة وملكوها واخرجوا اهلها الى قرنبيا واسمها مقر الانبيا فسماها العامة قرنبيا ولما اجتمع المسلمون بقرنبيا بذل التتر فيهم السيف فافنوا غالبهم وسلم القليل منهم ووصل حسام الدين الجوكندار ومن معه الى حماة فضيفهم الملك المنصور محمد صاحب حماة وهو مستشعر خايف من غدرهم ثم رحلوا من حماة الى حمص فلما قارب التتر حماة خرج منها الملك المنصور صاحبها وصحبته اخوه الملك الافضل على والامير مبارز الدين وباقى العسكر واجتمعوا بحمص مع باقى العساكر الى ان خرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة)

(ذكر كسرة التتر على حمص)

وفى يوم الجمعة خامس المحرم من هذه السنة كانت كسرة التتر على حمص وكان من حديثها ان التتر لما قدموا فى آخر السنة الماضية الى الشام اندفعت العزيزية والناصرية من بين ايديهم وكذلك الملك المنصور صاحب حماة ووصلوا الى حمص واجتمع بهم الملك الاشرف صاحب حمص ووقع اتفاقهم على ملتقا التتر وسارت التتر اليهم والتقوا بظاهر حمص فى نهار الجمعة المذكور وكان التتر اكثر من المسلمين بكثير ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم كيف شاؤوا ووصل الملك المنصور الى حماة بعد هذه الوقعة وانضم من سلم من التتر الى باقى جماعتهم وكانوا نازلين قرب سلمية واجتمعوا ونزلوا على حماة وبها صاحبها الملك المنصور واخوه الملك الافضل

ذكره وعده برده الى ملكه واقام عند هولاكو مدة فلما بلغ هولاكو كسرة عسكره بعين جالوت وقتل كتبغا ثم كسرة عسكره على حمص ثانيا غضب من ذلك واحضر الملك الناصر المذكور واخاه الملك الظاهر غازى وقال له انت قلت ان عسكر الشام فى طاعتك فغدرت بى وقتلت المغل فقال الملك الناصر لو كنت بالشام ماضرب احد فى وجه عسكرك بالسيف ومن يكون ببلاد توريز كيف يحكم على بلاد الشام فاستوفى هولاكو لعنه الله ناصحا وضربه به فقال الملك الناصر ياخوند الصنيعة فنهاه اخوه الظاهر وقال قد حضرت ثم رماه بفردة ثانية فقتله ثم امر بضرب رقاب الباقين فقتلوا الظاهر اخا الملك الناصر والملك الصالح ابن صاحب حمص والجماعة الذين كانوا معهم واستبقوا الملك العزيز ابن الملك الناصر لانه كان صغيرا فبقى عند هم مدة طويلة واحسنوا اليه ثم مات وكان قد تولى الملك الناصر المذكور مملكة حلب بعد موت ابيه العزيز وعمره سبع سنين واقامت جدته ضيفة خاتون بنت الملك العادل بتدبير مملكته واستقل بالملك بعد وفاتها فى سنة اربعين وستمائة وعمره ثلث عشرة سنة وزاد ملكه على ملك ابيه وجده فانه ملك مثل حران والرها والرقة وراس عين وما مع ذلك من البلاد وملك حمص ثم ملك دمشق وبعلبك والاغوار والسواحل الى غزة وعظم شانه وكسر عساكر مصر وخطب له بمصر وبقلعة الجبل على الوجه الذى تقدم ذكره وكان قد غلب على الديار المصرية لولا هزيمته وقتل مدبر دولته شمس الدين لولو الارمنى ومخامرة مماليك ابيه العزيزية وكان يذبح فى مطبخه كل يوم اربع مائة رأس غنم وكانت سماطاته ونجمله فى الغاية القصوى وكان حليما وتجاوز به الحلم الى حد اضر بالمملكة فانه لما امنت قطاع الطريق فى ايام مملكته من القتل والقطع تجاوزوا الحد فى الفساد بالمملكة وانقطعت الطرق فى ايامه وبقى لايقدر المسافر على السفر من دمشق الى حماة وغيرها الا برفقة من العسكر وكثر طمع العرب والتركمان فى ايامه وكثرت الحرامية وكانوا يكبسون الدور ومع ذلك اذا احضر القاتل الى بين يدى الملك الناصر المذكور يقول الحى خير من الميت ويطلقه فادى ذلك الى انقطاع الطرقات وانتشار الحرامية والمفسدين وكان على ذهن الناصر المذكور شئ كثير من الادب والشعر ويروى له اشعار كثيرة منها

فوالله لو قطعت قلبى تأسفا * وجرعتنى كاسات دمعى دما صرفا
لما زادنى الا هوى ومحبة * ولا اتخذت روحى سواك لها الفا

وبنى بدمشق مدرسة قريب الجامع تعرف بالناصرية ووقف عليها وقفا جليلا وبنى بالصالحية تربة غرم عليها جملا مستكثرة فدفن فيها كرمون وهو بعض

ذلك فتوجه بغدى الى علاء الدين ايدكين فحال دخوله عليه قبض على بغدى المذكور فاجتمعت العزيزية والناصرية الى اقوش البرلى وخرجوا من دمشق ليلا على حمية ونزلوا بالمرج وكان اقوش البرلى قد ولاه المظفر قطز غزة والسواحل على ماقدمنا ذكره فلما جهز الملك الظاهر استاذه البندقدار الى قتال الحلبي ارسل الى البرلى وامره ان ينضم اليه فسار البرلى مع البندقدار واقام بدمشق فلما قبض على بغدى خرج البرلى الى المرج وارسل علاء الدين ايدكين البندقدار الى البرلى يطيب قلبه ويحلف له فلم يلتفت الى ذلك وسار البرلى الى حمص وطلب من صاحبها الاشرف موسى ان يوافقه على العصيان فلم يجبه الى ذلك ثم توجه الى حماة وارسل يقول للملك المنصور صاحب حماة انه لم يبق من البيت الايوبى غيرك وقم لنصير معك ونملكك البلاد فلم يلتفت الملك المنصور الى ذلك ورده ردا قبيحا فاغتاظ البرلى ونزل على حماة واحرق زرع بيدر العشر وسار الى شيزر ثم الى جهة حلب وكان علاء الدين ايدكين البندقدار لما استقر بدمشق قد جهز عسكرا صحبة فخر الدين الحمصى للكشف عن البيرة فان التتر كانوا قد نازلوها فلما قدم البرلى الى حلب كان بها فخر الدين الحمصى المذكور فقال له البرلى نحن فى طاعة الملك الظاهر فتمضى الى السلطان وتسأله ان يتركنى ومن فى صحبتى مقيمين بهذا الطرف ونكون تحت طاعته من غير ان يكلفنى وطىء بساطه فسار الحمصى الى جهة مصر ليؤدى هذه الرسالة فلما سار عن حلب تمكن البرلى واحتاط على ما فى حلب من الحواصل واستبد بالامر وجمع العرب والتركمان واستعد لقتال عسكر مصر ولما توجه فخر الدين الحمصى لذلك التقى فى الرمل جمال الدين المحمدى الصالحى متوجها بمن معه من عسكر مصر لقتال البرلى وامساكه فارسل الحمصى عرف الملك الظاهر بما طلبه البرلى فارسل الملك الظاهر ينكر على فخر الدين الحمصى المذكور ويأمره بالانضمام الى المحمدى والمسير الى قتال البرلى فعاد من وقته ثم رضى الملك الظاهر عن علم الدين سنجر الحلبى وجهزه وراء المحمدى فى جمع من العسكر ثم اردفه بعز الدين الدمياطى فى جمع آخر وسار الجميع الى جهة البرلى وساروا الى حلب وطردوه عنها وانقضت السنة والامر على ذلك

(ذكر مقتل الملك الناصر يوسف)

وفى هذه السنة ورد الخبر بمقتل الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وعقد عزاه بجامع دمشق فى سابع جمادى الاولى من هذه السنة اعنى سنة تسع وخمسين وستمائة وصورة الحال فى قتله انه لما وصل الى هولاكو على ماقدمنا

وولى القضاء شمس الدين ابن خلكان (وفيها) قدم اولاد صاحب الموصل وهم الملك الصالح اسماعيل ثم اخوه الملك المجاهد اسحق صاحب جزيرة ابن عمر ثم اخوهما الملك المظفر على صاحب سنجار اولاد لولو فاحسن الملك الظاهر اليهم واعطاهم الاقطاعات الجليلة بالديار المصرية واستمروا فى ارغد عيش فى طول مدة الملك الظاهر (وفيها) فى ربيع الآخر وردت الاخبار من ناحية عكا ان سبع جزاير فى البحر خسف بهما وباهلها وبقى اهل عكا لابسين السواد وهم يبكون ويستغفرون من الذنوب بزعمهم (وفيها) جهز الملك الظاهر بيبرس بدر الدين الايدمرى فتسلم الشوبك فى سلخ ذى الحجة من هذه السنة اعنى سنة تسع وخمسين وستمائة واخذها من الملك المغيث صاحب الكرك (ثم دخلت سنة ستين وستمائة) فى هذه السنة فى نصف رجب وردت جماعة من مماليك الخليفة المستعصم البغاددة وكانوا قد تأخروا فى العراق بعد استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة وكان مقدمهم يقال له شمس الدين سلار فاحسن الملك الظاهر بيبرس ملتقاهم وعين لهم الاقطاعات بالديار المصرية (وفيها) فى رجب ايضا وصل الى خدمة الملك الظاهر بيبرس بالديار المصرية عماد الدين ابن مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من اخيه سيف الدين صاحب صهيون وصحبته هدية جليلة فقبلها الملك الظاهر واحسن اليه (وفيها) جهز الملك الظاهر عسكرا الى حلب وكان مقدمهم شمس الدين سنقر الرومى فامنت بلاد حلب وعادت الى الصلاح ثم تقدم الملك الظاهر بيبرس الى سنقر الرومى والى صاحب حماة الملك المنصور والى صاحب حمص الملك الاشرف موسى ان يسيروا الى انطاكية وبلادها للاغارة عليها فساروا اليها ونهبوا بلادها وضايقوها ثم عادوا وتوجهت العساكر المصرية صحبة سنقر الرومى الى مصر ووصلوا اليها فى تاسع عشرين رمضان من هذه السنة ومعهم ما ينوف عن ثلثمائة اسير فقابلهم الملك الظاهر بالاحسان والانعام (وفيها) لما ضاقت على اقوش البرلى البلاد واخذت منه حلب ولم يبق بيده غير البيرة دخل فى طاعة الملك الظاهر وسار اليه فكتب الملك الظاهر الى النواب بالاحسان اليه وترتيب الاقامات له فى الطرقات حتى وصل الى الديار المصرية فى ثانى الحجة من هذه السنة اعنى سنة ستين فلقاه الملك الظاهر وبالغ فى الاحسان اليه واكثر له العطاء فسال اقوش البرلى من الملك الظاهر ان يقبل منه البيرة فلم يفعل ومازال يعاوده حتى قبلها وبقى اقوش البرلى العزيز المذكور مع الملك الظاهر الى ان تغير عليه وقبضه فى رجب سنة احدى وستين وستمائة وكان آخر العهد به (وفيها) فى ذى القعدة قبض الملك الظاهر على نائبه بدمشق وهو

امراء التتر وكانت منية الملك الناصر ببلاد العجم وكان مولد الناصر المذكور في سنة تسع وعشرين وستمائة فيكون عمره اثنين وثلاثين سنة تقريبا

(ذكر مبايعة شخص بالخلافة واثبات نسبه)

وفي هذه السنة في رجب قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسود اللون اسمه احمد زعموا انه ابن الامام الظاهر بالله محمد ابن الامام الناصر وانه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلسا حضر فيه جماعة من الاكابر منهم الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام والقاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن خلف المعروف بابن بنت الاعز فشهد اولئك العرب ان هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر فيكون عم المستعصم واقام القاضي جماعة من الشهود اجتمعوا باولئك العرب وسمعوا شهاداتهم ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فاثبت القاضي تاج الدين نسب احمد المذكور ولقب المستنصر بالله ابا القاسم احمد ابن الظاهر بالله محمد وبايعه الملك الظاهر والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بامره وعمل له الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة واستخدم له عسكرا وغرم على تجهيزه جملا طائلة فيل ان قدر ما غرمه عليه الف الف دينار وكانت العامة تلقب الخليفة المذكور بالزرابيني وبرز الملك الظاهر والخليفة الاسود المذكور في رمضان من هذه السنة وتوجها الى دمشق وكان في كل منزلة يمضي الملك الظاهر الى دهليزه الخاص به ولما وصلا الى دمشق نزل الملك الظاهر بالقلعة ونزل الخليفة في جبل الصالحية ونزل حول الخليفة امراؤه واجناده ثم جهز الخليفة بعسكره الى جهة بغداد طمعا في انه يستولي على بغداد ويجتمع عليه الناس فسار الخليفة الاسود بعسكره من دمشق وركب الملك الظاهر وودعه ووصاه بالتأني في الامور ثم عاد الملك الظاهر الى دمشق من توديع الخليفة ثم سار الى الديار المصرية ودخلها في سابع عشر ذي الحجة من هذه السنة ووصلت اليه كتب الخليفة بالديار المصرية انه قد استولى على عانه والحديثه وولى عليهما وان كتب اهل العراق وصلت اليه يستحثونه على الوصول اليهم ثم قبل ان يصل الى بغداد وصلت اليه التتر وقتلوا الخليفة المذكور وقتلوا غالب اصحابه ونهبوا ما كان معه وجاءت الاخبار بذلك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة لما سار الملك الظاهر الى الشام امر القاضي شمس الدين ابن خلكان فسافر في صحبته من مصر الى الشام فعزل عن قضاء دمشق نجم الدين ابن صدر الدين بن سنا الدولة وكان قطز قد عزل المحيي بن الزكي الذي ولاه هولاكو القضاء وولى ابن سنا الدولة فعزله الملك الظاهر في هذه السنة

ابادملوك الفرس جمعا وقيصرا * واصمت لدى فرسانها منه اسهم
وافنى بنى ايوب مع كثر جمعهم * وما منهم الا مليك معظم
وملك بنى العباس زال ولم يدع * لهم اثرا من بعد هم وهم هم
واعتابهم اضحت تداس وعهدها * تباس بافواه الملوك وتلثم
وعن حلب ماشئت قل من عجايب * احل بها ياصاح ان كنت تعلم

ومنها

فيالك من يوم شديد لغامه * وقد اصبحت فيه المساجد تهدم
وقد درست تلك المدارس وارتمت * مصاحفها فوق الثرى وهي ضخم

وهي طويلة وآخرها

ولكنما الله فى ذا مشيئة * فيفعل فينا ما يشاء ويحكم

(ثم دخلت سنة احدى وستين وستمائة)

(ذكر مسير الملك الظاهر الى الشام)

فى هذه السنة فى حادى عشر ربيع الآخر سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية الى الشام فلاقته والدة الملك المغيث عمر صاحب الكرك بغزة وتوثقت لابنها الملك المغيث من الملك الظاهر بالامان واحسن اليها ثم توجهت الى الكرك وتوجه صحبتها شرف الدين الجاكى المهمندار برسم حمل الاقامات الى الطرقات برسم الملك المغيث ثم سار الملك الظاهر من غزة ووصل الى الطور فى ثانى عشر جمادى الاولى من هذه السنة ووصل اليه على الطور الاشرف موسى صاحب حمص فى نصف الشهر المذكور فاحسن اليه الملك الظاهر واكرمه

(ذكر حضور الملك المغيث صاحب الكرك وقتله)
(واستيلاء الملك الظاهر بيبرس على الكرك)

وفى هذه السنة كان مقتل الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل ابى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب صاحب الكرك وسببه انه كان فى قلب الملك الظاهر بيبرس منه غيظ عظيم لامور كانت بينهما قيل ان المغيث المذكور اكره امرأة الملك الظاهر بيبرس لما قبض المغيث على البحرية وارسلهم الى الناصر يوسف صاحب دمشق وهرب الملك الظاهر بيبرس المذكور وبقيت امرأته فى الكرك والله اعلم بحقيقة ذلك وكان من حديث مقتله ان الملك الظاهر بيبرس مازال يجتهد على حضور المغيث المذكور وحلف لوالدته على غزة كما تقدم ذكره وكان عند المغيث شخص يسمى الامجد وكان يبعثه فى الرسيلة الى الملك

علاء الدين طيبرس الوزيرى وكان قد تولى دمشق بعد مسير علاء الدين ايدكين البندقدار عنها وسبب القبض عليه انه بلغ الملك الظاهر عنه امور كرهها فارسل اليه عسكرا مع عز الدين الدمياطى وغيره من الامراء فلما وصلوا الى دمشق خرج طيبرس لتلقيهم فقبضوا عليه وقيدوه وارسلوه الى مصر فحبسه الملك الظاهر واستمر الحاج طيبرس فى الحبس سنة وشهرا وكانت مدة ولايته بدمشق سنة وشهرا ايضا وكان طيبرس المذكور ردى السيرة فى اهل دمشق حتى نزح عنها جماعة كثيرة من ظلمه وحكم فى دمشق بعد قبض طيبرس المذكور علاء الدين ايدغدى الحاج الركنى ثم استناب الملك الظاهر على دمشق الامير جمال الدين اقوش النجيبى الصالحى (وفيها) فى يوم الخميس فى اواخر ذى الحجة من هذه السنة اعنى سنة ستين وستمائة جلس الملك الظاهر مجلسا عاما واحضر شخصا كان قد قدم الى الديار المصرية فى سنة تسع وخمسين وستمائة من نسل بنى العباس يسمى احمد بعد ان اثبت نسبه وبايعه بالخلافة ولقب احمد المذكور الحاكم بامر الله امير المؤمنين وقد اختلف فى نسبه فالذى هو مشهور بمصر عند نسابة مصر انه احمد بن حسن بن ابى بكر ابن الامير ابى على القبى ابن الامير حسن بن الراشد بن المسترشد ابن المستظهر وقدم نسب المستظهر مع جملة خلفاء بنى العباس واما عند الشرفا العباسيين السلمانيين فى درج نسبهم الثابت فقالوا هو احمد بن ابى بكر على ابن ابى بكر احمد ابن الامام المسترشد الفضل بن المستظهر ولما اثبت الملك الظاهر نسب المذكور نزله فى برج محترزا عليه واشرك له الدعا فى الخطبة لاغير ذلك (وفيها) جهز الملك المنصور صاحب حماة شيخ الشيوخ شرف الدين الانصارى رسولا الى الملك الظاهر ووصل شيخ الشيوخ المذكور فوجد الملك الظاهر عاتبا على صاحب حماة لاشتغاله عن مصالح المسلمين باللهو وانكر الملك الظاهر على الشيخ شرف الدين ذلك ثم انصلح خاطره وجاله ماطيب به قلب صاحبه الملك المنصور ثم عاد الى حماة (وفيها) توفى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقى الامام فى مذهب الشافعى وله مصنفات جليلة فى المذهب وكانت وفاته بمصر رحمه الله تعالى (وفيها) فى ذى الحجة توفى الصاحب كمال الدين عمر بن عبد العزيز المعروف بابن العديم انتهت اليه رياسة اصحاب ابى حنيفة وكان فاضلا كبير القدر الف تاريخ حلب وغيره من المصنفات وكان قد قدم الى مصر لما جفل الناس من التتر ثم عاد بعد خراب حلب اليها فلما نظر مافعله التتر من خراب حلب وقتل اهلها بعد تلك العمارة قال فى ذلك قصيدة طويلة منها

هو الدهر ماتبنيه كفاك تهدم * وان رمت انصافا لديه فتظلم

الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة اعنى سنة احدى وستين وستمائة ثم سار الملك الظاهر ووصل الى الكرك ورتب امورها ثم عاد الى الديار المصرية فوصل اليها فى سابع عشر رجب من هذه السنة

(ذكر الاغارة على عكا وغيرها)

وفى هذه السنة لما كان الملك الظاهر نازلا على الطور ارسل عسكرا هدموا كنيسة الناصرة وهى من اكبر مواطن عبادات النصارى لان منها خرج دين النصرانية واغاروا على عكا وبلادها فغنموا وعادوا ثم ركب الملك الظاهر بنفسه وجماعة اختارهم واغار ثانيا على عكا وبلادها وهدم برجا كان خارج البلد وذلك عقيب اغارة عسكره وهدم الكنيسة الناصرة

(ذكر القبض على من يذكر)

وفيها بعد وصول الملك الظاهر بيبرس الى مصر واستقراره فى ملكه فى رجب قبض على الرشيدى ثم قبض فى ثانى يوم على الدمياطى والبرلى وقد تقدمت اخبار البرلى المذكور

(ذكر وفاة الاشرف صاحب حمص)

وفى هذه السنة بعد عود الملك الاشرف صاحب حمص موسى ابن الملك المنصور ابراهيم ابن الملك المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذى من خدمة الملك الظاهر بيبرس الى حمص مرض واشتد به المرض وتوفى الى رحمة الله تعالى وارسل الملك الظاهر وتسلم حمص فى ذى القعدة من هذه السنة اعنى سنة احدى وستين وستمائة وهذا الملك الاشرف موسى هو آخر من ملك حمص من بيت شيركوه وقد تقدمت اخبار الاشرف موسى المذكور واخذ الملك الناصر يوسف صاحب حلب منه حمص بسبب تسليمه شميس للملك الصالح ايوب صاحب مصر وانه يعوض عن حمص تل باشر ثم اعاد هولاكو عليه حمص فبقيت فى يده حتى توفى فى اواخر هذه السنة وانتقلت حمص الى مملكة الملك الظاهر بيبرس فى ذى القعدة حسبما ذكره وكان جملة من ملك حمص منهم خمسة ملوك اولهم شيركوه بن شاذى ملكه اياها نور الدين الشهيد ثم ملكها من بعده ابنه ناصر الدين محمد بن شيركوه ثم ملكها بعده ابنه شيركوه بن محمد وتلقب بالملك المجاهد ثم ملكها بعده ابنه ابراهيم بن شيركوه وتلقب بالملك المنصور ثم ملكها بعده ابنه موسى بن ابراهيم وتلقب بالملك الاشرف حتى توفى فى هذه السنة وانقرض بموته ملك المذكورين (ثم دخلت سنة

الظاهر فكان الظاهر يبالغ فى اكرامه وتقريبه فاغتر الامجد بذلك ومازال على مخدومه الملك المغيث حتى احضره الى الملك الظاهر حكى لى شرف الدين ابن مزهر وكان ابن مزهر المذكور ناظر خزانة المغيث قال لما عزم المغيث على التوجه الى خدمة الملك الظاهر لم يكن قد بقى بخزانته شئ من المال ولا القماش وكان اوالدته حواصل بالبلاد فبعناها باربعة وعشرين الف درهم واشترينا باثنى عشر الف درهم خلعا من دمشق وجعلنا فى صناديق الخزانة الاثنى عشر الالف الاخرى ونزل المغيث من الكرك وانا والامجد وجماعة من اصحابه معه فى خدمته قال وشرعت البريدية تصل الى الملك المغيث فى كل يوم بمكاتبات الملك الظاهر ويرسل صحبتهم مثل غزلان ونحوها والمغيث يخلع عليهم حتى نفد ما كان بالخزانة من الخلع ومن جملة ما كتب اليه فى بعض المكاتبات المملوك ينشد فى قدوم مولانا

خليلى هل ابصرتما اوسمعتما * باكرم من مولى تمشى الى عبد

قال وكان الخوف فى قلب المغيث شديدا من الملك الظاهر قال ابن مزهر المذكور ففاتحنى فى شئ من ذلك بالليل فقلت له احلف لى انك لا تقول للامجد ما اقوله لك حتى انصحك فحلف لى فقلت له اخرج الساعة من تحت الخام واركب حجرتك النجيبة ولا يصبح لك الصباح الا وانت قد وصلت الى الكرك فتحتمى فيه ولا تفكر باحد قال ابن مزهر فغافلنى وتحدث مع الامجد فى شئ من ذلك فقال له الامجد هذا رأى ابن مزهر اياك من ذلك وسار المغيث حتى وصل الى بيسان فركب الملك الظاهر بعساكره والتقاه فى يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الاولى من هذه السنة فلما شاهد المغيث الملك الظاهر ترجل فمنعه الملك الظاهر واركبه وساق الى جانبه وقد تغير وجه الملك الظاهر فلما قارب الدهليز افرد الملك المغيث عنه وانزله فى خيمة وقبض عليه وارسله معتقلا الى مصر فكان آخر العهد به قيل انه حمل الى امرأة الملك الظاهر بيبرس بقلعة الجبل فامرت جواريها فقتلنه بالقباقيب ثم قبض الملك الظاهر على جميع اصحاب المغيث ومن جملتهم ابن مزهر المذكور ثم بعد ذلك افرج عنهم انتهى كلام ابن مزهر ولما التقى الملك الظاهر بيبرس الملك المغيث المذكور وقبض عليه احضر الفقهاء والقضاة واوقفهم على مكاتبات من التتر الى الملك المغيث اجوبة عن ما كتب اليهم به فى اطماعهم فى ملك مصر والشام وكتب بذلك مشروح واثبت على الحكام وكان الملك المغيث المذكور ولد يقال له الملك العزيز اعطاه الملك الظاهر اقطاعا بديار مصر واحسن اليه ثم جهز الملك الظاهر بدر الدين البيسرى الشمسى وعز الدين استاذ الدار الى الكرك فتسلماها فى يوم

للشيخ شرف الدين ماقاله فقال شرف الدين ان هذا جايز وهو ان يكون المثنى في حالة الجر على صورة الرفع واستشهد شرف الدين بقول الشاعر

فاطرق اطراق الشجاع ولو رأى * مساغا لناباه الشجاع لصمما

واستشهد بغير ذلك فتحقق الملك الناصر فضيلته (ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة

مم
م

انتهى الجلد الثالث من تاريخ ابى الفداء و يليه الجلد الرابع واوله ذكر فتوح قيسارية

اثنين وستين وستمائة) في هذه السنة قبض الاشكرى صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ صاحب بلد الروم وسببه ان عز الدين كيكاوس المذكور كان قد وقع بينه وبين اخيه فاستظهر اخوه عليه فهرب كيكاوس وبقى اخوه ركن الدين قليج ارسلان في سلطنة بلاد الروم ثم سار كيكاوس المذكور الى قسطنطينية فاحسن اليه الاشكرى صاحب قسطنطينية والى من معه من الامراء واستمروا كذلك مدة فعزمت الامراء والجماعة الذين كانوا مع عز الدين المذكور على اغتيال الاشكرى وقتله والتغلب على قسطنطينية و بلغ ذلك الاشكرى فقبض عليهم واعتقل عز الدين كيكاوس بن كيخسرو في بعض القلاع وكحل الامراء والجماعة الذين كانوا عزموا على ذلك فاعما عيونهم وقد تقدم ذكر كيكاوس المذكور واخيه قليج ارسلان في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (وفيها) في ثامن رمضان توفى الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصارى المعروف بشيخ الشيوخ بحماة وكان مولده في جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمس مائة رحمه الله تعالى وكان دينا فاضلا متقدما عند الملوك وله النثر البديع والنظم الفائق وكان غزير العقل عارفا بتدبير المملكة فمن حسن تدبيره ان الملك الافضل على ابن الملك المظفر محمود لما ماتت والدته غازية خاتون بنت الملك الكامل رحمهم الله تعالى حصل عند الملك الافضل المذكور استشعار من اخيه الملك المنصور محمد صاحب حماة فعزم على ان ينتزح من حماة ويفارق اخاه الملك المنصور واذن له اخوه الملك المنصور في ذلك فاجتمع الشيخ شرف الدين المذكور بالملك الافضل وعرفه مايعتمده من السلوك مع اخيه الملك المنصور ثم اجتمع بالملك المنصور وقبح عنده مفارقة اخيه ومابرح بينهما حتى ازال ماكان في خواطرهما وصار للملك الافضل في خاطر اخيه الملك المنصور من المحبة والمكانة مايفوت الوصف وكان ذلك من بركة شرف الدين المذكور وللشيخ شرف الدين المذكور اشعار فائقة قد تقدم ذكر بعضها وكان مرة مع الملك الناصر يوسف صاحب الشام بعمان فعمل الشيخ شرف الدين

افدى حبيبا منذ واجهته * عن وجه بدر التم اغنانى

فى وجهه خالان لولاهما * مابت مفتونا بعمان

وانشدهما للملك الناصر فاعجبته الى الغاية وجعل يردد انشادهما وقال لكاتبه كمال الدين بن العجمى هكذا تكون الفضيلة فقال ابن العجمى ان التورية لاتخدم هنا لان عمان مجرورة في النظم فلا تخدمه في التورية فقال الملك الناصر

۱۲۶ ت
ج ۳

DUE DATE

۲۹۷۶۹